سلسلة

شريك حياتي

1

أروعُ شريك حياة

الطبعة الأولى
1441 هـ / 2020 م

اسم الكتـــــاب: أروعُ شريك حياة
المـــؤلـــــــف: أ.د. أسامة يحيى أبو سلامة
موضوع الكتاب: تنمية أسرية
المراجعة اللغوية: عبدالقادر أمين
عدد الصفحات: 336 صفحة
عدد المـــلازم: 21 ملزمة
مقاس الكتـاب: 14 x 21
عدد الطبعـات: الطبعة الأولى
رقــم الإيــــداع: 20525 / 2019
الترقيم الدولي: 9 - 760 - 278 - 977 - 978 :ISBN

التوزيع والنشر:
القاهرة - جمهورية مصر العربية
هاتف: 01012355714 - 01152806533
E-mail: elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
دار البشير للثقافة والعلوم

سلسلة
شريك حياتي
1

أروعُ شريك حياة

تهيئة الشّباب والفتياتِ للزّواج

أ.د. أسامة يحيى أبو سلامة

دار البشير للثقافة والعلوم

إهداء

إلى النّخبةِ الرّائعة من شباب وفتيات مصر
الذينَ اختارهم الله ليكونوا شهداءَ الدّين والحريّة
والكرامة والعزّة.
لكَمْ زلزلتْني سيرتُهم الطّاهرة، وصورُهم البريئة،
وأعمارُهم الصّغيرة
وسعيُهم إلى الشّهادة، فنالوها بصدْقِهم
عقبَ انقلابِ العسْكر على الشّرعيّة في 3 يوليو 2013 م
فباءَ بإثمِهم قاتلوهم ومُحرّضوهم ومفَوّضوهم..
عسى أرواحُهم أنّ توقظَ أبناءَ أمّتهم السّادرين في غفلتهم
وأنْ تغسل دماؤهم ما أفسَدَه الظّالمون والعُملاء.

مقدّمة

حمدًا لله على نعْمائه، والصّلاة والسّلام على خير أنبيائه، صلاةً تشفع لنا عند ربّنا يوم أنّ نلقاه، وبعد،

كثيرةٌ هي الأمور الفارقة الهامّة التي تؤثّر في مسار الحياة تأثيرًا بليغًا، ورغم ذلك يُستقى معرفتُها من مصادرَ غير آمنة، أو يُستشار مَن يجهلونها ولا يُستنار بمَن يعلمون أمْرَها، ثمّ تكون الخسائرُ بعد ذلك فادحة.

والزّواجُ هو أحدُ هذه الأمور الفارقة الهامّة، أنّ لم يكن أهمّها على الإطلاق، وبالرّغم من ذلك لقيت الثّقافة الزوجية من الإهمال والعبثِ والتلوّث ما لقيت، فخلَتْ سنوات الدراسة الإلزامية والجامعية من أيّ قسطٍ من علم أو معرفة أو إدراك أو تربيةٍ لنيْل هذه الثقافة، وعندما تلفّت الشبابُ والفتيات حولهم يبحثون عن ناصح أمين خبير كبير يتعلّمون منه ما يروي ظمأهم من هذه الثقافة لم يجدوا إلّا قليلًا، بعدما منعَ إرث تاريخي من حياءٍ زائف الكبارَ من الحديث حولها، والتمس الشبابُ والفتيات في الآباء والأقرباء والجيران قدواتٍ تمثّل بالنسبة لهم شاماتٍ زوجية معاصرة فلم يجدوا مَن يصلح، إلّا مَن رحم ربي.

فرتعَ بساحةِ الثقافة الزّوجية الخالية من النّافع الجاد كلُّ مَن لعب وزيّف وخدع من كتابات أقلام، ومسلسلات وأفلام، ووسائط إعلام، فساءت صورةُ المؤسّسة الزوجية وشاهت، وحيل بين الشّباب والفتيات وبين معرفة حقيقة الحياةِ الزوجية وطبيعتها وقيمتها وروْعتها ورونقها، فأقيمت بيوتٌ هشّة على شفا جرفٍ هار، سرعان ما تصدّعت وتفكّكت وانهارت، وخلّفت وراءها حطام نساء وبقايا رجال وفتاتِ أطفال، بعدما اقتطع من الأعمار والأعصاب والجهود والأموال ما اقتطع.

فباتَ الشّباب والفتيات في ظلّ هذه الظروف بحاجةٍ ماسّة لتوعية ناضجة مسئولة بكلّ ما يتعلّق بالحياة الزوجية، توعيةً تمْحو آثارَ الإعلام الفاسد والثقافة الدخيلة والتعليم المبتسر والميراث العاجز، توعية تُعيدهم إلى فطرتهم السويّة التي تنكّروا لها بعدما انساقوا إلى كلّ ما هو مُبهر مدمّر، توعية تهيّئهم للصّورة الواقعية التي تفرضها المؤسّسة الزوجية، كي ينجح طرفاها في تقبّلها والتعامل معها بنضوج يُبقي على العلاقة الزوجية هادئةً هانئة تضمّ زوجيْن رائعين متماسكيْن متلاحمين مُتضافرين متحاضنين ذائبين، توعية تقيهم مخاطرَ التحوّل إلى زبائن في قاعاتِ المحاكم أو حالات تتردّد على مؤسسات الإرشاد الأسري.

تناولتُ قلمي واندفعت لأكتب عاصفًا ذهنيًّا مسجِّلًا ومفنّدًا ومحللًا ما يمرّ بالانسان من مراحل منذ ما قبل الارتباط وحتى يوم

زفافه، بكل ما فيها من آمال وآلام ومتع ومسئوليات وأوهام وحقائق وخرافات ومسلّمات، ممهّدًا الطريق أمام شبابنا وفتياتنا لإقامة حياةٍ زوجية رائعة على أسس من الفهم الصّحيح والإدراك العميق، عاملًا على استنقاذهم من وهْدَةٍ حياة زوجية تعلن وفاتَها قبل ولادتها، وتلفظ أنفاسها قبل أنّ تتنسّمها.

تناولتُ قلمي لأخطّ كلمات هذا الكتاب، وهو الرّابع من سلسلة «شريك حياتي»، وهي السلسلة التي تعنَى بالحياة الزوجية المبنيّة على الفهم النفسي الجيّد للجنس الآخر وحسن الاتفاق بين الزّوجين في جلّ شئونهم، والقدرة على حلّ المشكلات الزوجية التي تعكّر صفو حياتهم، وتَعَلّم تجاوزها، لتمضي سفينةُ الأسرة تمخُرُ عبابَ بحر الحياة متهادية بسلام ووئام.

ولا أزعم أنّ ما قمتُ به في هذه السلسلة يحقّق كلّ الغايات المرجوّة، فما أحوجني إلى مَن يراجعني مصوّبًا وموجّهًا ومضيفًا وحازفًا ومنقّحًا، ولكن حسبي أنّي اجتهدت، فإنْ أصبتُ فمن الله تعالى ولي أجران برحمته ورضوانِه، وإنْ أخطأت فمِن نفسي القاصرة العاجزة ولي أجرٌ أنّ شاء الله، كما بشّرنا بذلك رسولُنا الحبّيب صلى الله عليه وسلم ، واضعًا نصب عيني كلمات حكيمةً قالها شاعرٌ مذكّرًا ومحذرًا:

ومـا مِـن كاتب إلّا سيفنى ويبقي الدهرُ ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفّك غير شيء يـسرّك يـوم القيامة أنّ تراه

فالله أدعو أنّ يثقّل ميزاني بهذه الكلمات، يومَ لا ينفع مال ولا بنون إلّا مَن أتى الله بقلب سليم..

وآخرُ دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

د. أسامة يحيى أبو سلامة

نوفمبر ٢٠١٧

تمهيد

أراد اللهُ– سبحانه– أنّ يندمج الرجل والمرأة في منظومة الزواج على مراحل متدرجة، لكلّ مرحلةٍ سمات معينة وأهداف محدّدة ومذاقٌ خاص، فإذا ما انتهت مرحلة بتحقيق أهدافها وتنسّم مذاقها أقبلتْ أخرى بأهدافٍ أخرى ومذاق آخر، وكأنّنا نرتقي درجات سلم يتوّج بدخول عشّ الزوجية.

وتندرج هذه المراحل تحتَ قسميْن كبيرين:

أولاهما: مرحلة ما قبل الارتباط والتعرّف على شريك الحياة، والتي يبني فيها الإنسانُ شخصيته، وتتحدّد هويته، وتترسّخ قيمه، وتتبلور مبادئه، وتنمو ملكاته، وتزدهر قدراته، ويعرف طريقَه، ويحدّد مهنته.

وثانيهما: مرحلة الارتباط وما به من الخطوبة حتّى ليلة الزفاف مرورًا بعقد الزواج، بما تحويه من مباهج أمواجِ العواطف ممزوجةً بنسمات تيارات العواصف.

إنّها رحلة العمر الفريدة التي طالما حلمَ بها الإنسانُ كفترةٍ ودودة سعيدة، فكيف يتحقّق فيها هذا الودّ وتلك السعادة؟.

هذا ما سنسبرُ أغوارَه معًا..

البابُ الأوّل

يتناول هذا البابُ مرحلةَ بناء الإنسان وتهيئته لحياة كريمة، والتي تبدأ منذ الميلاد وحتى ارتباطه بفردٍ من الجنس الآخر.

الفصلُ الأوّل

مرحلةُ ما قبل الاختيار أو القبول

تعتبر مرحلةُ ما قبل اختيار العريس لعروسه، أو قبول العروس بعريسها؛ فترةَ تنشئة وتربية وتعليم وتوعية وترسيخ مفاهيم، وتدريبٍ على كثيرٍ من المهارات واكتساب العديد من الخبرات.

ولأنّ المفاهيم هي التي تحكم حركةَ الإنسان وتوجّهات حياته ونظرته للعالم من حوله؛ فلزمَ في البدء مراجعةُ هذه المفاهيم تصويبًا وترسيخًا وتنقيحًا، ثمّ التأكيد بعد ذلك على اكتساب بعض المهارات الحياتية، وأداء فاعليات هامّة لاكتساب الخبرات اللازمة لحياة زوجية سعيدة.

أوّلًا: زرعُ مفاهيمَ مثمرةٍ، ونزع فلسفاتٍ مدمّرة:

هناك طائفةٌ من المفاهيم السويّة المتناغمة مع الفطرة الإنسانية، المتناسقة مع الطبيعة البشرية، المتوافقة مع تعاليم الدّين؛ يجبُ ترسيخها. وعلى الجانبِ لآخر هناك- أيضًا- ركامات من فلسفات هادمةٍ صادمة

يجبُ التخلّص منها، ونزعها من أجل تكوين أسرة ناشئة والحافظ عليها هانئة، وصيانتها من كلّ معرقلات السعادة وصعوبات الوفاق. ومن أهمّ هذه المفاهيم والفلسفات ما يلي:

(أ) المفاهيمُ المثمرة:

١) الحلالُ بيّن والحرامُ بيّن:

شاعَ في هذا العصر وجودُ علاقات بين الشّباب والفتيات يختلف عمقُها وأثرُها تحت دعوى أنّه «لا يوجد شابّ إلّا وله علاقة مع فتاة» ما عدا الشابّ المعقّد غير الطبيعي، وأنه «ليس هناك فتاة إلّا ولها علاقة بشاب» إلّا الفتاة المعقّدة غير السويّة، فكلّ الشّباب «الطبيعيّين» لهم علاقات بكلّ الفتيات «الطبيعيّات».

شاعتْ هذه العلاقات بغرض قضاء وقتٍ «ممتع» و«لذيذ» واكتساب «خبرات حياتية» وخوض «تجارب شخصية» تفيد في الحياة المستقبلية!!
وحتّى يبرّر الشباب والفتيات لأنفسِهم ولأنفسهنّ إقامة علاقة ما بينهم انتشرت عباراتٌ تفلسف وجودَها وتقنّن قيامها.

«خلّونا نعيش حياتنا ونخوض تجاربنا بنفسنا»،
«تجربة حلوة وجميلة ستفيدني في اكتساب خبرتي»،

«كلّ البنات بتحبّ، إشمعنى أنا اللّي مش حأحب؟»،

«أنا كبير وعارف إيه اللّي ينفعني»..

«هو فيه ولد دلوقتِ مالوش بنت؟»..

«أنا محتاجة أشعر بالحب»،

«أنا محتاجة مَن يشعرني بأنوثتي»،

«أنا عايز أحبّ واتحبّ»..

..نعم شاعت هذه العلاقات..

، ولكن..

إنّ شيوع أمر ما لا يُعطيه شرعيّة؛ فقد شاع في الجاهلية وقبلَ الإسْلام عبادةُ الأوثان ووأد البناتِ والزّنا وشرب الخمر، فهلْ هذه الأفعال الشّائنة تكتسبُ شرعيّة لكونها شائعة؟

في هذه العلاقة يشعرُ الشابّ والفتاة ب «المتعة« و«اللذّة»، ولكنّها «متعة« موقوتة قريبة النهاية لا تعرف استمرارًا، و«لذّة« ملتهبة مليئةٌ بالتّوتر لا تبعث على استقرار. إنّها «نار يا حبيبي نار»،

إنّها متعة ولذّة تكسبهما «خبرات حياتية« سلبية، و«تجارب شخصية« أليمة بما يؤثر ولا ريب على سلامة وصحّة قرار الزّواج فيما بعد عندما يتقدّم الشابّ ليخطب أو عندما يطرق باب الفتاة خاطب.

إنّ ما نراه في وقتنا الحاضر من استباحةِ بعض الشّباب لأنفسهم العبثَ مع الفتيات واللهو معهنّ، والتمتّع بهنّ، واللّعب بعواطفهنّ في غير نيّةِ زواج، وذلك ببذل الوعود لهنّ وسكب الأماني الحالمة والتوسّع في

الحوارات الدّفيئة والمشاعر الرّقيقة، فتتورّط الفتاة بتأثير سحر هذه الكلمات وحُسن صياغة تلك العبارات في علاقة عاطفيّة تورطًا مجهولَ العواقب.

كما سمحت بعضُ الفتيات لأنفسهنّ أنّ يعربْن عن مشاعرهنّ وعواطفهنّ تجاه الشباب بتبجّح صارخ، ويحاولنَ التعرّض لهم، والسّعي لمصاحبتهم، تحت أيّ دعوى، وبشتى وسائل التعرض والمصاحبة، التي تنتهك خلالها أستار الحياء، ويرخص الغالي، ويستباح العرض، وتنزلق الفتيات إلى ما يجلبُ لهنّ الازدراء والمهانة، وكلّها أمور خارجة عن إطار الفطرة السوية والدين القويم، وعن آداب المجتمع وقيمه.

، أنّ كلّ ذلك هو الحرام بعينه،
إنّ اختلاء شابّ بفتاة أجنبية عنه هو أمرٌ حرام، منهيّ عنه شرعًا بإجماع العلماء، ولا اجتهاد فيه ولا تأويل ولا فلسفة، فالحلال بيّن والحرام بيّن،
، ولكمْ جرّت هذه الخلوة من بلايا، والشّواهد من حولنا أكثر من أنّ تحصى.

٢) الفارقُ بين الشابّ الجادّ في الزّواج والشابّ العابث اللاهي:

لا بدّ وأنْ تعلم الفتاة الفارقَ بين الشابّ الجادّ الرّاغب فيها كزوجة، والشابّ العابث اللاهي بها كلعبة، فالفارق جدّ شاسع وواضحٌ للغاية، ورغمَ ذلك فكثيرٌ من الفتيات وقعْنَ صرعى الشباب العابث اللاهي، وهنّ يعتقدن أنّهم جادّون وراغبون في الزواج منهنّ.

ومِن أهمّ وأعمّ هذه الفوارق ما يلي:

- الشابّ الجاد يدفع ثمنَ حبّه من ماله ووقته، فتراه يستجمع ما لديه من أموال لجلب «الشّبكة» المناسبة، وتوفير سكن الزّوجية الملائم، وتقديم الهدايا، وتأثيث عشّ الزوجية موفرًا لمن يرغبها زوجةً كلّ ما في وسْعِه من أسباب مادية ونفسيّة لتشعر في ظلّه بالأمان.

أمّا الشابّ العابث اللاهي فلا يملك أو يدّعي أنه لا يملك من مقوّمات الزواج شيئًا، ويكتفي بإغداق الكلمات المعسولة مُغازلًا، وعبارات الوعود بازلًا، وما أيسرَ ذلك على أيّ شاب، فهو لا يغرم شيئًا من أجل «حبّه»، ولكنّه يوهم بتوفير الأمان وهو لا يملك مقدّماته ولا مقوّماته.

- الشابّ الجادّ لا يستنكف إعلان حبّه لفتاته أمام الملأ، بل يشرّفه استعلان هذا الحبّ لأهله وأصدقائه وأقربائه ومعارفه، فهو يطلب الحلال،

أمّا الشابّ العابث اللاهي فلا يجسرُ على إعلان حبّه على الملأ، أو يكتفي بإعلانه في نطاق ضيّق، فهو مُنتعش منتفش بالحبّ الخفي، متقلّص منكمش عند الحبّ العلني.

- الشابّ الجادّ طريقُه معروفٌ واضح، ليس فيه أنّ يقابلها ويحادثها ويعدها ويواعدها ويغازلها بينه وبينها، طريقُه معروفٌ واضح، وهو أنّ يتّجه إلى بيت أبيها مصطحبًا أهلَه طالبًا يدَها، ومقدّمًا ما يقرّبها منه شارحًا ظروفه بكلّ صراحة وشفافية.

أمّا الشابّ العابث اللاهي فلا يجسر على اصطحاب أهله، ويتّجه بهم إلى بيت مَن يدعي أنه يرغبها زوجة، ولا يقوى على طرق بابها طالبًا

يدَها، متذرّعًا بحجج قد تقتنع بها الفتاة الواقعة تحت سكرة الحبّ، مثل: «أنا لسّه مش جاهز»، «أبوكِ سيرفضني لإنّ دخلي بسيط»، «الظروف الآن لا تساعدني».

- الشابّ الجادّ «رجل» ناضج، يملؤه الشّعور بالرجولة؛ لأنّ ال«رجل» الناضج يعطي لنفسه الحقّ في الحبّ والإعراب عنه والتّمادي فيه حينما يمتلك القدرة على تحمّل مسئوليات الحبّ وتبعات الحبّ ونفقات الحبّ..

أمّا الشابّ العابث اللاهي، أو الصّغير المراهق، فهو مجرّد «ذكر» يعطي لنفسه حقّ الحبّ والإعراب عنه «لحبيبته»، ويريد أنّ ينهل من جانبه الحلو فقط، ولكنّه لم يمتلك بعد المقومات التي تعينُه على تحمّل مسئوليات الحبّ وتبعات الحبّ ونفقات الحبّ.

٣) علاقةٌ خفيّة بين الحرامية:

لا يصحّ أبدًا أنّ تبدأ العلاقة بين الشابّ والفتاة في الخفاء في منأى عن سمع وبصر الكبار، بل روْعتها في أنّ تكون في الضوء والعلن.

فمِن تداعيات العلاقة الخفيّة بين الشابّ والفتاة جلب الشعور بالتوتر:

هي: «أنا مترددة...».

هو: «أنا مش قادر أعيش من غيرك، بس هذا ليس الوقت المناسب لكي أتقدم لكِ..».

وما يجرّه من مخاوف:

هي: «أنا خايفة من بابا لو عرف ما بيننا..».

هو: «مش لازم حدّ من أهلك يعرف حبنا..».

وما يتبعه من توقّعات لشرور ربما يضخّمها الخيال:

هي: «لو بابا عرف إني على اتصال بك حيدبحني ويمنعني من الخروج من البيت..».

هو: «سيرفضني أهلك لأنّ ليس لدي عمل أتكسب منه..».

وكلّها مشاعر ومخاوف وسلوكيّات سلبية تجلب الضيق والاضطراب والتردّد والخوف وتوقع الأسوأ دومًا. وهكذا حالُ كلّ مَن يسير عكس تيار الشرعية والفطرة السوية وآداب الدين والمجتمع، هكذا حال كلّ مَن يفعل في الخفاء ما لا يجوز فعله إلّا في العلن.

ولأنّ الغيب لا يعلمه إلّا الله عز وجل فقد تنتهي هذه العلاقة الخفيّة بالافتراق، وعندئذ قد لا يضار الشابّ قدرَ الضّرر الذي يلحق بالفتاة. أمّا لو توّجَت هذه العلاقة الخفيّة بزواج فكثيرًا ما سيذكر الزّوج، ناقص المروءة أثناء احتدام بعض المشاكل التي لن تخلو منها حياة زوجية ما فعلته زوجتُه من تجاوزات قبل ارتباطه بها كسعْيها الدّؤوب خلفه لتناله كزوج، وما بذلته من ألوان متعدّدة من التنازلات لأجل نيْل رضاه، حينئذ ستندم على ما أقدمت عليه في الماضي، وتتمنى لو أنّ الأرض انشقّت وابتلعتها قبل أنّ يذكر ذلك.

ما يجرّه الخفاءُ من بلايا وخطايا:

إنّ اتّفاق الشابّ مع الفتاة على الارتباط بها بمعزلٍ عن أبويها وكبار عائلتها؛ قد أوقعها في سلسلةٍ من الأخطاء تكفي إحداها لتقويض البيت قبل بنائه، منها ما يلي:

أوّلًا: غاب عن الشابّ والفتاة أنّ الزواج في حقيقته اندماجٌ بين أسرتين، وسيخلف من ورائه بمشيئة الله بنين وبنات لهم أخوال وخالات وأعمام وعمّات وجدود وجدّات، إنه ليس كما تختصره وتقلّصه بعض الثقافات والفلسفات والمسلسلات والروايات اندماج بين شخصين اثنين وفقط.

ثانيًا: لم يحترم الشابّ أنوثةَ الفتاة وحياء الفتاة، فأباح لنفسه التحدّث معها في أمر من أخَصّ خصائصها، وهو مازال أجنبيًّا عنها، وفي موضوع لا ينبغي تداوله إلّا مع ولي أمرها أو رجل من أهلها حفاظًا على أنوثتها وحيائها.

> **إنّ عدم احترام أنوثة الفتاة ينزعُ عنها أجمل ما فيها ويهتك أروعَ ما لديها، وهو أنوثتها، وإنّ الخاسر الأكبر من جرّاء نزع وهتك أنوثة المرأة هي المرأة ذاتُها ثمّ زوجها بعد ذلك، فلا ظلّت هي أنثى تستمع بأنوثتها ولا حظيَ هو بأنثى كما تمنى.**

كما أنّ تجاهل الحياء عند التعامل مع الفتاة يعمل على ذبح حيائها بالفعل، وإنّه من العسير وقد يرقى لدرجة المستحيل أنّ يئوب الحياءُ بعد هدره، فالحياة للفتاة السويّة في الحياء، كما قال الشاعر:

إذا لم تخَــش عاقبة الليالي ولم تستحِ فاصنع مـا تشاء
فـلا والله مـا في العيش خير ولا الدّنيا إذا ذهــب الحياء
يعيش المــرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

ثالثًا: لم يحترِم الشابّ رجولتَه، فحديثُ الرجل الشابّ مع الرجل ولي أمر العروس هو احترام لرجولته؛ لأنّه يخطب عروسه من رجلٍ مثله، وسيأخذ الردّ من رجل مثله، فرجل لرجل. أمّا أنّ يطلب من فتاةٍ الزّواج منها فتردّ عليه بالإيجاب، أو تطلب منه أنّ يعطيها وقتًا للتفكير أو ترفض طلبَه للزواج منها؛ فذاك أمرٌ يقلّص من رجولته كثيرًا، أو هو دليل على نقصٍ في معاني الرجولة لديه.

مثال:

هو: تتجوّزيني يا ميرفت؟

هي: مش انتَ اللّي ترفض يا هاني.

أو تجيبه قائلة له: إنت فاجئتني يا هاني، سيبني أفكّر شويّة، وبعدين أردّ عليك.

أو ترفضه قائلة: لأ يا هاني، مش انتَ الستايل اللّي بافكّر فيه.

رابعًا: حمّل الشابّ الفتاةَ فوق ما تطيق من وظائف الرّجل ومهامّ الرجل ومسئوليات الرجل، فقد طلب منها أخذ قرار خطير وحدها، والسّير فيه دون عون أو استشارة من ولي أمرها وسائر أهلها، وبالمستقبل أنّ صارت هي زوجته سيظلّ على ذات الوتيرة فسيُحَمّلها

ما لا تطيق من وظائف ومهامّ ومسئوليات الرجال، فبئس الحياة بجوار مثل هذا الرجل.

إنّ المرأة بطبيعتها الأنثوية لا تقوى في كثيرٍ من الأحيان على اتّخاذ القرارات وتحمل تبعات هذه القرارات، فهذه المقدرة في العادة اختصّ الله سبحانه وتعالى بها أغلب الرجال دون أغلب النّساء، إلّا في ظلّ ظروف قد تجبرُ المرأة على تحمّل واجبات الرّجل ومسئوليات الرجل وحدها حالَ فقْد الزوج بطلاقٍ أو وفاة. والحكمةُ من ذلك ألّا يكون في البيت الواحد اثنان يقرّران، فيحدث الشّقاق وعدم الوفاق، فما من مكانٍ به قائدان إلّا وفسد أمره، وحلّ به الخلاف والفرقة.

فإذا ما قرّرت الفتاة وحدها، وأصرّت على الزواج بشابّ معين رغم أنف أهلها فستتحمل غالبًا نتائج هذا القرار وحدَها، ولن تتجاسر على إشراك أهلها في حلّ مشاكلها المستقبلية مع ذلك الزّوج، وستتجرّع معظم آلام تبعاتِ هذا الزواج وحدها، لقد خسرت دعم أهلها لها منذ البداية بهذا العمل الانفرادي خسرانًا كبيرًا، وبالتّالي ستقف في الغالب وحدها لتصارع مستقبلًا مجهولًا، وهل تقوى فتاة أيًّا كانت قوّتها على ذلك؟

وهنا لفتةٌ واجبة للآباء،

«لا تجعل ابنتك رسولًا بينك وبين مَن يريد خطبتها».

، كيف ذلك؟..

في المجتمعات التي يكثرُ بها الاختلاط قد يطلب الشابّ من الفتاة يدها من نفسها قبل أنّ يرى وليّ أمرها، فتخبر الفتاة وليَّها بأنّ هناك

شابًّا رآها ويريد خطبتها، فيطلبُ منها وليها أنّ تخبره أنه لا مانع لديه من أنّ يتقدّم إليها.

، وهذا خطأ كثير الحدوث،
إنّ وليّ أمر الفتاة بهذا الطّلب يكلّفها بما هو ليس دورها، وبدأ يقحمها في طريق ليس طريقها، وحَمّلها بما هو فوق طاقتها.

إنّ التصرّف الأمثل يكون باستلامه زمام الموضوع كلّه، وذلك بإخبارها أنّه إذا تواصل معها الشابّ ثانية فعليها أنّ تقول له: «كلامُك مع بابا»، ولا بأس أنّ تقول له: «والدي طلب منّي أنّ أعطيك رقم هاتفه لتتحدّثا معًا»، فإذا عاود السّؤال: «أودّ أنّ أعرف هل ستقبلينني حينما أتقدّم إليك أم لا؟»؛ فعليها أنّ تجيب: «ستأخذ الردّ من بابا»، وستبقى الفتاة إكرامًا لها في منأى عن الحديث في شأن خطوبتها وزواجها مع غير وليّ أمرها وأهلها، فهو الحديث الذي يجب أنّ يدور بين أبيها وبين مَن يريد الزواج منها.

خامسًا: أنّ الشابّ يعلّم الفتاة منذ اللّحظة الأولى تجاهل وجود وليّ أمر لها، وعاملها وكأنها لا أهلَ ولا ولي أمر ولا كبير لها، وأنّها من الممكن أنّ تفعل ما تريد دون الرجوع إلى ولي أمرها وكبيرها، إنّه بذلك يدرّبها عمليًّا على تجنيب هذا الولي أو الكبير في أمر هو من أخصّ مهامّه.

..إنه بذلك يهدر قيمة كبيرة.

قيمة وجود وليّ أمر للفتاة تدين له بالطّاعة في غير معصية، ولا تتصرّف إلّا بعلمه، وسيدفع هذا الشابّ- ولا ريب- ثمنَ إهداره لهذه القيمة غاليًا إذا ما تزوّجها وأصبح هو ولي أمرها، فستتجاهله فيما تفعل، ولن ترجع إليه عندما تتحرّك وكأنّه ليس كبيرها وولي أمرها، فلا يلومنّ حينئذ إلّا نفسه، فقد أهدر قيمةَ وجود وليّ الأمر للفتاة وغرس فيها تجاهل ولي أمرها من قبل.

سادسًا: إذا اتّفق شابّ مع فتاة على الزواج متجاهلًا وليّ أمرها راسمًا معها خطط المستقبل، ناصحًا لها بعدم اشراك أهلها إلّا في الوقت الذي يراه هو مناسبًا، ومظهرًا نفسه وكأنه الأمين عليها من دون أهلها، الحريص على مصلحتها، وأحيانًا يشعرها أنّه المنقذ لها من بين براثن ذويها؛ وهذا كله في الغالبية العظمي من الحالات غيرُ صحيح بالمرّة، وفيه خداع واضح وتغرير فاضح، فقد عاشت الفتاة وسطَ أهلها سنوات طوال قاموا أثناءها برعايتها وحمايتها والإنفاق عليها وتعليمها وعلاجها ودعْمِها بالرأي والمشورة وأمدّوها بالنصح والإرشاد وأحاطوها بالرعاية والحنان والحبّ، أتحتاج بعد ذلك إلى منقذٍ ينتشلها منهم؟

سابعًا: هل يرضى الشابّ أنّ تفعل معه ابنته بالمستقبل ما فعلته أمّها مع جدها عندما تجاهلته في أمر زواجها من أبيها؟ بالقطع لن يرض بهذا الوضع مطلقًا، فكيف يفعل مع آخرين أفعالًا لا يقبل أنّ تحدث معه؟ أنّ في ذلك دلالةً على أنّ به أنانية أو عدم تقدير للآخرين، أو أنه

يرى في نفسه ما لا يراه عند الآخرين، وفي هذا عَوارٌ أخلاقي ستعاني منه فتاته بالمستقبل إذا أصبحا زوجين.

ثامنًا: أنّ الاتفاق المسبق بين الشابّ والفتاة ستجعله متيقنًا من الارتباط بها، خاصة عندما تبدي له تعلّقها الشديد به ورغبتها القويّة في الزواج منه وتحديها كلّ المعوقات التي تقف حائلًا بينها وبينه، الأمر الذي سيزيد من ثقة هذا الشابّ أنّ تقدّم لخطبتها في قبول أهلها زواجه منها وكأنه أمرٌ مفروغ منه ومنتهٍ البتُّ فيه، ممّا يجعله يقف أمام ولي أمرها ولسانُ حاله يقول «موافقتك حتميّة، سأتزوّجها يعني سأتزوّجها»، وهو أمرٌ أولًا وأخيرًا ليس في صالح الفتاة أنّ عاجلًا أو آجلًا؛ لأنّه يحطّ كثيرًا من قدْرِ ودور ولي أمر الفتاة قبل وبعد الزواج، ويضعه في موقف لا يستطيع أنَّ يستريح في تفاوضاتٍ ما قبل الزواج، ويقلّص دوره في التدخل لحلّ المشكلات وفي أخذ حقوقها منه أنّ دعت الحاجة لذلك لا قدّر الله بعد الزواج.

تاسعًا: ثمرةُ العلاقة بين الشابّ والفتاة التي تتمّ في الخفاء بعيدًا عن أولياء الأمور مجهولة المآل أو مرّة المذاق، وقد تنتهي في حال رفض الأسرتيْن لهذا الزواج أو وجود حوائل أخرى بالوقوع في الزّواج العرفي الذي انتشر بين الشباب والفتيات في الآونة الأخيرة وبالذات بين طلبة وطالبات الجامعات.

إنّه «زواج» يتمّ في منأى عن الآباء والأمهات، عن الأقارب والجيران، عن الأحباب والخلّان، «زواج» ينمّ عن ضيق أفق وأنانية

وعدم تحمّل مسئولية مَن يقوم به ومَن يشجعه ويستحسنه، كما أنّه يكشف عن قدر الضّغوط التي تعتصر الشباب والفتيات، ولكنها على قسوتها لا تبرّر زواجهم عرفيًّا، كما يدلّ على عجز هؤلاء الشباب والفتيات عن سلوك الطريق القويم لتخفيف ضغوط الحاجة إلى الزّواج ومحاولة التعامل معها بالأساليب الصحيحة.

وهل يحقّق الزواج العرفي حلمَ الفتاة بليلة زفافها التي تمنّت في حلمها طوال عمرها بأن تكونَ ليلة كبيرة يشهدها الأهلُ والأحباب والأقارب والأصدقاء والجيران بكلّ ما فيها من فستان فرح وغناء وإنشاد وزفّة وقاعة وزينة وأضواء وضوضاء؟

وأينَ رجولة الشابّ وأنوثة الفتاة إذا رضيا بزواج الخَفاء لمجرد الاشتهاء؟ وأين فرحة الأهالي بزواج الأبناء والبنات الذي يتمّ في الخفاء وراء الحجب والأستار؟

إنّ الزّواج العرفي يدلّ على ضيق النّظرة ومحدودية الأفق «للعروسين» لأنّ ما هو مجهول الآن سيصبح- أنّ عاجلًا أو آجلًا- معروفًا لدى الناس، أتظنّ الفتاةُ المتزوّجة عرفيًّا أنّ أمرها لن يكتَشَف، وأنّ خروجها المتكرّر والمتّصل لتلتقي «بزوجها» لن يلحظه أحد، أو أنّ التغيرات التي تحدثُ بجسدها عقب «زواجها» لن يشعرَ بها أحد؟!! أتظنّ تلك الفتاة أنّ حياتها مع «زوجها» لن يتخلّلها بعضٌ من المشاكل

التي تحتاج إلى وقوف أهلها بجوارها لدعْمِها حتى تتجنب مشاركتهم فرحتها بزفافها، لقد تصدّت وحدها لأمر زواجها، وستتصدّر وحدها لحلّ مشاكلها معه بالمستقبل، ويا لها من نكبة كارثية.

أيّها الشباب، أيّتها الفتيات، أنّ أردنا نهاية صحيحة لإقامة علاقة زوجية طاهرة عفيفة فعلينا بالبداية الصحيحة؛ لأنّ، صحّة النهايات من صحّة البدايات.

عاشرًا: أنّ «استعجال النّاس لأرزاقهم يوقعهم في الحرام»، قولة قالها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حينما عهد إلى رجلٍ بحراسة ناقته حتى يؤدّي صلاة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، ولما انتهى رضي الله عنه من صلاته وخرج من المسجد وجدَ الرجل قد سرق خطام النّاقة (ما يربط برأس الناقة ليسهل انقيادها) وتركَها، فطلب علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أحد الرّجال شراء خطام لناقته من السّوق، وأعطاه أربعة دراهم ثمنًا له، فلمّا أتى الرّجل بالخطام نظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الخطام وقال: «سبحان الله، إنّه هو» (يقصد خطام ناقته)، ثمّ أردف قائلًا: «والله إني كنت معطيهم إيّاه (يقصد أنّه كان ينوي إعطاء سارق الخطام الأربعة دراهم مقابل حراسته لناقته) ولكن استعجالَ النّاس لأرزاقهم يوقعهم في الحرام».

لقد حصل الرجلُ على الدّراهم الأربعة التي كتبها الله له منذ أنّ كان في بطن أمّه، ولكنّ استعجالَه لرزقه جعله يحصلُ عليهم بالحرام، ولو صبر قليلًا لحصل على هذه الدراهم بالحلال في ذات الوقت.

، وكذلك أيضًا استعجالُ الشابّ والفتاة للزّواج قد يوقعهم في الحرام.

والاستعجال المقصود به هنا هو سلكُ الطّرق غير الشرعية في الحصول على شريك الحياة، حتّى لو كان الشابّ أو الفتاة قد بلغا من العمر مبلغَه، فذلك التأخّر في الزواج ليس مبررًا لفعل ما يغضب الله، فالوقت الذي حدّده الله وقدّره للارتباط لم يأتِ بعد، والشاب عليه بعد الدعاء أنّ يسعى ويدأبَ في البحث عن العروس الصّالحة التي تقرّ بها عينُه ويسكن بها قلبه، أمّا الفتاة فعليها بالصّبر والدّعاء ليطرق بابها مَن يليق بها ويريح بالها.

لقد كتب الله سبحانه وتعالى للشابّ أنّه في ساعةٍ ما بيوم ما سيسير جنبًا إلى جنب مع فتاة وقد استحوذت علىً قلبه واستحوذَ على قلبها، فإنْ كان صالحًا متّقيًا ربّه فسيأتي هذا اليوم الذي قدره الله تعالى والفتاةُ التي تسير بجواره ستكون زوجتَه وحلاله.

كما كتب الله سبحانه وتعالى للفتاة أنّها في ساعةٍ ما بيوم ما ستسير بجوار رجل وقد احتلّ في قلبها مكانًا واحتلّت في قلبه مكانًاً، فإنْ كانت صالحة تتقي ربّها فسيحلّ عليها هذا اليوم الذي قدره الله تعالى والرّجلُ الذي يسير بجوارها سيكون زوجها وحلالها.

أمّا أنّ كان الشابّ أو الفتاة على غير هدى من الله فسيسيرا جنبًا إلى جنب في اليوم الذي كتبه الله لهما أيضًا، ولكنْ في خلوةٍ محرّمة شرعًا،

منزوعة البركة، مملوءة بالخوف والترقّب والهمّ، وإنْ بدت في ظاهرها غير ذلك.

حادي عشر: قد تتمّ هذه العلاقات بين الشباب والفتيات في بعض البيئات تحت سمع وبصر بعضٍ من الآباء والأمّهات فيرضخون لهذا الوضع مرْغَمين مستسلمين بعد جولات من المقاومة والمجاهدة، أو يوافقوا عليه مشجّعين مرحبين!!، وفي هذه الحالة تكتسي هذه العلاقة نوعًا من «الشّرعية» وسببًا للبقاء والاستمرار، وإذا ما نصحت الشابّ أو الفتاة ردّ عليك قائلًا: «أنا راضي وأبوها راضي وأنت مالك يا قاضي»، إنّه مثَلٌ دارج يبين أنّ الأطراف كلها راضية إلّا أنت، مع أنّك لست طرفًا، ومن المفترض ألّا تحشر نفسك فيه.

قد أشفقُ على الآباء عندما يعجزون عن تقويم أولادهم حينما يقيمون علاقات مع الجنس الآخر، ولكنّي لا أعذر الآباء الذين هُم في غفلة عن أولادهم الذين يكبرون وإلى الجنس الآخر يتطلّعون ويسعون، كما أتعجّب من هؤلاء الآباء الذين يبرّرون ما يقيمه أولادهم من علاقات بالجنس الآخر، فتسمعهم يقولون:

«علشان البنت تتجوز»،

«الزمن تغير والشباب شباب»،

«خلّيهم يفرحوهم يومين»،

«بدل ما يعملها من ورانا يعملها قدامنا»،

«خلّيهم يجرّبوا بنفسهم علشان يعرفوا»،

«بكره يعقلوا»،

«كلّ واحد يتصرف مع نفسه فهو لم يعد صغيرًا»،

«اللّي يشيل قربة مخرومة حتخرّ على راسه»..

إنّ شيوع هذه المفاهيم الخطأ عن العلاقة بين الشباب والفتيات وما يقابلها من عجز الكبار عن المعالجة أوغفلتهم عنها أو تبريرهم لها أو موافقتهم عليها؛ هو حرقٌ لقيم المجتمع ومن ثمّ خرق لسفينة الوطن، وهي السفينة التي لا يركبها الشّباب والفتيات فقط، ولكنّها راكبوها هم كلّ مَن في الوطن مِن بشر.

وما المقصود بسفينة الوطن؟

إنّها السفينة التي أشار إليها النبي صلي الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري، عن النّعمان بن بشير – رضي الله عنه – قال، قال رسول الله (ص): «مثلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضٍهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ مَن فوقنا، فإنْ يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا».

إنّها سفينة واحدة تنقل الجميع عبر عبابِ بحر الحياة، غير أنّ ركّابها توزّعوا إلى مجموعتين، فكان أنّ عمرت مجموعةٌ منهم الطابقَ السّفلي من السفينة، وآخرون الطابق العلوي منها.

لم يجدْ ركّاب الطابق السفلى سبيلًا للحصول على الماء الصّالح للشرب إلّا أنّ يصعدوا إلى سطح السفينة للأخذ من ماء النهر، فكانوا يزعجون نزلاء الطابق العلوي بكثرة صعودهم ونزولهم، ففكّر ساكنو الطابق السفلي من السفينة في وسيلة ليرفعوا عن أنفسهم مشقة الصعود إلى سطح السفينة، ومغبّة إيذاء نزلاء الطابق العلوي، فاهتدى بعضهم إلى إحداث ثقب داخل السفينة في الحيّز السفلي الذي يقيمون فيه لينالوا ما يريدون من ماء مباشرة من النهر، «فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا»، فإنْ ترك ركّاب الطابق العلوي ركاب الطابق السفلي ليثقبوا السّفينة من أجل الحصول على الماء لغرقت السفينة، وهلك جميعُ مَن عليها من الركاب، فكان لا بدّ من ركّاب الطابق العلوي أنّ يمنعوا ركّاب الطابق السفلي من خرق السفينة، فحسن النية وصفاءُ السريرة لا يُعطيان مسوّغًا شرعيًّا للقيام بعمل فيه ضررٌ للمفسد ولمن معه وللمجتمع ككل.

إنّ الذين يمارسون الإفساد والخرق بتصرّفاتهم «الشخصية« التي يمارسونها في العلن فسينتقل فسادُهم ويتسرب ويفوح وينتشر ويعمّ، فيجب التصدّي لهم ومنعهم من فسادهم وإحداث خرق في السّفينة، والذي سيؤدّي حتمًا إلى تسرّب الماء حالًا، وإلى الغرق مآلًا، كما أخبرنا

الحبّيب المُصطفى (ص)، «فإنْ يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا».

إنّه لا فرق بين الرّكاب ماداموا على ظهر مركبٍ واحد، فمصيرُهم واحد، فالجميع ناج أو الجميع هالك.

وكذلك المجتمعات البشريّة، مصيرها واحد، فهلاكُها يعمّ الجميع، ونجاتها تضمّ الجميع، والضّرر يصيب الجميع، والنفع يستفيد منه الجميع. وشيوع الصّلاح نعمة للصالح والطالح، ثمّ يوم القيامة سيحاسب كلّ امرئ وحده بصلاحه أو طلاحه، كما قال الله تعالى: (كلّ نفس بما كسبت رهينة) (المدثر: ٣٨).

ولا يقتصر الاحتراق بلظى الفتنة، وتجرّع أذاها، على الذين تسببوا فيها بظلمهم وبغيهم وفسادهم، بل تحرق الفتنة الجميعَ؛ صالحهم وطالحهم، ولقد أوضحت بعض النصوص القرآنية ذلك كقوله تعالى: (واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة...) (الأنفال: ٢٥)، ولقوله صلّى الله عليه وسلم حينما سئل: «أنهلك وفينا الصّالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»، والخبث لا يكثر إلّا إذا رآه الصّالحون المتطهّرون، فسكتوا عنه وتركوه ينمو وينتشر، ولذلك سيبقى الناس في سلام ما دام هناك مصلحون وليس صالحون وفقط، وإلى هذا المعنى يشير قوله عزّ وجلّ: (وما كان ربّك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) (هود: ١١٧).

فكلّ راعٍ أو مسئول أو كبير أو ناصح لا بدّ وأنْ يكون مصلحًا لغيره وليس صالحًا في نفسه، فكلّ هؤلاء طرفٌ في قضية الحفاظ على الوطن.

٤) الحبّ، ما له وما عليه:

إنّ الحبّ الذي يستبدّ بشابّ تجاه فتاةٍ ما، أو الذي يأخذ بلبّ الفتاة تجاه شابّ ما؛ ليس بحرام ولا يعتبر جريمة نكْراء ينبغي أنّ يعاقب عليها الشابّ ويُهمل، أو تحاسَب عليها الفتاة وتُجلد، ولكن الحرامَ يأتي من أسلوب وطريقة التّعبير عن هذا الحبّ، وفي ترجمته إلى أفعال وأقوال لا تجوز شرعًا، وتخالف الفطرة السويّة وأعرافَ المجتمع.

والحديثُ حول الحبّ لا ينقطع، ولكن ما يهمّنا هنا هو تصويب بعض المفاهيم الخطأ حوله، والتي قد تؤثّر سلبًا في بدْء الحياة الزوجية وسيْرها المستقبلي، منها ما يلي:

الحبُّ قبل الزواج، والحبّ بعد الزواج:

يعتقدُ كثير من الشّباب والفتيات حتميّة وجود حبّ جارف بين الشابّ والفتاة قبيل الزواج، والواقعُ الذي نحياه يقدّم لنا تكذيبًا واضحًا لهذا الاعتقاد رغم وجود نماذج قليلة تؤيده.

فلقد ثبت بالإحصائيّات والدراسات أنّ نسبةً كبيرة من الذين تزوّجوا بعد قصص حبّ عنيفة سمعَ بها القاصي والداني استحالتْ حياتهم بعدَ الزّواج إلى نقيض ما كانت قبله، وانتهى العديد منها بالطّلاق. كما ثبت -أيضًا- أنّ الغالبية العظمى من المطلّقين مرّوا بفترات حبّ جارفة، ظنّوا أنّها لن تبيد أبدًا، ولكنّها بمرور الأيام تعكّرت هذه الفترات، ثمّ تقلّصت فتقوّضت وانتهت، وتركت ما تركت من آلام وجراح.

يعيش أصحابُ الحبّ العارم قبل الزّواج في شبه التهاب مزمن، وتقلّب مقلق بين جنّة ونار، وفي غيبوبة تبعدهم عن الواقع، ويؤدّي التفريق بين الحبيبيْن إلى سلسلة من العذاب والآلام قد تستمرّ طوال الحياة، وقد تنتهي بتحطّم الإنسان أو بتغيّر شخصيته تمامًا.

أمّا الحبّ بعد الزواج فهو الحبّ الأصيل الدّفيء، ذو الجذور العميقة الطويلة الممتدة، وهو الذي ينمو ويعيش ويزدهر ويتطوّر، ويُلهم أصحابه تحدّى الصّعاب وتخطّي العقبات، ويضفي عليهم النّبلُ والإخلاص والعطاء والإجلال.

قد لا يعلم الشّباب والفتيات أنّ الحبّ قبل الزواج من النّوع الرومانسي الذي يجعل الإنسان يرى فيمَن يحبّ صورة الشابّ المثالي أو الفتاة المثاليّة، أمّا حبّ الزّوجين فحبّ صداقة وعشرة طيّبة، والفارق بين الصنفين كبير.

يعيش الحبّ الرّومانسي حوالي ٣ سنوات على أفضل الأحوال، ونادرًا للغاية ما يمتدّ حتى خمس سنوات، فهو صنفٌ من الحبّ لا يمكن أنّ يحياه إنسان في عالم الواقع طويلًا، كما أنّ هذا الصّنف من الحبّ وحده لا يقيم بيتًا، ولا يرعى أطفالًا، ولا يصمد طويلًا أمام مسئوليات الحياة ومصاعبها.

لقد وعى أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- ذلك عندما قال له رجل: «إنّني لا أحبّ زوجتي». فردّ عليه قائلًا: «إنّ البيوت لا تبنى على الحبّ وحده»، أجل أنّ البيوت لا يبنيها ولا يديمها ذلك الصنف من الحبّ الرومانسي.

وخلال هذه الأعوام الثلاث يتطوّر هذا الحبّ إلى حبّ الصداقة والعشرة الطيبة الأقلّ وهجًا ولكنّه الأدوم أثرًا والأبقى وجودًا، عندما فقط يصبح الحبيبان زوجيْن يظلّلهما سقف بيت الزوجية ويغلق عليهما بابه.

إنّه فارق كبير..
في المنظرِ الحبّ الرومانسي أجمل..
وفي الجوهر حبّ الصّداقة والعشرة الطيبة أقوى وأبقى.

، ولكن،

هذا لا ينفي مطلقًا ضرورةَ وجود انْجذاب وميلٍ متبادل بين العريس وعروسه حتى يتحقّق الارتباط.

أنا بحبّ وخلاص:

كثيرًا ما يفقد الشّباب والفتياتُ البوصلةَ نتيجة هيمنة الحبّ الرومانسي العارم على حياتهم، ويستبدّ بهم الشعور بأنّ هذا الحبّ الذي لا يملكون حياله دفعًا كفيلٌ بإحلال السعادة والهناء بالحياة الزّوجية، وأنه قادرٌ على إذابة الفوارق مهْما كانت واضحة، ومعالجة العيوب مهْما كانت قادحة، وإصلاح الكسور مهْما كانت فادحة و...، و...،

، أنّ هذا لهو الوهم بعينه،

وهمٌ أوقدت شعلته وسائلُ الإعلام من مسلسلات وأفلام وبرامج، وغذته ثقافات وروايات وفلسفاتٌ دخيلة تؤمن بغير الإيمان، في ظلّ تعليم هادم هارٍ يشجع الاختلاط ويؤمن بغير الإصلاح، فغاب عن الشّباب والفتيات ما هو صحيح وصائب.

إنّ رغبة فتاة بالزواج من شابّ لمجرّد أنّها تحبّه حبًّا رومانسيًّا جارفًا، وهي تعلم جيدًا أنّ به العديدَ من المشاكل المفجعة مثل مغامراته النّسائية المتعددة، أو إدمانه تعاطي المخدرات، أو غيرها من المآسي اللادينية واللاأخلاقية، معتقدةً أنّ هذا الحبّ الذي تفيض به عليه أو يفيض به عليها سيصلح مِن شأنه، وسيهذّب من أخلاقه، ويغيّر من حاله، وأنه قد وعدها بأنّ حاله سيتبدل بمجرّد زواجه منها، وأنّ حبّه لها وحبّها له سيهذبه ويشذبه ويهديه؛ لهي فتاة ساذجة أسيرة الأوْهام، متجاهلة حقيقة مهمّة وحاسمة وهي أنّ هذه العيوب الخطيرة ستحرمها من تطوير حبّها الرّومانسي الجارف قصير الأجل هذا إلى حبّ الصداقة والعشرة الطيبة الأكثر ديمومة وثباتًا.

فإنْ لم يمتلك هذا الشابّ الذي أحبّته الفتاة وتزوّجته على «حبّ»– رغم عيوبه القادحة الفادحة– أسبابَ تطوير هذا الحبّ الرومانسي ونموّه إلى حبّ الصداقة والعشرة الطيبة؛ فسينطفئ لهيب هذا الحبّ الرومانسي ويخبو مع الأيام، ثمّ ينزوي من الحياة، وسيخلف وراءه نيرانَ مستعرة ستظلّ الفتاة تستنشق دخانَها وتسفّ رمادها آمادًا طوال ما بقيت معه

زوجة. فلقد بدأت هذه الفتاة حياة زوجيّة لا تحمل معها أيّ سبب من أسباب البقاء والنّماء، حياة زوجية آفلة منذ بدايتها، ميّتة قبل مولدها، وستنتهي في الغالب سريعًا بنهاية مأساوية، أو قريبًا من ذلك.

وكذلك الحال- أيضًا- بالنسبة للشّاب عندما يغضّ الطرف عن العيوب الصارخة للفتاة التي يودّ الارتباط بها بدعوى أنّه يحبّها حبًّا شديدًا، ولا يستطيع العيش بدونها، رغم أنّه يعلم ما يشين سلوكياتها ويقدحُ في أخلاقها، وما ينتقصها من دينها. ولقد حذرنا الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- من خضراء الدّمَن، وهي المرأة الحسناء التي نبتت في بيئةٍ سيئة، فزواج الشابّ من أمثال هذه الفتاة هو دفن لمستقبله وانتحارٌ لآماله في عيش هنيء.

إذا طغتِ الرّغبة في الارتباط بأيّ شخص على الرغبة في الارتباط بالشخص المناسب
فلنْ تجني إلّا تعاسة مؤكّدة مؤلمة ومزمنة.

وللحبّ مساوئ:

يظنّ الكثير أنّ الحبّ كلّه محاسن؛ لما يضفيه من بهجةٍ تغمر النفس، ولكنّه ليس في هذه الدنيا ما هو كلّه محاسن، كما ليس فيها ما كلّه مساوئ، فللحبّ الجارف محاسنه التي استفاض فيها النّاس منذ الأزل وصفًا وشرحًا وكتابة ورواية وشعرًا وتسجيلًا وتصويرًا وتمثيلًا وتهويلًا وتضخيمًا، وله مساوئ يجب دقّ ناقوس خطرها حتى يستبين أمرُها، والتي منها ما يلي:

١- الكتمان: أنّ العريس (أو العروس) الغارق (الغارقة) في الحبّ الرومانسي الجارف لا يقوى على مصارحة حبيبه بما يضايقه من أقواله وأفعاله خشية أنْ يجرح مشاعره أو يغضبه، فيكتمُ في صدره ما يغيظ، وهذا ما يحدث كثيرًا في الأيام الأولى والشهور الأولى، وربما السنوات الأولى للخطوبة أو الزواج، خاصّة من قبل الفتيات أو الشباب العاطفي.

ويظلّ الكتمان يتراكم ويتراكب مع الأيام حتّى يضيق الصدر ويقلّ الصبر مع تقدم العمر، فينطلق اللّسان بما يؤذي ويجرح، وتبدأ المشاعر السلبية تتفجّر وتسيطر وتنشيء وتسطر نغمة جديدة في العلاقة الزوجية، وينقشع الحبّ ويحلّ محله التطاول وعدم الاحترام، فيخيم على العلاقة التي كانت يومًا ما رائعةً الغيومُ والضباب، وتنتهي على غير ما نشتهي.

، هذا أحد أهمّ عيوب الحبّ الخفية،

ولذا يجب على كلّ مِن العروسين عدم كتمان ما يغضبه من أفعال وأقوال الطرف الآخر، والإعراب عمّا يستجيش بالصدر، وما يدور بالعقل من مشاعر سلبية بطريقة مناسبةٍ تليق بحبيبين كريمين لطيفين، وفي توقيت مناسب وبجرعة مناسبة.

الكتمانُ سيطرد الأمان والاطمئنان

٢ التّزييفُ وقلبُ الحقائق: يغلف الحبّ الجارف المحبوب بغلافٍ جميل خيالي مثالي، قد لا يمتّ إلى الواقع بصلةٍ ذات بال، يعيش المحبّ في أجوائه في سكْرة لا يودّ الإفاقة منها أبدًا. ويحجب هذا الغلاف الجميل خلفَه عيوبَ المحبوب، وتضعف بصيرة المحبّ إلى أقصى درجة، فتتزيف الحقائق الواضحة وتقلب الأمور إلى غيرها أو عكسها، فيعيش فيها المحب سعيدًا فرحًا مسرورًا مخدّرًا، فيصير في عينه الأمرُ العادي الذي يبديه المحبوب مزيّة، والعيب الذي يخرج من المحبوب أمرًا هينًا يمكن تجاوزه، والخطأ الذي يرتكبه المحبوب شيئًا تافهًا لا يذكر.

لقد أغلق المحبّ عقله المنطقي، وأفسح المجال لعقله العاطفي، فلم يعدْ يقوى على سماع نصيحة مِن أحد لرغبته في العيش بصفاء مع الحبّ متذوّقًا رونقه متلذّذًا بنيرانه حتى ولو كان مخدوعًا.

٣ الإصرارُ على الاستمرار رغم الأخطار: كثيرًا ما يكون الحبّ الجارف وراء إصرار الشّباب والفتيات على الزّواج من شخصية معينة إصرارًا شديدًا، فلا يستطيع (تستطيع) رؤية أي أمرٍ آخر، ولا يستمع (تستمع) لوجهة نظر أخرى، وتفشل كلّ المحاولات لإقناعه (إقناعها)، وكلّما زادتْ مواجهة هذا المحبّ ومحاولة إثنائه عن المضي في حبّه؛ كلّما ازداد إصراره.

والحلّ الأمثل في مثل هذه الحالةِ المتأزمة سواءً كان شابًّا أو فتاة هو الكفّ عن محاولات الإقناع ولا يعني هذا عدمَ إبداء النصيحة الخالصة ثمّ ترك الطرف المخدوع تحت وهم الحبّ يخوض التجربة بنفسه، تركه ليرى من خلال المعايشة الحقيقية (كالخطوبة مثلًا) أنّ في محبوبه عيوبًا لم يكن يدركها من قبل، وتنقل مسئولية هذا القرار إليه بالكامل، وستبدأ الحقائق تتكشف رويدًا رويدًا أمام الطرفين في فترة التعارف أو مقدمات الخطوبة أو في فترة الخطوبة ذاتها. وفى أغلب الأحوال يراجع الطرف المخدوعُ نفسه كليًّا أو جزئيًّا، وربما يفيق من سكرة الحبّ ويخرج من دوّامة العناد والاصرار فيتراجع عن هذا الأمر.

وفي حالة عدم تراجعه بعد بذل المحاولات المُمْكنة لإثنائه عن إتمام الزواج فلا بأس من الضّغط قليلًا على مَن أعماه الحبّ بصور مختلفة من الضغوط التي تتلاءم مع شخصيته كتهديد بعدم حضور حفل زفافه أو عدم مدّ يد العون إليه عند حاجتة، وكلها آليات مؤلمة لجميع الأطراف..

، ولكن..

، ألمُ ساعة أهونُ من ألم كلّ ساعة.

فإذا لم تفلح الضّغوط فقد يكون من الأفضل التّسليم بهذا الوضع وقبول هذا الأمر الواقع، وليتحمّل الطرف المصرّ على رأيه مسئوليته

كاملة، وفى هذه الحالة ستكون هناك خسائر ولا شكّ، ولكنّها في بعض الأحيان ستكون أقلّ من اتّخاذ الأهل موقفًا مضادًّا عنيفًا تتفكك على أثره الأواصرُ، وتتقطع بسببه الأرحام.

الحبُّ من طرف واحد:

قد يخفق قلبُ المرء بحبّ إنسان، ولكن هذا الإنسان لا يبادله حبًّا بحبّ، والقلوب لا يملكها صاحبُها، وإنّما هي بين يدي الرحمن خالق هذا الإنسان يقلبها كيف يشاء.

وبرزت أهمّية وجود الحبّ بين الزوجين في شفاعة النبي- صلى الله عليه وسلم- لرجل محبّ حتى يجتمع مع مَن أحبّها كزوجين تحت سقفٍ واحد، في الحديث الذي رواه البخاري أنّ «مغيثًا» كان يمشي خلف زوجته السابقة «بريرة» بعد طلاقها منه وقد صارت أجنبيّة عنه، ودموعه تسيل على خديه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا ابن عباس، ألا تعجب من حبّ مغيث لبريرة، ومِن بُغض بريرة مغيثًا؟ ثمّ قال صلى الله عليه وسلم لها: لو راجعتيه، فقالت: أتأمرني؟ فقال صلى الله عليه وسلم: إنّما أنا شافع، قالت: لا حاجة لي فيه». إنّ موقف النبيّ (ص) ليبيّن مدى رقّته (ص)، وأنه بعدما أيقن كرهها له سكت صلى الله عليه وسلم لأنّه عرف أنه حبّ مِن طرفٍ واحد، وهو صنفٌ من الحبّ يصعب استمراره، إلّا بمرارة.

إنّ المحبّ سيظلّ يبذل ويمنح ويعطي ويضحي وينتظر من حبيبه بذلًا ومنحًا وعطاءً وتضحية مماثلة، وسيطول انتظاره ويطول، ولن

يجبي منه ما يريد، وسيظلّ يعيش على أمل أنْ ينال من «حبيبه» مرادَه، ولكنّ هذا «الحبيب» ليس عنده ما يبذله أو يمنحه أو يعطيه أو يضحي من أجله، حتّى يفقد المحبّ الأمل ويتبدّد الحبّ ويتغيّر طعم الحياة ولونها، فيذهب الحبّ وتبقى مرارته وعلقمه.

فما العمل إذا ما أحبّ الشابّ فتاة لا تحبّه، أو إذا أرادت الفتاة الزواج بشابّ لا يرغبها؟

لا بدّ من دفن هذا الحبّ ونسيانه، والعمل على تخلية النفس منه، فهو صنفٌ من الحبّ لا يأتي بخير، صنفٌ من الحبّ لا يجلب إلّا الألم والعذاب، إنّه أقرب إلى السعي وراء السراب الخادع الذي يزيد الإنسان عطشًا، ويميته ظمأً.

أيّها الشاب، لا تُقْدم على خطبة الفتاة التي تحبّها إنْ لم تأخذ في قلبها أيّة مساحة، فذلك خيرٌ لك ولها..
يا أيّتها الفتاة، إنْ لم يرغبْكِ الشابّ الذي تحبينه ويسعى لينالك زوجةً فليذهب بعيدًا عنك خيرٌ لك وله.

٥) فهمُ طبيعة الرابطة الزوجية:

الرّابطة الزوجية علاقة فريدةٌ جامعة للضدّين والنّقيضين، بها الحبّ والعواطف، وبها الشجار والعواصف، فيها فتراتُ هناء وحبّ تتخلّلها فترات معاناة وكبد، لا تخلو من متع ملذات ولا من رهقِ

مسئوليات، هكذا الحياة الزوجية كما هي الدنيا فيجب قبولها كما هي وتطويع النفس لمعايشتها بواقعية، فنسدّد ونقارب ونعفو ونصفح، ونغضّ الطرف ونتغافل ونتغافر.

الرّابطة الزوجية شديدة الخصوصية لاكتظاظها بأسرار وخبايا بين الزوجين لا يصحّ أنْ يطلع عليها طرفٌ ثالث أيًّا كان هذا الطرف، كما أنّها ليست قاصرة على الحياة الدنيا الفانية فقط، وإنما تمتدّ أيضًا للحياة الآخرة الباقية، إنها بحقّ رابطة فريدة.

ومن أهمّ مفاهيم الرابطة الزوجية الصحيحة ما يلي:

١- الزّواج هو انتقال من «أنا» إلى «نحن»:

إنّ الزواج بطبيعته يخرج الإنسان من رحرحة الفردية وحرية ال «أنا» ويدخله في انضباط الجماعة وقيود ال «نحن». فحينما كان المرءُ عزبًا كان معتادًا على القيام بما يريد كيفما يريد وقتما يريد، يأكل ويلبس ويسعى ويفكّر بطريقته، له إرادته وآراؤه ورغباته وتصوراته التي لا يزاحمه فيها أحد.

ولكنّ الوضع بعد الـزواج يتغيّر بالكلية، فبات هناك التزام بواجبات جديدة وتحمل مسئوليات ثقيلة، والنّظر بعين الاعتبار إلى وجود شريك في الحياة، له طرقه في المأكل والملبس والسعي والتّفكير، ويتمتّع بإرادة وآراء ورغبات وتصوّرات وطموحات مختلفة يجب أنْ توضع محلّ تقدير وتوقير.

يخطئ العريس والعروس عندما يريدا أنْ يواصلا حياتهما كما كانت قبل الزواج وكأنهما مازالا وحيديْن في بيت أهليهما، يخطئا عندما لا يريدان أنْ يغيّرا أيًّا من أولوياتهما أو قناعاتهما أو عاداتهما التي ألفاها ليتواءمَا مع وضعهما الزواجي الجديد في بيتهما الجديد.

ففي أغلب حالات الخلافات الزّوجية يريد كلّ طرفٍ من شريكه أنْ يتغيّر بما يوافقه هو، وهذا فيه ما فيه من تجاهلِ الآخر والحطّ من شان الآخر وإهدار وجود الآخر، والذي يحطّ من شان شريكه ويتجاهله ويهدرُ وجوده وكأنّه يعيش وحده، فسيعيش في الغالب بعد ذلك وحده.

مَن عاش بروح ال «أنا» كان لسانُ حاله: «سأفعل ما أريد، بالطّريقة التي أريد، وفي التوقيت الذي أريد، دون أيّ اعتبار لوجود شريك بحياتي».

ومَن يعش بروح ال «نحن» كان لسان حاله: «سنفعل ما نتّفق عليه بالطريقة التي تريح من يقوم بالتّنفيذ، وفي التوقيت الذي نتّفق عليه لأننا نضع في اعتبارنا أننا شركاء حياة».

، وشتّان الفارق بين الحالتين،
قبل الزّواج، سأفعل ما يريحني
بعد الزّواج، سنفعل ما يريح كلينا

فكثيرًا ما تلجأ المرأة إلى تنفيذ أمورٍ دون علم زوجها، وحجتها في ذلك أنه دائمُ الرفض لكلّ أمر ترغبه، أو أنّه لا يستوعب احتياجات البيت والأولاد أو غير ذلك من المبررات، فقررت أنْ تفعل ما تريد دون علمه، وعلى غير إرادته وموافقته، وعليه بعد ذلك الرّضوخ للأمر الواقع، لقد قرّرت وحدها، وفعلت وحدها، فعاشت وهي معه وحدها، فستكون القاصمة أنّ تعيش بالفعل بعد ذلك وحدها.

وكثيرًا ما يرفض الرجلُ الشعورَ بأنه مكبّل ببيت ومسئوليات أسرة، فيتصرف بحرية واستقلالية وكأنّه مازال عزبًا، فإذا ما اختار هذا الطريق فسيجد بعد مرور وقت قصير أو طويل إلّا أسرة له تنتمي إليه وينتمي إليها، وسيحيا في الغالب كما أراد وفعل، وحيدًا.

إنّ ذلك نابع من تنامي الشعور بالذات وتغليب النفس على غيرها، أنّ زوجين ينتهجان هذا النّهج ليطبقان فقرة من البروتوكول العاشر من بروتوكولات «حكماء صهيون«!! الهادفة إلى هدم الأسرة وتحطيم أركانها حينما ذُكر فيه: «فإذا أوحينا إلى عقل كلّ فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمّر الحياة الأسرية بين الأمميّين (غير اليهود) ونفسد أهميتها التربوية....».

٢- الزّواج إضافةٌ وحذف:

من طبيعة الزواج أنْ يضيف إلى حياة الإنسان أمورًا حيوية ضرورية لم تكن موجودة من قبل، من سكينة واستقرار واتساع رقعة الأقارب والأنساب، وإشباع جنسي، وإنجاب أبناء، وغير ذلك كثير، وفي المقابل

سلب الزواج من حياة الإنسان مساحات من الحرية الفردية وقلّص من الاستقلال الشخصي، وزادَ من الالتزامات والمسئوليات والقيود، وغيّر من مقاييس السعادة والرّضا، والإضافة في حياة الإنسان بسبب الزّواج أكبر وأثقل كثيرًا ممّا يحذفه الزواج من الحياة.

إنّ هذا هو شأن الدنيا كما أرادها الله، ما أعطت إلّا وأخذت، وما منحت إلّا وأثقلت، وما أضافت إلّا وكبلت.

الزّواج بالنسبة للإنسان ما هو إلّا استقلال عن بيت والديه القديم ومنظومته القديمة، وانتقال إلى قيود بيته الجديد ذي المنظومة الجديدة، سيؤدّي في هذا البيت الجديد دور الراعي المسئول بكلّ ما تضفيه هذه الرعاية من مسئوليات وتبعات تضاف إلى التزاماته السابقة الخاصة ببيت والديه القديم.

٦) فهمُ نفسيّة الجنس الآخر:

لأنّ الشابّ والفتاة من جنسين مختلفين فكان ما يصلح لأحدهما ليس بالضرورة يصلح للآخر، ولذلك كان من الأهمية بمكان فهمُ نفسيّة الجنس الآخر فهمًا دقيقًا لمعرفة كيف وبماذا يفكر ويتصرّف ويشعر ويرغب ويأمل ويتمنّى ويطمح؛ حتى يمكن التعامل معه بفهم ووعي وإدراك، كما يمكن مدّ يد العون إليه، ومساعدته بالطريقة التي تناسبه.

فكثيرًا ما يبذل كلّ من الزوجين جهدَه ليساعد الآخر ويحاول دعمه ويلبي له احتياجاته ويجتهد في إسعاده، ولكنّ النتيجة غالبًا ما تكون على غير الرجا، ذلك لأنّ كلًّا منهما يساعد الآخر بالطريقة التي تصلح معه هو، ولكنّها لا تصلح مع الآخر بأي حال من الأحوال، فأمست المحصلة ازديادَ الأمور سوءًا رغم محاولات المساعدات المخلصة والمتتالية ولكنها عديمة الجدوى، بل والضّارة بالعلاقة الزوجية.

كلّ ذلك مرجعه عدم فهم نفسيّة الجنس الآخر، وبدون هذا الفهم سيكون الغموض والتخبط والخطأ (ارجع إلى الكتاب الأوّل من هذه السلسلة «شريك حياتي، من فضلك، افهمني»).

٧) مناقشةُ ثقافة الزواج في محيط الأسرة:

بعد مرور عقديْن أو أكثر من زواج الآباء بالأمّهات، يبدأ الخطّاب في طرق الأبواب يطلبون الزّواج من البنات، وتتّجه أنظار البنين وقلوبهم لخارج البيت بحثًا عن زوجات المستقبل.

وفي الغالب سيكتشف الآباء والأمّهات والأبناء والبنات آنذاك أنّ لكلّ فرد من أفراد الأسرة رؤيتَه الخاصة عن الزواج، فالأب له تصوّره الخاصّ عن عريس ابنته وعروس ابنه، والأمّ لها رؤيتها الخاصة بالنسبة لها أيضًا، وكذلك بالمثل الابن والابنة لهما تصوّرهما الخاص عن شريك الحياة، وعن استعدادات يوم الزفاف ومواصفات عشّ الزوجية، وقد تتضارب الرؤى والتصورات بين القبول والرفض لشخصيات دون

شخصيات، وأحوال دون أحوال، وتظهر الأسرة على غير قلب رجلٍ واحد، ربما في اتّخاذ قرار يعتقد كلّ فردٍ من الأسرة أنه لا يختلف عليه اثنان ولا تتناطح فيه عنزتان.

إنّه اكتشاف مفاجئ جاء بعد عقدين أو أكثر من عمر زواج الآباء بالأمهات، وبعد لحظة من تصريح الأبناء برغبتهم في الزواج من فتيات بعينهنّ، ومن بعد أقلّ من دقائق من وقت تقدم الخطّاب للبنات.

إنّ الآباء لا يدركون أنّ انتقال ابنتهما العروس إلى بيت عريسها في ليلة زفافها لم يكن هو الانتقال الأوّل إليه؛ فلقد انتقلت ابنتهما إلى بيت عريسها قبل ذلك بسنوات عديدة مضت عندما كانت طفلة صغيرة تحلم في يقظتها وترسم في خيالها صورة عريسها وليلة زفافها وفستان فرحها.

فالبنت تحلم بعريسها منذ أنْ كانت طفلة بالحضانة، أو بالصف الأوّل الابتدائي على أكثر تقدير، فلعبتُها الجماعية المفضلة كانت «عروسة وعريس» التي تتمّ بتجمع الأطفال الإناث اللائي لا تتعدّى أعمارهنّ أربعة أو خمسة أعوام حول طفلٍ صغير في مثل عمرهن، ثمّ يقمن حفل «يزفّ» فيه هذا الطفل الصغير على طفلة منهنّ، ويحضر «حفل الزفاف» هذا أطفال إناث كثيرات دون حضور الأطفال الذّكور، إنّه «زفاف» أنثوي خالص إلّا من وجود «العريس»؛ لأنّها لعبة أنثويّة خالصة تحبّها البنت وتتمنّاها واقعًا منذ طفولتها المبكرة.

وتظلّ البنت تحلم وتتخيّل وترسم في ذهنها تصوراتها وأفكارها حول عريسها وشريك حياتها، وتنزع إلى تصوّره مثاليًّا في هيئته وخلقته وجبلته ووسامته وثرائه، و...، و...، ، فتحيد وتجنح عن الواقع كثيرًا أو قليلًا.

فكيف يترك الآباء والأمّهات البناتِ يحلمن ويتخيّلن ويرسمن أزواجهنّ وحدهنّ وهم في انشغالٍ عنهن؟

ولذلك يجب عقد جلسات تضمّ الآباء والأمّهات مع أولادهم منذ صغرهم لإدارة مناقشات حول المستقبل الزّواجي للأبناء والبنات، يسردون خلالها تصوّراتهم عن أزواج وزوجات المستقبل، عبْر حوارات يزكّيها الحبّ ويملؤها الاحترام لتقريب الرؤى وتصويب المفاهيم وتصحيح الأفكار وتوجيه الأذهان وتوحيد النظرة تجاه قبولِ أو رفض عريس الابنة أو انتقاء عروس للابن بالمستقبل.

إنّ مثل هذه الجلسات تساعد كثيرًا على تلاقي المفاهيم، وتلافي حدوث تضارب فادح في الرّؤى بين أطراف البيت الواحد من أب وأمّ وأبناء وبنات حينما يتقدّم الخطّاب للبنت، ويتّجه الابن ليخطب فتاة بعينها.

كما يجب حضورُ الشباب والفتيات دوراتٍ ومحاضرات لتأهيلهم للزواج، يتعرف الشابّ على أسس اختيار العروس، وتتعلّم الفتاة الأسس التي تبني رأيها عليها من قبولها بالعريس أو رفضها له، ويطّلع فيها كلّ جنس

على ما يجب معرفته عن الجنس الآخر من طبيعة نفسيته وطرائق تفكيره وأفضل الأساليب للتعامل معه، وغيرها من المعلومات الهامّة؛ استعدادًا لخوض غمار حياة زوجيّة جديدة كلّها أمل في أنْ تكون سعيدة هنيئة.

ولا ينبغي أنْ يقتصر حضور هذه الدّورات والمحاضرات على الشباب والفتيات المقبلين والمُقْبلات على الزواج فقط، بل يجب أنْ يحضرها معهم ومعهنّ آباؤهم وأمهاتهم جنبًا إلى جنب، حتّى يخضع الجميع لبرامج واحدة تسهل التّقارب والانسجام، ويعرف كلّ منهم دورَه وحدوده في آليّات الخطوبة وعقد الزواج وإتمام الزفاف وما بعده.

(ب) الفلسفاتُ المدمّرة:

زرع أعداءُ البشر من شياطين الأنس والجن ومازالوا يزرعون فلسفات منحرفة بُنيت على تلطيف الحرام، وإكسابه ثوب التمدّن والتقدم، فلسفات قادتها الشّهوات والنزوات فدمرت أقوامًا وأممًا سابقة تدميرًا، ومازالت قادرة على تدمير أقوام وأممٍ لاحقة، والحال يغني عن المقال.

لقد أفصح الشيطانُ عن أدوات خطّته لغواية ابن آدم أملًا في أنْ يكون رفيقه في جهنم عندما أوضح القرآن الكريم قولته: (قال ربّ بما أغويتني لأزيننّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين إلّا عبادك منهم المخلصين) (الحجر: 39-40).

إنّ خطة هذا الملعون تنحصر في تزْيين الحرام وتجميله وإعطائه أسماء برّاقة لمسميات محرّمة، فالخمور مشروبات روحيّة، والرّبا فائدة، والخنا عصرية، وتعرّف الشباب على الفتيات.. وقيام نوعٍ من العلاقات معهنّ خبرة ضرورية، وإظهار أجساد الإناث عارية موضة، وأنّ العلاقة بين الشابّ والفتاة أنْ كانت «بريئة» فهي دليلٌ على تمدّن وحضارة وحرية.

لقد بنى الملعون خطّته على فلسفات باطلة ترمي إلى استباحة الاختلاط والاندماج والتعامل المباشر بين الرّجال والنساء بلا ضرورة سوى إرواء ما في النفس من رغبات وشهوات، فلسفات أهْدرت قيمة الإنسان وحرية الإنسان وكرامة الإنسان بدعوى أنّها تمنح الإنسان قيمته وتهبه حريّته، وتغذّي من إنسانيته وتحقّق له كرامته، فلسفات أوهمت الإنسان أنّها تسمو به فوق إنسانيته، والحقيقة أنّها أنزلته منازل أدنى مِن التي للحيوان.

وعلى النقيض من ذلك اكتسى مَن يتمسّك بالمبادئ والقيم أسماء منفرة للغاية، فـ«المتخلفة» هي التي لا تعرف الشباب ولا تقيم معهم علاقة، و«الرّجعي» هو الشابّ الملتزم الذي يرفض الاستهتار، و«عادي» انصهار الفتيات مع الشباب في علاقات محرمة.

وهكذا لا يُقْدم الإنسان على اجتراح الخطايا إلّا وعليْه من الشّيطان مسحة تزيّنه وتجمّله وتظهره على غير حقيقته، فأمسى الأبيضُ أسود،

والأسود أبيض في عين فرائس الشيطان وضحاياه، فتنخدع نفوسُهم الواهية الصّلة بالله تعالى فتسقط في الغواية تحت أيّ مسمى. ولن ينجو الإنسانُ من هذا الكيد إلّا أنْ يكون في زمرة عباد الله المخلصين.

ومِن أهمّ الفلسفات الباطلة التي نفخَ الشّيطان في كيرها فأضلّت شباب وفتيات كثر ما يلي:

١) علاقتنا «عادي»:

كثيرًا ما يبرّر الشباب والفتيات مرافقتَهم لبعضهم البعض ومكْثَهم في خلوة معًا بأنها صداقة بريئة، أو علاقة «عادية».

اسأل نفسك- أيّها الشاب، أيّتها الفتاة- هل علاقتك بالفتاة (بالشاب) عادية؟ أم أنّ الهوى له دخل كبير في استمرارها وإنمائها؟

ثمّ أتوجّه بسؤال آخر للفتاة: إن كنتِ تعتبريه مثل أخيك فمَن يضمن لك أنه يعتبرك مثل أخته وينظر إليك كنظرته لأخته؟ ثمّ، أيرضى هذا الشابّ لأخته أنْ ترافق مَن تعتبرهم مثل أخيها؟ أم تراه يثقُ في نفسه وفي أخلاقه ونيّاته ولا يثقُ في غيره من الشباب ولا في أخلاقهم ونواياهم، فيرى في نفسه ما ليس في غيره؟.

إنّ الشابّ ينظر إلى أية فتاة أجنبية عنه بنظرةٍ واحدة من اثنتين لا ثالث لهما:

الأولى: يريدها زوجة له، والطّريق إلى ذلك معروف، أنْ يطرق بابها خاطبًا لها من ولي أمرها.

الثّانية: يريد أنْ يلهو معها وبها..

ولا ثالث لهما!!».

لو كانت العلاقةُ بين الشابّ والفتاة الصّغيرين في العمر، والأجنبيّين في الصّلة «عادية»؛ لكان من الأوْلى أنْ تكون العلاقةُ بين الزوجين الكبيرين في العمر اللّذين أمضيا عقودًا معًا كزوجين «عادية»، وقد ألفا بعضهما بعضًا، واعتادا على كونهما دائمًا معًا، ولكن الواقع يشهد أنّ هذين الزّوجين على مدار هذه السنوات الطوال مازالا مُقبلين على بعضهما البعض كعروسين أو قريبًا من ذلك مهْما أمدّ الله في أعمارهما، فعلاقة الزوجين الكبيرين في العمر إذًا ليست «عادية»، أستكونُ علاقة الشابّ والفتاة الأجنبيّين في الصّلة والصّغيرين في العمر «عادية»؟، إنّ تبرير العلاقة بين الشابّ والفتاة بأنّها «عادي» هي قولة باطل يُراد بها باطل.

لن تكون العلاقةُ بين الشابّ والفتاة «عادية» إلّا في الحالات المرضية التي يعاني أصحابها من عدم الرّغبة في الجنس الآخر أو عدم القدرة على التعامل معه جنسيًّا، أو فقد الرغبة والقدرة معًا، أو في الحالات غير السويّة التي يصبو الشابّ جنسيًّا لَمن هم مثله من الرجال، وتميل المرأة جنسيًّا لَمن هنّ مثلها من النساء.

٢) إحنا بنجرّب علشان ناخد خبرتنا:

قد يفلسفُ بعضُ الشباب والفتيات خوضهم في علاقةٍ ثنائية بحاجتهم لاكتساب خبرات في التّعامل مع الجنس الآخر. والحقيقة أنّ هذه الخبرات من الممكن اكتسابها إلى حدّ كبير في التعامل مع أفرادٍ من الجنس الآخر من المحارم، فالشابّ له أمّ وأخت وعمّة وخالة، والفتاة لها أب وأخ وعمّ وخال، كلّ هؤلاء يعتبرون مادّة تدريبية رائعة للتعامل مع الجنس الآخر.

كما أنّ التعامل مع الجنس الآخر من غير المحارم قد يأتي بخبرات سلبية تعيق التعامل السوي بالمستقبل مع أفراد من هذا الجنس الآخر.

> **والحقيقة أنّ أروعَ ما يفعله العريس والعروس أنْ يبدءا حياتهما الزوجيّة معًا، وقد خلت حياتُهما الاجتماعية السّابقة من المغامرات والمهاترات ومحاولات التمتع والتلذذ بالجنس الآخر، إنّ أروع ما يفعله العريسُ والعروس أنْ يبْنيا خبراتهما الحياتية الزوجية معًا، وأن يكتباها معًا على صفحاتِ حياتهما الاجتماعية البيضاء الخالية من السوابق مع الجنس الآخر.**

... إنّه النقاء قبل الالتقاء الداعم للبقاء..

٣) إحنا بندرس بعض:

قد يقول الشابّ معلّلًا مصاحبته لفتاة: «أنا لازم أدرسها قبل الارتباط بها، لأعلم هل ستصلح لي أم لا؟» وتقول الفتاة مبرّرة مرافقتها لشاب: «أنا بادرسه قبل ما يتقدّم لي علشان أعرفه كويس..»!!، وكأنّ هذا الشابّ وتلك الفتاة قد أمْسيا من علماء النفس الخبراء في استكشاف خبايا النّفوس البشرية، وأنهما قد بلغا من العلم ما يعطيهما الحصافة الكافية أو من العمر ما يمنحهما خبرة في هذا المجال متميّزة، وهذا غير صحيح على الإطلاق.. فلا هما عالمان ذوو دراية، ولا هما كبيران ذوي خبرة.

وإذا أضفنا إلى ذلك احتماليّة اتّقاد العواطف بين الشابّ والفتاة والتي لا ينكر أثرها السلبي الخفيّ أثناء هذه «الدراسة» في إغفال العيوب وسترها، صرنا أمام وهمٍ اسمه «بندرس بعض».

كلّ ما سلف لا يعدو أنْ يكون مفاهيم وأفكار وفلسفات تبتعد عن الصّواب، وتبعد معتنقيها عن السّكون والاطمئنان، فيجب أنْ تطرح هذه المفاهيم والأفكار والفلسفات على مائدة الحوار مع الشّباب والفتيات بكلّ حبّ وتقدير واحترام، فالمفاهيم تعالج بمفاهيم لا بالتكميم، والفكر يقوم بالفكر لا بالقهر، والفلسفة تزاح بفلسفة لا «بالفزلكة» ولا «بالفكاكة».

٤) أفكار وفلسفات وعواملُ تسبّب الإحجام عن الزواج أو التخوّف منه أو العزوف عنه أو التأخّر فيه:

بعضُ الشباب والفتيات ينتابهم وينتابهنّ حالةٌ من الإحجام أو التخوف أو العزوف عند الإقدام على الخطوبة أو الزّواج وبناء أسرة، وذلك لعدّة أسباب، منها ما يلي:

(١) الخوف منْ تغيير نمط الحياة حيث يفتقد الإنسان الرغبةَ في- أو القدرة على- محاولة تغيير ما ألفه، ويتخوّف ممّا تخبّئه الأيام من مجهول، ويخشى أنْ ينتقل ممّا هو معلوم إلى ما هو مجهول، عملًا بالقول الدّارج «اللي تعرفه أحسن من اللي ما تعرفوش».

هذه الشخصية التي تنتهج هذه الفلسفة تفكّر كثيرًا قبل الارتباط، وتتراجع كثيرًا بعد الإقدام عليه، وتجتهد في عرقلة إتمام الزواج.

(٢) اختلاف الآباء والأبناء على معايير اختيار ابنهم الشابّ لعروسه ومعايير قبول ابنتهم الفتاة بالشاب المتقدّم لخطبتها، وتمسك كلّ طرف برؤيته ورأيه كلّما أراد الشابّ الزواج بفتاة معيّنة أو تقدّم للفتاة عريس، وتضيع الفرص الواحدةُ تلو الأخرى، فمَن كان مقبولًا من هذا مرفوضًا من ذاك، وسيسفر الأمرُ بانقضاء العمر، والوضع مستمرّ وغير مستقر.

(٣) تقصير العديد من الكبار بقصد أو بغير قصد في مسئوليّتهم

الشرعية والتاريخية الأصيلة في تدريب وتربية صغارهم على ممارسة مهامّهم المستقبلية كأزواج وزوجات وآباء وأمهات، فصار هناك نوعٌ من الرّهبة وضعف الثقة بالنفس واستثقال مسئوليات الزواج وأعبائه وتبعاته عند بعض الشباب والفتيات.

(٤) يلعب الجهلُ بالأمور الجنسية دورًا هامًّا في زيادة القلق والتوتر والتخوف من الزواج ومن المضيّ فيه، كما تؤدّي المعلومات الخاطئة النابعة من مصادر غير سوية أو ممّن تألّمن بشأن المعاشرة الجنسية من النّساء إلى تشكيل الخوف المرضي وردود الفعل التجنبية والابتعاد المفاجئ والهروب من الزواج.

لقد درج الآباء والأمّهات جيلًا بعد جيل على ضرب إسار من التّكتم والتنكر والتنصل حول الثّقافة الجنسية الصحيحة وكأنّها ثقافة محرّمة، فأمسى من العسير على الابن أنْ يسأل أو يسمع أو يتطلّع إلى فهم ما يدور بجسده من تحوّلات، ناهيك عن سؤاله وسماعه وتطلعه إلى معرفة وفهم ما يحدث بجسد الأنثى وعلاقته بالأنثى.

... وكذلك الحال بالنسبة إلى الفتاة أيضًا، إنْ لم يكن أشدّ وأنكى..

إنّ الشباب والفتيات الذين أغلقت أمامهم الأبوابُ والنوافذ ليتعلموا ويتثقفوا ويتربّوا داخل المنزل عن طريق آبائهم وأمّهاتهم، ووصدت دونهم آذانُ وألسنة الكبار من معلّمين ومربّين بدور التّعليم

والعبادة؛ يجدون اليوم مئاتِ البدائل التي توفّر لهم ثقافة رذيلة وتعليم هابط وتربية رديئة تيسّر لهم كلّ أسباب الانحراف والانجراف، تعليم وثقافة وتربية ارتدتْ ثوب الثقافة الاجتماعية المنحرفة والمضلّلة، وأهدرت قيمة الزواج، واستبدلت الزوجة بالصديقة، وطفل العرق والدم بالطّفل اللقيط والمتبنَّى، وعلاقة زوجيّة تحفّها المودة وتدثّرها الرحمة بتلك التي لا تعرف إلّا الدّينار والدرهم.

أيّ درك هذا الذي هبطت إليه أقدسُ وأطهر علاقة إنسانية؟

والوقاية تتمّ بضرورة تثقيف الشابّ والفتاة وتربيتهما تربية جنسية صحيحة ترتكز على الأخلاق الفاضلة القويمة النابعة من ديننا الإسلامي، وتزويدهما بالمعلومات الصحيحة عن العلاقة الزّوجية والجنسية وتصويب الصّور المشوهة عن هذه العلاقة الفطرية.

(٥) افتقاد الشابّ أو الفتاة لبعض المهارات العاطفية والاجتماعية اللازمة للتواصل مع الآخرين، وكذا مقوّمات الانخراط الصحيحة والشرعية في علاقة عاطفية مع فرد من الجنس الآخر، فيحدث نوعٌ من القلق والخوف الشديدْين حين الاقتراب من فرد من الجنس الآخر، ممّا يؤدّي إلى تغيرات مفاجئة في رأي الشابّ أو الفتاة، وإلى رفض استكمال مشوار الخطوبة.

إنّ القدرة على التعبير عن العواطف والانفعالات ضرورية لبناء علاقة زوجية قوية قائمة على الثّقة المتبادلة بين الطرفين، فإذا كان الشابّ أو الفتاة ليس على درجة من النضج الكافي فإنّ ذلك سيشكّل عائقًا أمام

الاستمرار في العلاقة الزوجية، وقد يقود ما يبدو كالبرود العاطفي في مرحلةِ الخطوبة إلى فسخها في وقت مبكر.

(٦) وجود اضطرابات في شخصيّة الشابّ أو الفتاة، مثل اضطراب الشخصية الهيستيرية، واضطراب الشّخصية النرجسية، واضطراب الشخصية البارانوية واضطراب الشخصية الحدية، وغير ذلك، وكلّها اضطرابات تؤدّي إلى تخوّف الشابّ أو الفتاة من الخطوبة وإتمام الزواج، أو العمل على إفشال الخطوبة وإنهاء الزواج أو تعكير صفوهما.

إنّ وجود الصّفات المضطربة في الشخصية وانفعالاتها المتغيرة وأساليبها الغريبة التي تعوّدت عليها منذ الصغر ولم تلقَ التربية اللازمة والتوجيه المناسب من الممكن أنْ يؤدّي بشكل مفاجئ إلى إنهاء الخطوبة أو الزواج، أو تكرار الخطوبة والإنهاء مرّات عديدة.

(٧) قد يعاني ندرةٌ من الشباب والفتيات ممّا يسمى بالجنسية المثلية، وهي أنْ يصبو الفرد جنسيًّا إلى أفراد من ذاتِ جنسه، فالرجل يميل جنسيًّا إلى الرجال، والمرأة ترغب جنسيًّا في النساء. فحينها تتمثّل في داخل الشابّ سلوكيات ورغباتٌ جنسية أنثوية فسيمتنع عن إقامة علاقة سويّة مع أنثى، فكيف يخطب أو يتزوّج بمَن يملأه الشعور بأنّها من نفس جنسه!! وكذلك الحال بالنّسبة للفتاة التي يتمثّل فيها سلوكيات ورغبات جنسية ذكورية فستمتنع من إقامة علاقة سويّة

مع رجل، فكيف يخطبها أو يتزوّجها مَن يملأها الشعور بأنه من نفس جنسها!!

إنّه سلوك مرضيّ يُحاط بالكتمان الشديد والإنكار، ويحتاج علاجًا ليس بالسّهل إلّا في الحالات الخفيفة أو العابرة، أو عند صغيري وصغيرات السن.

وهناك أسبابٌ أخرى للإحجام عن الزواج تتفرّد بها الفتيات دون الشباب، وأخري يتفرد بها الشّباب دون الفتيات، كالتالي:

[١] أسبابٌ خاصّة بالفتيات:

قد يتسبّب التخوّف من الزواج بالنسبة للفتيات في بعض حالات فشل الخطوبة، أو الطلاق السّريع، أو تأخّر سنّ زواج الفتيات، حتّى بات شائعًا اليوم أنْ تظلّ الفتاة بِكرًا بلا زواج وقد تخطّت الثلاثين من عمرها.

قد تتردّد الفتاة وتحتار حين الإقدام على الخطوبة (أو الزواج)، وعندما تتمّ خطبتها قد تميل إلى فسْخ الخطوبة بالتذرّع بحجج واهية، كما قد تثقل كاهل خطيبها بطلباتها غير المنطقية، وقد تجادلُ وتحاور وتناور كثيرًا، وتبدي ضيقَها العميق من كلمات وسلوكيات خطيبها بلا سبب وجيه، فيعسر التّفاهم بين الطرفين، وتتعثّر الحياة بينهما، ومن ثمّ يتمّ فسخ الخطوبة أو إنهاء الزواج. إنّ الفتاة التي تفعل ذلك إمّا أنّها لا تريد الزواج من هذا الشخص أو لا تريد زواجًا من الأصل.

من أسباب إحجام الفتيات أو خوفهنّ من الاقدام على الزواج أو المضي فيه ما يلي:

(١) كثرةُ الخلافات وانتشار ظاهرة العنف واستشراء الطلاق وغياب الاستقرار والمودة من البيوت، والتأثّر المبالغ فيه بالتّجارب الزوجية المؤلمة للقرينات والصديقات والقريبات والزميلات والأمهات.

فالفتاة تسمع وترى ما آلَ إليه حال العديد من صديقاتها وقريباتها وزميلاتها اللائي تزوّجن قبلها ولم يعشنَ إلّا حياة زوجية قصيرة مليئة بالخلافات والمشاجرات والإهانات والمنازعات وانتهت بطلاق وفراق.

أو.. قد تكون قد عاشت وعانت من أبويْن متصارعين متقاتلين فكرهت الحياة الزوجية.

أو.. كان أسلوبُ والدها أو أخوها قاسيًا مريرًا فأخذت موقفًا سلبيًّا تجاه صنف الرجال، فما الذي يُجبرها على الزواج وتجسيد حياة زوجية تعيسة كالتي تراها ماثلة أمام عينيها طوال الوقت؟ أو تحيا مع شخص مثل والدها القاسي أو أخيها الفظ؟

.. فلا طاقة لها لتصبح قصّة مريرة مؤلمة تضاف إلى مكتبة الفشل الزوجي.

إنّ واقع المرأة المطلقة في المجتمع ليس هيّنًا على أيه الفتاة، فهي تظلّ تجني عواقب طلاقها على مدى طويل من عمرها، وكأنّها هي فقط الآثمة المخطئة، وأمسى حصولها على زوج آخر بعد طلاقها أمرًا فيه من الصّعوبة

ما فيه، لذلك فهي تعتبر الفشل في تجربة زواجها الأولى هو فشل في الحياة بشكل عام؛ لذلك كان ارتفاعُ نسبة الطلاق وانهيار البيوت سببًا رئيسيًّا في تخوف الفتيات من الإقدام على الزواج أو المضي فيه.

والحقيقة التي يجب إدراكها أنّ البشر مختلفون في ثقافتهم وطبائعهم وشخصياتهم وظروفهم، فما ينطبق على حالةٍ لا ينطبق على أخرى، فليس معنى استشراء حالات الفشل أنّ ذلك سينطبق على جميع الزّيجات، فكما أنّ هناك حالات زواج فاشلة طالحة؛ فهناك أيضًا حالات زواج أخرى ناجحة صالحة، فلماذا تنظر الفتاةُ إلى الحالات الفاشلة فتخاف وتفزع ولا تنظر إلى الحالات النّاجحة فتُقدم وتتشجّع؟ كما أنه يجب الاستفادة من التّجارب الإنسانية الفاشلة والناجحة على حدّ سواء لتطوير الحياة الزوجية وتحسينها؛ وليس في العزوف عنها.

إنّ الفتاة في حاجةٍ لأنْ تثق في نفسها، فهي ليست كغيرها، وأنّه يجب أنْ توقر في نفسها أنها لن تكرّر فشلًا كان من نصيب غيرها، بل ستقدّم بمشيئة الله أنموذجًا لحياة زوجية رائعة تحتذي به غيرها.

(٢) الخوف من الخوضِ في تجربة ارتباط جديدة بعد المرور بتجربة ارتباط فاشلة مؤلمة، تركت جراحًا غائرة نازفة، وإيثار «السّلامة والنجاة» في رفض الارتباط على تخوف حدوث جرح غائر نازف جديد.

(٣) الاعتقاد بفقدان العذريّة وتمزّق غشاء البكارة نتيجة ممارسة بعض الأنشطة الرياضية العنيفة، أو كثرة ركوب الدّراجات أو امتطاء الخيل، أو بسبب سقوط من مكان مرتفع أو على الأرض، أو التعرّض

لحادث عابر أصاب منطقة الفرج، أو ممارسة العادة السرية بطريقة غير سطحيّة عميقة تماثل الإيلاج الطبيعي للعضو الذّكري عبر فتحة المهبل مثل توجيه تيار مائي قوي إلى داخل المهبل أو إدخال الأصابع أو أيّة أداة عبر فتحة المهبل، أو التعرّض لاغتصاب جنسي، أو ارتكاب فاحشة الزنا.... إلخ. وعند الخطوبة ومع اقتراب ميعاد الزفاف تزداد هذه المخاوف والأفكارُ السّلبية المرتبطة ب«الفضيحة» وما يمكن أنْ ينتج عنها من مشكلات ومخاطر.

ويتطلب التعاملُ مع هذا الاعتقاد حـوارًا مطمئنًا مصحّحًا للمعلومات الخاطئة المرتبطة بسلامة غشاء البكارة (كما سيأتي لاحقًا)، كما يمكن للفتاة أنْ تجري فحصًا طبيًّا بواسطة طبيبة مختصة للتأكّد من سلامة غشاء البكارة، ففحصُ غشاء البكارة من العسير أنْ تجريه الفتاة لنفسها بنفسها.

(٤) إنّ خروج النساء للعمل وحصولهنّ على عائدٍ مادي كبير حقّق لهنّ نوعًا من الاستقرار المادي، وفي الوقت نفسه قلّل لديهنّ احتياجهن لزوجٍ ينفق، فتقلّص أثر حافز كان في الماضي يدفع الفتاة للزواج والإبقاء على البيت.

كما أنّ بعض الأعمال التي تمتهنُها المرأة قد تدفع الرجل إلى عدم التقدم لخطبتها. فالشاب في العادة لا يتقدّم ليخطب فتاةً يراها أعلى منه تعليمًا

وثقافة ومهنة ومكانة، فالعرف السائد في العديدِ من المجتمعات الشّرقية هو ضرورة تفوّق الزوج على زوجته في عدة مستويات وليس العكس، ومن ثمّ قد يطول انتظارُ الفتاة ويتبدّد المزيد من الوقت في انتظار العريس الملائم، ولذا كان ارتقاءُ الفتاة لمناصبَ عليا أو تبوّأها وظائف مرموقة بات في بعض الأحوال سببًا مؤثرًا بالسّلب على مستقبلها الزواجي.

(٥) كثير من وسائل الإعلام ووسائط الثقافة المرئية والمسموعة والمقروءة تتبنّى إعلاء قيمة الحبّ على قيم أكثر أهميّة وجدوى، وضرورة إقامة علاقة حبّ أو حتى علاقة جنسية قبل الخطوبة، وتتبنّى تأخير سنّ الزواج للشباب وللفتيات، كما تشجع هذه الوسائل على إقامة العلاقات المحرّمة وتصريف الشّهوة في قنوات الرذيلة والفاحشة، وتحارب فكرة تعدد الزوجات، وتهدم فضيلة الحياء، وتحرّك مكامن الشهوات، وهي كثيرًا ما تظهر المرأة في أعمالها الدرامية وبرامج المحادثات أنّ زواجها سيجعلها في موضع ضعف وعرضةً للعنف والاحتقار والخيانة والطلاق، ويبين الزّوَاج وكأنّه قيد يحيط بعنق الفتاة ويغلّ من حريتها الشخصية ويضعها في دائرة الرق والتّبعية، وتصوّر لها الحياة الزوجية إمّا نعيم مقيم وهذا غير صحيح أو عذاب اليم وهذا أيضًا غير صحيح؛ ممّا يجعلها تخشى الإقدام على الزواج. إنّ للإعلام تأثيرَه الذي لا ينكر في زعزعة وتغيير مفاهيم وعادات ومعايير المجتمع الثابتة.

(٦) رفض بعض الفتيات- أو عائلاتهنّ- السكنى ببيت عائلة أهل الشابّ خوفًا من المشاكل بالمستقبل، أو سعيًا وراء شعور أوفى بالاستقلالية،

وخاصّة وإنّ هذا الصنف من السكن ببيت العائلة أمسى به مشاكل شاعت أكثر في الآونة الأخيرة، لغياب العديد من القيم التي حافظت في السّابق على تماسك الأسرة الممتدة التي تضمّ أهل العريس مع العروس.

(٧) قد ترفض الفتاة خطّابها في انتظار أنْ يخطبها مَن أحبّها وأحبّته ووعدها بالزواج، وقد يطول انتظارها، وأثناء ذلك قد يتقدّم إليها مَن هو أفضل منه اجتماعيًّا ومهنيًّا وماديًّا، ولكنّها العاطفة التي ملأت قلبَها بحبيبها لم تترك لغيره مكانًا، ويستمرّ مسلسل رفض العرسان وتأخر العريس المنتظَر في الإقدام على الزواج منها، إلى أنْ يشاء الله تعالى غير ذلك.

(٨) ترسم الفتاة في خيالها فتَى أحلامها المثالي الوسيم الثّري الفارع القوي الذي لم تلده امرأة، والذي سيوفّر لها كلّ أسباب الحياة الرغيدة والعيش الهنيء، وتظلّ تنتظره يطرق بابها ليخطبها، ويتقدّم لها شابّ تلوَ آخر، ولكن ليس من بينهم ذاك المثالي الوسيمُ الثري الفارع القوي الذي يستأهلها، فتتأخّر وتتأخّر، ثمّ.. تتنازل وتتنازل، ثمّ.. تقبل أخيرًا بمَن ليس مثل ذاك الشابّ الحلم، بل ربّما تقبل بمَن هو أقلّ ممّن رفضتهم سابقًا، وقد تقدّم بها العمر قليلًا أو كثيرًا.

(٩) قد تتعرض الفتاة لنوع من الإيذاء الجنسي بأيّ شكل من أشكاله، ثمّ تعاني من آثار ذلك وحدها، ومع نفسها، ولاتتحدث عنه لأحد وتؤثرُ إخفاءه، كما قد تتعرّض لتجارب عاطفية فاشلة مُخزية أو محزنة تصوّرت نفسها ضحيّتها بلا ذنب جنته إلّا أنّها أحبت، فجنت من ورائها صدمات نفسيّة قاسية، وجراحًا أليمة نازفة لم تستطعْ أنْ

تستفيق منها، وعندما يطرق شاب باب مثل هذه الفتاة ليخطبها تستعيدُ المسكينة هذه الذكريات والآلامَ النفسية ومشاعر الذنب المتنوعة التي يمكن أنْ تؤدّي إلى رفضه.

إنّ الوقاية وحماية البنات في مرحلة الطفولة من التعرّض للإيذاء الجنسي هامّة للغاية، أمّا العلاج فطريقُه هو الحوار والاستشارة النفسية لتشجيع الفتاة على نسيان الماضي وتفهمّه، وفتح صفحة جديدة مع نفسها ومع الحياة.

(١٠) وجود علاقة خاصّة وطيدة وعميقة بين الفتاة وأبيها لدرجة أنها قد تتمثل شخصيته وسلوكياته، وبالمقابل تبتعد عن أمّها على اعتبار أنّها منافسة لها في أبيها. هذا التعلق بالأب والتّنافس مع الأمّ ينتج في الغالب من انتهاج أساليب تربويّة خاطئة كتدليل الأب لابنته واقترابه منها بشكل مُفرط، أو عندما تقسو الأمّ على ابنتها قسوة شديدة مبالَغ فيها، وغير ذلك من الأسباب.

إنّ هذا السلوك الذي قد يصل إلى حدّ الاضطراب قد يمنعُ الفتاة من الزواج، أو يؤخّر زواجها أملًا في أنْ يتقدّم إليها مَن يقارب أباها في أمر ما.

... وأخيرًا،

لا بدّ من الإشارة إلى احتمال وجودِ أكثرَ من سبب واحد في نفس الوقت يجعل الفتاة تحجم عن الزّواج أو تهابه، ممّا يثير تعقيدات معرقلة، ويستلزم جهودًا إضافيّة للعلاج والحل.

[٢] أسبابٌ خاصّة بالشباب:

يتأخّر العديد من الشباب في أمر زواجهم لأسباب عدّة، منها ما يلي:

(١) وجود باقةٍ ضخمة مؤلمة من أسبابٍ خارجة عن إرادة الشباب تزخم حياتهم، وتتسبّب في تأخّر ميعاد زواجهم منها: البطالة، وندرة فرص العمل، وانتشار الفقر، وكثرة الأزمات الاقتصادية، وانخفاض مستوى الدخل؛ فيسيطر الإحباط وفقدانُ الأمل على نظرة الشباب للمستقبل وللزواج.

(٢) أفـرزت الثقافة الاستهلاكية التي التهمتْ هذا العصر والموروث الاجتماعي التليد ارتفاعًا في معدّلات المهور إلى أرقام شبهِ فلكية، وتزايدت الشروط الخاصّة بمواصفات شقة الزوجية والأثاث، والرّقم الذي سيدوّن كمؤخّر للصداق، وأمسى ذلك كلّه محلَّ تفاخر ومباهاة اجتماعية، جعلت من العروس شيئًا قريبًا من السّلعة، ومن إقامة الأسرة مشروعًا اقتصاديًّا، ولهذا صار على العريس أنْ يعمل حتّى يبلغ عمره مبلغه ليستطيع توفير ثمن شقةٍ تؤويه مع عروسه، أو يتورط في ديون ليستكمل نفقات الزواج، ربّما يظلّ يرزح تحت وطأة تسديدها حتّى يدب في صدغيه الشيب.

(٣) يضع الكثيرُ من الشباب شروطًا صعبة عسرة ومواصفات عالية فائقة في الزوجة المنشودة، خاصّة إنْ كان الشابّ يشعر صدقًا أو كذبًا بأنّه يتمتع بمميزات خاصة، ويعيش على أمل أنْ يجد الفتاة المتدينة العالمة المثقفة الغنيّة خارقة الجمال ذات القوام

ال...، والعيون ال...، والشعر ال...؛ التي تناسبه وتتوافق معه فكريًّا، وتحقّق له طموحاته وتطلّعاته وتساعده في تحقيق أهدافه، فهو يشعر أنّه يستحقّ أجمل وأروع وأفضلَ فتاة على ظهر الأرض، لأنّه يعتقد أنّه الأجمل والأروع والأفضل، فيبحث عنها طويلًا وينقّب عليها كثيرًا، وقد يمتدّ به عمره دون الحصول على ما يطمح، فيشرع في التّنازل عن شروطه تدريجيًّا، حتى يؤول حاله إلى غير ما تمنّى ورجا.

إنّ البحث عن الفتاة الخارقة ليس أمرًا جديدًا على الشباب، فقديما أرسل رجل إلى «أبي عزيزة» يريد منه أنْ يبحث له عن عروس ذات مواصفات «خاصّة جدًّا»، فسُجّلت طلباته «الخاصّة جدًّا» وكذا ردّ «أبي عزيزة» السّاخر عليه في أبيات شعر كانت كما يلي:

بعث امـرؤ لأبي عزيزة مرةً ... برسالة يبكي ويضحك ما بها
فيها يقول أريـد منك صبية ... حسناء معروفٌ لديكم أصلها
وأديــبـة ولطيفة وعفيفة ... وحليمة ورزيـنـة في عقلها
قد أحرزت في العلم غير شهادة ... وعلى النسا طرًّا تفوق بفضلها
وتكون أيضًا ذات مـالٍ وافر ... تعطيه من بعد الـزواج لبعلها
وأريـد منها أنْ تكون مطيعة ... أمـري فتتبعني وتهجر أهلها

فأجابه أبو عزيزة قائلًا:

وافى كـتـابـك سـيـدي وقـرأت هاتيك المطالب كلها
لو كنت أقدر أنْ أرى ما تشتهي لطلقت أمّ عزيزة ونكحتها

تكتظّ الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بالمواقع الإباحية وما تحويه من مشاهد وصور وحوارات تؤثّر فيمَن يطالعها أثرًا بالغ السوء، فإن كان مشاهدها غيرَ متزوّج فسيصعب عليه العثور على امرأةٍ تعجبه أو «تملأ عينه» حينما ينوي الزّواج بعدما رأى وسمع واشتهى كلّ لون وصنف، وسيظلّ ينقّب عن فتاه تضاهي ما رأى وشاهد وسمع وعاش عبر الإنترنت، وهذا أحد الأسباب القويّة لتأخّر سنّ زواج الشباب أو تردّدهم أو ضعف ثقتهم في أنفسهم وخوفهم من «سوء اختيارهم» لشريكات الحياة.

وإنْ كان مَن يشاهدها متزوجًا فسيتورّط أكثر وبطرق متعدّدة في العزوف عن جسد زوجته «العادي»، والبحث عن ذاك الجسد المتألق «السوبر»، وعن تلك الممارسات الخيالية أو التمثيلية التي يراها على الإنترنت، فيكون كالظّمآن الذي يترك الماء الزّلال الذي بين يديه، ويتطلع إلى سرابٍ يلمع في الأفق، فعاش لاهثًا ومات عطشًا، أو يطلب من زوجته أنْ تمارس معه ما يسمع وما يرى، فالنّفس تهوى تجربة ما تسمع وما ترى خاصّة في هذا المجال المثير. ولذا كانت مطالعة المواقع الإباحية أحدَ الأسباب القويّة لبعض حالات طلاق، خاصّة تلك التي تقع بين المتزوّجين حديثًا.

(٤) وجود أزمة ثقةٍ بين الشباب والفتيات مبعثُها خوضهم وخوضهنّ في أو سماع تجارب أخلاقية عاطفية سلبية مريرة مع الجنس الآخر في زمان كثرتْ فيه الفتن، وازداد فيه الاختلاط وقلّ الحياء، وتفاقم التواصل بين الجنسين بشتّى وسائل التواصل الحديثة والقديمة، والقناعة بأنه ليس هناك شخص شابًّا كان أو فتاة ليس له علاقات سابقة، كلّ ذلك جعل الشابّ يرتاب ويتردّد، ثمّ يُقبل على الخطوبة ولا يلبث أنْ يدبر، ويمضي عمره بين كرّ وفرّ.

(٥) ضعف الإلحاح الدّاخلي من الناحية الجنسية والاجتماعية الذي يشعره بالحاجة إلى الزواج.

(٦) تتحمّل مدنيّة اليوم التي ترتع في نعيمها وفي نفس الآن ترزح تحت شقْوَتها البشريةُ النّصيبَ الأكبر في عزوف الشّباب عن الزواج، مدنية أوهمت الرجلَ أنّ الزواج يكبله ويقيد حريّته الشخصية ويحرمُه من شعوره الفطري بالاستقلال، ويحمّله مسئوليات هو في غنى عنها، وصوّرت له الزّواج عبئًا ماديًّا ونفسيًّا يصعب عليه تحمّله، وأنّه عائق أمام طموحاته وتطلّعاته المهنيّة، مدنيّة شوهت قيمَ الأديان وطرحت قيمًا بديلة أوضعت قدسية الزواج الشرعي وطرحت بدائلَ محرّمة بعيدة عن الفطرة الإنسانية وبعيدة عن الدين، فراجع الشباب مبدأ الزواج من الأصل، وتمخّضت هذه المراجعة في غير صالح الشباب والفتيات والمجتمع بأسرة.

(٧) شعور الشابّ بالعجز بشأن المعاشرة الجنسية، فالشاب المدمن للعادة السّرية مثلًا قد يداخله شعور أنّه سيفشل جنسيًّا، وكذلك

الحال بالنسبة لِمَن دأب على مشاهدة الأفلام الإباحية، حيث يقارن نفسه بمَن يراهم من محترفي التعرّي والبغاء الذين يتعاطون ما يتعاطونه من عقاقير ووسائلَ، وما ينتجونه من أفلام إباحيّة يمثّلون فيها أدوار الزناة، ويضاهي كفاءته بما يراه من هؤلاء فيجد نفسه متوهّمًا ضائعًا، فيتردّد في الإقدام على الزواج، وقد يؤثّر عدم الزواج خشية «افتضاح أمره» وانكشاف «ضعف رجولته»!!

(٨) تعوّد الشابّ على تعددية العلاقات النسائية المحرمة، ورغبته في التنويع والتجديد الدّائمين، الأمر الذي يجعله عازفًا عن الزواج والارتباط بواحدة فقط ليظلّ «يستمتع» بهذه العلاقات المحرمة.

ثانيًا: اكتسابُ مهاراتٍ هامّة، وتنفيذُ فاعليات ضرورية:

هناك العديدُ من المهارات التي يجب على الشّباب والفتيات الإلمامُ بها والتدرّب على فعلها قبل الزّواج، وهي تدرّب الإنسان وترقَى به ليُحسن التعاملَ مع نفسه ومع أيّ إنسان آخر، وعند كلّ موقف، وتحت أي ظرف.

ومن أهمّ هذه المهارات ما يلي:

١- مهارةُ التّفنّن في إراحة المحيطين:

منذ النّشأة الأولى يجب أنْ يتعلّم الصبي والصبيّة تحمل عبء أنفسهما بالتدريج، وأنْ يقوما بقضاء احتياجاتهما قدرَ استطاعتهما، ثمّ يتدرّبا على القيام بخدمة الوالدين وبقيّة أفرادِ الأسرة والآخرين

من أقرباءَ وجيران، وإنجاز بعض مِن أعمالهم تخفيفًا من أعبائهم، واستجلابًا لراحتهم.

> **وبالطّبع سيكون بيتُ الوالدين هو مسرح التّدريب الأساسي والتعليم الأوّل لهما، وإنّ أفراد الأسرة الوالديّة التي تضمّ الوالديْن والإخـوة والأخـوات هُم مادّة التدريب والتعلم.**

عندما يتدرّب الشابّ والفتاة على أنْ يكونا مبعثًا راحة وسعادةٍ واطمئنان للوالدين والإخوة والأخوات وسائر المحيطين بهما؛ سيسهل عليهما في بيتِهما الجديد أنْ يكونا مبعثًا راحة لشريك الحياة بالمستقبل.

٢- التدرّب على مهامّ الزّوجيّة:

لقد خلقه الله- تعالى- رجلًا؛ فلا بدّ وأنْ يتدرّب على القيام بأعباء وأعمال ومهامّ وأدوار الرّجال، وما تفرضه الرجولة من قيودٍ وواجبات وحدود، كالوفاء بقضاء المصالح الخارجية للبيت، وجلب كافّة المشتريات، وتسديد الفواتير، وإنهاء الإجراءات الحكومية، والقيام بإصلاح أعطال السّباكة والكهرباء وأعطاب الأجهزة الكهربائيّة بالبيت، وأنْ يسعى للعمل والتكسب بالحلال منذُ صغره، وأنْ يكتسب القدرةَ على حلّ المشكلات أو تعلّم كيفية تجاوزها، وأنْ يزود عن البيت ويصونَ العرض ويدافعَ عن الحقّ، فكلها- وغيرها-

مهاراتٌ تدعم قوامته ببيته وتدربه على تحمّل مسئولياته كزوج وأبٍ وراعيَ بيت بالمستقبل.

وخلقها الله- تعالى- أنثى؛ فلا بدّ وأنْ تتدرّب على القيام بأعباء الأنثى وأعمال الأنثى ومهامّ الأنثى وأدوار الأنثى، وما تفرضه من قيودٍ وواجبات وحدود كالقيام بشئون البيت من طهي ونظافةٍ وترتيب وتزيين وتدبير المصروفات ورعاية الصّغار وحسن إدارة وقت بيتها، وغير ذلك من المهامّ المستقبلية للمرأة كزوجة وأمّ وربة بيت.

إنّ أوّل ما يؤدّي إلى التخبط الذي يضرّ بالزّواج هو عدم إدراك ملامح وصفات وواجبات الزّوج والزوجة كرجل وأنثى.

إنّه عيب فادحٌ خلفته الثّقافة المتردّية والإعلام الفاسد والتربية المبتسرة، عيب ألقى بظلاله على حياتنا الاجتماعية بأسرها، فقد دأب أعداءُ الإنسان على تمييع الرّجولة الحازمة وإهدار الأنوثة النّاعمة بغرز مفهوم أنّ المرأة لا تختلف عن الرّجل بينما هي مختلفة عنه وهو مختلف عنها كذلك، (... وليس الذّكر كالأنثى...) (آل عمران: ٣٦)، وذلك بإذابة الفوارق الجميلة بين الرّجل والمرأة، وتبديل الأدوار البديعة لكلّ منهما تحت دعوى المساواة المنشودة المرغوبة التي انقلبتْ إلى مماثلة ممقوتةٍ ممجوجة، فاختلطت الألوان وامتزجت، وصارت ألوان الأطياف المختلفة الخلابة لونًا واحدًا باهتًا، فشاهت الرّجولة وذابت الأنوثة،

وترفّع الرجل عن أداء أدوار المرأة، بل وركنَ إليها في تأدية بعض أدواره، بينما تفنّنت المرأة في محاولات منافسة الرجل وتقليدِ الرجل، فاخترقت مجالات عمله ثمّ احترقتْ بعد ذلك، فقد أمسى لها أدوار جمّة داخل البيت وخارجه، ولقد أدّى إحلال أدوار الرجال في حياتها إلى إخلالٍ بأدوارها كأنثى في بيتها، فتغيّرت الأحوالُ الأسرية جلّها عمّا كانت عليه أيام الزمن الجميل.

إنّ المماثلة بين «الجنس الضعيف» و«الجنس القوي» ظلمٌ للاثنين، فمَن ماثل بين نقيضين فقد ظلمَ الاثنين.

المساواةُ بين الجنسين مرغوبة، بينما المماثلة بينهما مرفوضة

٣- التدرّب على ممارسة أدوار الأبوّة والأمومة:

إنّ ما يمارسه الأطفالُ- ذكورًا وإناثًا- من لعبٍ فطري، لا يعتبر مضيعةً للوقت أو تبديد للجهد، وإنّما هو تدريبٌ على المهامّ المستقبلية لهم كأمّ وأب، فترى الطفلة تلهو بدُميتها مؤدية معها أدوارًا وكأنّها أمٌّ. إنّها تتدرّب في دميتها- ومعها- على خدمة ورعاية الأطفال، ثمّ عندما تكبر قليلًا تقوم بدور أو أكثرَ مع مَن يصغرها مِن أخواتها وإخوانها مِن رعاية واهتمام واستذكار دروس وإدارة وخدمةٍ ورعاية، كلّ ذلك يوفّر لها مادّة تدريبية مجانيّة رائعة تهيئةً لها للقيام بدورها كأمّ بالمستقبل.

كما ترى الطّفل يلهو بألعاب تتّسم بالمنافسة والمغالبة والصراع واستعراض

القوى من كرة وسيارة ومسدس وبندقية، فحياتُه بالمستقبل تستدعي العمل والتكسّب، وما فيهما من منافسات ومغالبات وصراعات لاستجلاب الرزق، كما تستوجب- أيضًا- الزّود عن البيت والدفاع عن العرض.

كما أنّ حضور الشّباب والفتيات دوراتٍ تؤهّلهم للقيام بأدوارهم كآباء وأمّهات أمرٌ أصبح لا يمكن تخطّيه أو تجاوزه للقصور الشّديد الذي توفّره أجهزة التّعليم وأدوات الثقافة وأوساط الإعلام في هذا المضمار.

٤- أهمّية المرونة:

إنّها من أكثر المهارات أهميةً لديمومة الحياة الزوجية، رغم ذلك فهي من أكثر المهارات تعرّضًا للتجاهل.

فمِن الطبيعي أنْ تجيء الفتاة من بيت أبيها وقد ألفتْ عادات، واكتسبت مهارات، ولديها تصوّرات وقناعات واهتمامات تختلف قليلًا أو كثيرًا عن تلك العادات والمهارات والتصورات والقناعات والاهتمامات التي جاء بها عريسها من بيت أبيه.

وهو أيضًا جاء من بيت أبيه وقد ألفَ عاداتٍ واكتسب مهاراتٍ وأثْقِل بتصورات وقناعات واهتمامات تختلف عن تلك التي جاءت بها عروسُه من بيت أبيها.

... ثم،

جمعهما بيتهما الجديد،

كلّ منهما اعتقد خطأً أنّ ما جاء به من بيت أبيه من عادات ومهارات وتصوّرات وقناعات واهتمامات هو الأصوبُ والأجدر بالتطبيق، وأنّه سيستطيع تنفيذه بحذافيره في بيته الجديد، كلّ منهما اعتقد خطأً أنّه يجب إرضاخُ الآخر على ما تربّى هو عليه، فيبدأ النقاش ومحاولة إقناع الآخر، فيتطوّر الأمر إلى جدالٍ عقيم أقرب إلى المشادّات، فيحدث الصّدام المقيت، ثمّ يفرض أحدُهما سيطرته، فتشتدّ مقاومة الآخر، ثمّ يخيّم القهر، ثمّ الكرّ والفرّ، فقد صارت هناك معركة.

لقد نسي العروسان أنّ بيتهما الجديد لأنّه جديد لن يكون نسخةً مكررة من بيت قديم أو تلك المتصوّرة في الذّهن قبل الزواج، فهذا ضدّ طبيعة الحياة وضدّ التطور الطبيعي للحياة. يجب أنْ يأخذ هذا البيت الجديدُ أروعَ ما في هذين البيتيْن القديمين ليصنع منهما مزيجَ بيت جديد.

فمِن المفترض بالبيت الجديد أنْ تكون كلّ بدائل العادات مطروحة، وكلّ المهارات مفيدة، وكلّ التصوّرات متاحة، وكلّ أطياف القناعات ممكنة، وكلّ ألوان الاهتمامات ماثلة، ما دامت كلّها في حدود الشرع، ولكي يكون الأمر كذلك يجب أنْ يتمتّع كلٌّ من العروسين بقدر واسع من المرونة وتقبّل أوضاع غير مألوفة لم يسبِق الاعتياد عليها أو حتّى مجرّد تصوّرٍ وجودها.

تتطلّب الحياة الزوجية من الزوجين تغييرَ بعض الخطط، والتخلّي عن بعض السلطات، وتقبّل بعض التّعقيدات، وأداء بعض التعديلات، والتضحية ببعض العادات، وبذل بعض التنازلات؛ لتتماشى مع رغبات وآمال واحتياجات شريك الحياة، إنّه الطريق الذي يجعل الزوجيْن يعيشان معًا في سلام، ولكنّ الكثير ينسى أنْ يسلكه.

أمثلة:

(١) هي جاءت من بيت أبيها وقد اعتادت على أنّ برنامج نظافة البيت وترتيبه هو من أهمّ الأمور المنزلية شأنًا، ولذلك فهي توليه أولويّةً خاصّة. وهو جاء من بيت أبيه لديه قناعة مختلفة وهي أنّ برنامج النّظام الغذائي هو الأهمّ والأجدر بالاهتمام. فماذا يصنعان؟ وأيّهما الأصوب والأجدر بالتطبيق؟

ابتداء، كلاهما صائب، وكلاهما جديرٌ بالتّطبيق، ولكنّ الوضع يلزمه قدرٌ كبير من المرونة، فلن يتمّ إنجاز الأمرين في ذات الوقت، وهنا يجب أنْ تتحلّى الزوجة بالمرونة لأنّها هي التي تقوم بتنفيذ البرنامجيْن بحيث تغيّر قائمة أولويّاتها ليحتلّ برنامج النظام الغذائي المرتبة الأولى به، وبذلك تُدخل الرّاحة إلى نفس زوجها ممّا سينعكس إيجابًا على حياتهما الزوجية.

(٢) هو ألِفَ مشاركة أقاربه في كلّ اجتماعيّاتهم، ولذا فهو لا يترك مناسبة إلّا وكان فيها حاضرًا، وأرادها أنْ تشاركه كلّ اجتماعيّاته

وحضور كلّ مناسبات عائلته، بينما هي ليست اجتماعيّة بالدّرجة الكافية التي ترضيه، فقد خرجت من بيت أبيها وقد اعتادت على قضاء الزّيارات في أضيق الحدود ولأناسٍ معدودين، كما أنّ قلبها لا يميل إلى كثيرٍ من أقربائه. فما الحلّ؟ هو يريد أمرًا وهي لا تميل إلى ما يريده.

من منطلق أنّ الشخصية الاجتماعية التي تشعر بارتياح وسط الآخرين- والشخصية الانطوائية التي تسعد أكثرَ عندما تكون وحدها؛ هما شخصيّتان متناقضتان ولكنّهما سويّتان، فلا يجب أنْ يجبر الرجل زوجتَه على الانفتاح على الناس فذاك أمر يتنافى مع طبيعتها الانطوائية السّوية، كما لا يجب إرغامها على زيارة مَن لا تحبّ زيارتهم، باستثناء والديْه، فعليه توجيهها بكلّ رفقٍ لأهمية ودّهم وزيارتهم. فالمرأة عندما لا تحبّ أحدًا فهي تتحاشى الاجتماع به ومجالسته وزيارته.

وهنا يجب على الرّجل أنْ يتّفق مع زوجته على حدٍّ أدني يريحها، وأنْ يكون لديه قدر من المرونة فيقنع بالقيام بالعديد من زيارات عائلتِه بمفرده، ولا يحدّه امتناع زوجته عن مرافقته أثناء الزّيارات العائلية وغيرها عن قيامه بصلةِ رحمه، فالأوفق هنا أنْ يكون هدف الرجل راحة زوجته النفسيّة، والتي ستعود عليه ولا شكّ بالراحة وهدوء البال.

(٣) هو شابّ دلّلته أمّه فصنعت له كلّ شيء، وقدّمت له كلّ شيء، فعاش في بيت أمّه وكأنّه ملكٌ متوّج، أو إنْ شئت قلت تنبَل من التّنابلة، وأراد من عروسه أنْ تفعل له كأمّه كلّ شيء، وتقدّم له كأمّه كلّ شيء، أراد أنْ يعيش في بيته مع زوجته كما كان يعيش في بيت عائلته مع أمّه، أراد أنْ تكون زوجته مثل أمّه، فلمّا لم يجدها كما يريد ثار وغضب.

لقد افتقد هذا الشابّ المرونة؛ لأنّه لم يتصوّر أنْ تكون زوجته على غير ما رجا وتمنّى.

إنّ الحياة الزوجية تستلزم مرونةً عالية تؤدّي إلى عدم التشبّث بما تعود الإنسان عليه وألفه، ليس إلّا، فالتعوّد والإلْف لا شكّ من شأنهما زلزلة أركان الحياة الزوجية.

٥- تعلّم التّعامل مع المشكلات والصّعوبات والاعتماد على النفس:

الحياة الزوجية- شأنُها شأن الحياة الدنيا- لا تخلو من مكابدة وجود مشاكل وصعوبات ومعوّقات وعراقيل و.....و...، ولذا كان من حُسن الاستعداد لها التدرب على حلّ المشكلات وتجاوز الصعوبات وإزاحة المعوّقات والعراقيل، بالاعتماد على النفس والاستفادة ممّن لديهم خبرات سابقة، حتّى يكتسب المرء خبراته، وتصهره تجاربه ليكون مؤهّلًا لتحمّل مسئوليات بيته الجديد.

إنّ هذا التعليم والتّدريب على هذه المهارات يبدأ بعد الميلاد بشهور قليلة، يؤدّي فيه القائمون بتربية وتعليم الأطفال دورًا عميقَ الأثر في غرز هذه المهارات.

٦- إنماءُ الثّقة بالنفس:

تعدّ ثقة الإنسان بنفسه أحدَ أهمّ ركائز استقرار الحياة الزوجية الناشئة الجديدة والتي قد لا يلتفتُ إلى أهميتها الكثيرون. وعلى الوجه الآخر يعدّ ضعف الثقة بالنفس أحدَ أكثر معاول الهدم أثرًا في انهيار العديد من البيوت.

والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

- تملأ المرأة الواثقة من نفسها عينَ زوجها وقلبه، رغم أنّها قد لا تحوز جمالًا ظاهريًّا يُذكر، إنّها بثقتها في نفسها استطاعت المحافظة على زوجها من غيرها.

بينما ترى زوجَ المرأة التي تفتقد الثقةَ بالنفس يلتفتُ نظره وقلبه إلى غيرها من النساء، رغم أنّ بها من الجمال الظّاهر ما قد يفوق الوصف، فتمسي الحياة الزوجية للمرأة تحت نيْر تصرفات زوجها في غاية الألم.

- يستطيع الشابّ الواثق من نفسه حلّ المشاكل وتخطّي المصاعب بخطى ثابتة، وإذا فشل يعاود الكرّة وإذا سقط ينهض، إنّه بذلك جدير بتحمّل مسئوليات بيته.

أمّا الشابّ فاقدُ الثقة بنفسه فستوقفه أيّة مشكلة، وتشلّه أدنى صعوبة، وإذا فشل توقف، وإذا سقط استرخى، والحياةُ الزوجية كما هي الحياة بصفة عامّة لا يصلح لها ذلك.

إنّ عمليات اكتساب وإنْماء الثقة بالنفس تبدأ منذ سنّ الرضاعة، ويؤثّر المحيطون بالإنسان أيّما أثر في ترسيخ الثقة بالنفس أو زعزعتها، كما أنّ للإنسان دورًا في ازدياد ثقته بنفسه أو العكس.

٧- تعلّم وإتقانُ فنون الإتيكيت:

الإتيكيت هو فنّ من فنون الذّوق العام أو الذّوق الاجتماعي، وأدبٌ من آداب السلوك واللياقة، وفنّ التصرّف في المواقف المحرجة، وهو سلوكٌ إنساني يعتمد بشكل أساسي على درجة رقّة مشاعر المرء ومراعاته للآخرين، فالإنسان بحاجةٍ إلى تعلّمه وتطبيقه في جميع المعاملات الإنسانية، وبالذات عند التقاء العروسين.

ومن السّلوكيات التي يجب الاهتمام بأداء فنونها وتنفيذ الإتيكيت الخاصّ بها ما يلي:

أ- المشي: كثيرًا ما يصدر النّاس أحكامهم على الإنسان من خلال طريقة مشيه، فهي دليل على أدبِه وشخصيته، وعنوانٌ لأخلاقه وبيئته.

إنّ الشابّ يستطيع أنْ يعلم الكثيرَ عن الفتاة ويسهلُ عليه التمييز بين الفتاة المستهترة وتلك الوقورة، بين الفتاة السويّة وتلك الملتوية، بين

الفتاة الصحيحة جسديًّا وتلك المعتلّة صحيًّا؛ بمجرّد رؤيتِه لها تسير في الطّرقات، وكذلك تستطيع الفتاة- أيضًا- أنّ تعلم الكثير عن الفتى إنْ رأته وهو يمشي.

فيجبُ الحرص على أنْ تعبّر طريقة المشي عن شخصيةٍ ذات ذوق رفيع وأدب جمّ وحياءٍ وافرٍ وصحّة جيدة وثقةٍ بالنفس دون خُيلاء، وتواضع دون انكسار.

ب- الجلوس: تعتبر طريقةُ الجلوس من المحكّات الرئيسية التي تبرز أمورًا كثيرة حول أخلاق وأدب وسمعة الجالس، سواء كان شابًّا أو فتاة.

وتمامًا مثل المشي يستشفّ الناظر إلى مَن يجلس بطريقة صحيحة سليمة بها الوقار والأدب وسلامة القوام؛ صفات مريحة مطمئنة، وبالعكس يبدو على الجالس بطريقة خطأ أنّ هناك أمرًا ما خطأ، فأوضاع الجلوس السّيئة للشابّ تدعو إلى الانزعاج منه، أمّا بالنسبة للفتاة فهي كارثية لأنّها قد تسيء إلى سمعتها ووقارها.

ج- الملابس: تتخيّر الفتاة- وقد تتحيّر في انتقاء- نوعيّة الثياب التي تودّ ارتداءها لتبدو بصورةٍ لائقة أمام نفسها، وأمام غيرها من الناس. ولكن بوجهٍ عام يجب أنْ تتّسق مواصفات ثياب الفتاة مع الشّريعة الإسلامية بحيث تستر جسدَها ولا تصفُ ولا تشفّ، كما يجب أنْ تلاءم البيئة والمجتمع والمناسبة، فذلك من شأنه إعطاء انطباعٍ جيّد لدى مَن حولها، وكذلك الحال مع الشابّ أيضًا.

د- الحوار: إنّ هدوء الحوار وسلاستَه والحرص على استمراره من كافّة الأطراف يزيد من التّرابط بينهم، فبالحوار يتفاهم ويتقارب ويتفاعل الناس.

كما أنّه من الأهمية أنْ يُتقن الإنسان فنَّ الاستماع والإنصات للآخر، وعدم مقاطعته وترك الفرصة له للتحدّث، وإشعاره بأهميّته والنظر إليه أثناءَ حديثه والتجاوب معه بتعبيرات على الوجه وبكلماتٍ تخرج من القلب قبلَ الفم، فذاك أمرٌ يبيّن قدر المستمع لدى السامع.

ه- تنمية الحسّ الجَمالي، وتعلم تصميم ديكورٍ أنيق بأدوات بسيطة، وإعداد الطعام على المائدة بطريقةٍ متناسقة جميلةً تزيد البهجة وتفتح الشهيّة، وغير ذلك من الأمور التي من شأنها إضفاء راحة نفسية على الإنسان.

و التعوّدُ على بعض الأدبيّات التي تولّد الاحترام والودّ مثل تقبيل يدِ الوالدين، وتقديم الكبير واحترامه، واحتواء الصّغير والعطف عليه، والمسارعة في خدمة الآخرين، وغير ذلك من فضائل السّلوكيات.

الفصلُ الثّاني

الاختيارُ أو القبولُ والرّفض

ثلاثةُ أيام فارقاتٌ في حياة أيّ إنسان؛ يوم مولده، ويوم زواجه، ويوم وفاته. أمّا اليومان الأوّل والثّالث فلا خيار له فيهما ألبتة، يوم أتى ويومٌ مُنتظر، بينما اليومُ الثاني، يوم زواجه، فله فيه السّعي والاجتهاد والاختيار.

الاختيارُ له، والقبولُ والرفض لها:

إنّها لحظة فارقة مفصليّة، تلك التي يتمّ فيها اختيار العروس بالنسبة للشاب والموافقة على العريس بالنسبة للفتاة. إنّ الشابّ يختار بنفسه أو بمساعدة آخرين شريكةَ حياته بعد مروره بمرحلة التّنقيب ببصره وقلبه وعقله بين الفتيات، فإذا ما وقع اختيارُه على فتاة بعينها طرق بابَها خاطبًا إيّاها من ولي أمرها. والفتاة على لسان وليّها تقبله أو ترفضه، وهي في بيتها بعليائها وعزّتها، محفوظة مكرمة.

إنّه السّلوك التقليدي، وهو أيضًا السّلوك السويّ الذي يتناغم مع الفطرة، ويتّسق مع طبيعة الرّجل والمرأة على حدّ سواء.

ماذا تفعلُ الفتاة إذا أحبّت وأرادت الزّواج بمَن تحب؟

إنّ الأصل في بدء الارتباط والتقدّم للخطبة أنْ تكون مِن الرجل، كما جاء في القرآن في قوله تعالى مخاطبًا الرّجال: (ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم....) (البقرة: ٢٣٥).

كما أنّه من حقّ الفتاة حينما يخفق قلبها بالحبّ أنْ تطلع وليَّ أمرها بطريقة ما مباشرة أو غير مباشرة على مَن تحرّك له قلبها، وعلى وليّ الأمر حينئذ التصرّف بأسلوبٍ يحفظ للبنت حياءَها وإنسانيتها وأنوثتها وعزّتها وكرامتها، ويعمل على تحقيق أمنيتها ممّن تحبّ إنْ توافرت به الشّروط المناسبة.

ولنا في الحوارات الكريمة الرّاقية التي تمّت بين الشيخ الكبير صاحب موسي سبحانه وتعالى وابنته، وبين موسى سبحانه وتعالى والشيخ الكبير، والتي خُلّدت في كتاب الله الدرس العظيم، حين قال المولى سبحانه وتعالى في مُحكم آياته: (قالت إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير مَن استأجرت القوي الأمين قال إني أريد أنْ أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أنْ تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أنْ أشقّ عليك ستجدني إنّ شاء الله من الصالحين) (القصص: ٢٦-٢٧). لقد لمس الشيخ الكبيرُ من إحدى ابنتيه ميلًا لموسى سبحانه وتعالى كما لمس في موسى سبحانه وتعالى صفات كريمة تزكّيه لأنْ يكون زوجًا صالحًا لابنته.

... لم يُعرض الأبُ الحنون عن ابنته، ويتجاهل مشاعرها وأحاسيسها..

... ولم يلمْها الأبُ الحكيم على انجذابها العاطفي نحو القوي الأمين..

... ولم يتركْها الأبُ الرجل تبتذل مع مَن أحبّته حتى توقعه بشطارتها في شباكها..

... ولم يهمل الأبُ العاقل فحصَ صفات الرجل الذي رغبته ابنته زوجًا لها..

... بل عرضَ عليه زواجه منها حين اطمأنّ قلبه وعقله له بلا خجل أو حرج أو تردّد..

... فقبل موسى سبحانه وتعالى العرضَ الكريم من الشيخ الكبير بكلّ تقدير واحترام وتبْجيل..

... بمثل هذه الحكمةِ والعقل والحنان والرّجولة يكون تصرّف الأب..

... وبمثل هذه الطّهارة والصّراحة والعفاف يكون تصرف البنت..

... وبمثل هذه الشّهامة والمروءة يكون تصرّف العريس..

... وبمثل هذه الوضاءة والبساطة تبنى البيوت وتعمر..

... وبمثل هذه الشّفافية واليسر تقام الأسر وتستمر..

لقد خضعت مجتمعاتُنا الشرقية لتقاليد تمنعُ الوالد أو ولي الأمر من أنْ يعرض ابنته أو أخته أو قريبته لمَن يرتضي خلقه ودينَه وكفايته. وحتّمت هذه التقاليد أنْ يكون الرجل أو وليه أو وكيله هو الذي يجب أنْ يتقدّم للخطبة، وأنّه لا يليق ألبتة أنْ يجيء عرض الزواج من الجانب

الذي فيه المرأة، رغم أنّ تراث الأجداد قد ترك لنا عبارات رائعة مثل: «جَوّز بنتك وما تجوزش ابنك»،

.. وهذا ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنته حفصة رضي الله عنها فعرض زواجها على عثمان بن عفان رضي الله عنه ومِن بعده أبي بكر الصديق رضي الله عنه حرصًا منه على أنْ يضعها في يد أمينة. فقد وردَ في صحيح البخاري أنّه لمّا توفي زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عرضَها عمرُ رضي الله عنه على عثمان بن عفان رضي الله عنه، قائلًا له: إنْ شئت أنكحتك حفصة، فقال عثمان رضي الله عنه: سأنظرُ في أمري. فمرّت أيام، ثمّ قابله عمر رضي الله عنه، فقال عثمان رضي الله عنه: بدا لي ألّا أتزوّج يومي هذا. فقابل عمرُ أبا بكر رضي الله عنهما فقال له: إنْ شئت أنكحتُك حفصة. فصمتَ أبو بكر رضي الله عنه ولم يقلْ شيئًا، فوجد عمرُ رضي الله عنه ذلك في نفسه (تألّم). ثمّ خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، فأنكحها إيّاه، ثمّ قابل أبو بكر عمرَ رضي الله عنهما فيما بعد، وأعلمَه أنّه كان يعلم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم سيخطبها.

ولكنّ الناس قد لا تقوى على الوصول إلى هذا المستوى الاجتماعي الإسلامي الراقي الرائع، ربّما لغلبة تقاليد وعادات وأعراف وثقافات على اتّخاذ أمثال عمر بن الخطاب (رض) أسوة يقتدى بها في هذا المضمار.

.. والبديل،

لا بأس من أنْ يتّخذ ولي أمر الفتاة وسيطًا يلفتُ نظر الشابّ الذي أرادته ابنته محفّزًا له على التقدّم إليها طالبًا يدها على نحوٍ يحفظ على أسرة الفتاة حياءها، وذلك بعد التأكّد من صلاح هذا الشاب.

كما يجوز للفتاة أنْ تعرض نفسَها على شابّ تريد الزواج به بشرط أنْ يكون متّصفًا بالتدين والصّلاح والخلق الحسن، أو أنْ يكون من أهل العلم، أو خشية الوقوع في محذور لاستبداد هواها فيه، وألّا تبني اختيارها له على غرض دنيوي، كما لا يحبّذ أنْ تقوم هي بإخباره برغبتها فيه بنفسها حفاظًا على حيائها ومكانتها وأنوثتها.

وإذا ما عرضت الفتاة الزواجَ على شابّ فله أنْ يقبل عرضها ويعلنَ عن رغبته في الزواج منها أو يرفض هذا العرض. وفي كلتا الحالتين على الفتاة أنْ تنصرف وتبتعد عن الشابّ ولا تلحّ في إظهار رغبتها فيه، ولا تطارده أينما وجدت لذلك سبيلًا، فقد انتهى دورها تمامًا عقب العرض، فإن كان صادقًا في رغبته بالزّواج منها فعليه أنْ يطرق بابها خاطبًا لها مِن وليّها، وإلّا.. فليسكت عنها ويبتعد، ولا يصرّح بالرفض، فالصمت ألْيَنُ وأكثر ذوقًا من القول.

... هذا ما تعلّمناه من معلّم البشرية وقدوتها (ص)..

فقد روى الشيخان: «أنّ امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه

وسلم، فقالت: يا رسول الله. إني وهبتُ نفسي لك. فقامتْ قيامًا طويلًا، فقام رجل، فقال: يا رسول الله، زوجني بها إنْ لم يكن لك بها حاجة. فقال صلى الله عليه وسلم: هل عندك مِن شيء تُصْدقُهَا إيّاه؟ فقال: ما عندي إلّا إزاري هذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنْ أعطيتها إزارك جلستَ لا إزار لك، فالتمسْ شيئًا. فقال: ما أجد شيئًا، فقال صلى الله عليه وسلم: التمسْ ولو خاتمًا من حديد، فالتمسَ فلم يجد، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هل معك من القرآن شيء؟ قال: نعم، سورة كذا، وسورة كذا، لسور يسمّيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد زوّجتكما بما معك من القرآن».

إنّ هذا الأسلوب الراقي يختلف تمامًا عن أساليب اصطياد العرسان التي تمارسها بعض الفتيات أحيانًا!!

... كيف يكون هذا؟..

اصطيادُ العريس:

إنّ الفتاة تستطيع أنْ تتصنّع وتتبرّج وتتدلّل وترتدي الجاذب من الثياب وتؤدّي الملفت من الحركات؛ بغرض اصطياد شابّ من بين الشباب ليصبح زوج المستقبل، وقد تفلح في خطتها وتوقعَ بأحدهم.

إنّها بتصنّعها وتبرجها وتدلّلها ستجذب أحد صنفين من الشباب:

- شاب غير ناضج تلفته الألـوان وتأخذه الأضـواء وتجذبه الضوضاء، وهذا سينضجُ يومًا ما ويتغيّر رأيه وذوقه، ولن تبهره حينئذٍ

الألوان والأضواء والضوضاء كما كانت تفعل في السابق، فتتقلّب عواطفه ويتحوّل فؤاده إلى غيرها..

- أو شابّ يشدّه الفتاةُ ذات الألوان والأضواء والضوضاء، ويجذبه المتصنعة المتبرجة المتدلّلة، فإذا ما تزوّج هذا الشابّ بهذه الفتاة فإنه سيألفها ويعتاد على ألوانها وأضوائها وضوضائها بعد فترةٍ قصيرة أو طويلة، ثمّ يدبّ فيه الملل، ويشرع في البحث عن غيرها ذات ألوان وأضواء وضوضاء مختلفة.

فهل ترتضي مَن تريد اصطياد عريس هذا المصيرَ مع أحد هذين الصنفين من الشباب؟

> **إنّ الفتاة لا تعلم أنّ احترام الشابّ لها يقلّ كثيرًا عندما تصبح متاحة في مجال بصره وفي متناول يده، فيتطاول عليها بالنّظرات رغبة واشتهاءً، وبالكلمات تلميحًا وتصريحًا، وباللمسات استغلالًا وانتهاكًا، ومَن ترتضي ذلك فقد أهانت نفسها وحقّرت من شأنها وأوضعت من أمرها.**

إنّ الفتاة لا تعلم أنّ الشابّ الرجل في العادة يحب أنْ يسعى إلى المرأة ويزهد في التي تسعى وراءه، حتى وإنْ نجحت في سعيها، واستطاعت أنْ تناله زوجًا فستكون قد فقدت الكثير والكثير ممّا ستثبته لها الأيام.

هناك صنفٌ من الفتيات قليل الوجود ولكنّه موجود تهينُ فيه الفتاة نفسَها بسعيها وحدها للزّواج من شابّ اختارته من بين الشباب فدقّ له قلبها وأرادته زوجًا لها، فحادثته ولاحقته وألّحت عليه وطاردته وساومته، فبدتْ وكأنّها المتلهّفة عليه أكثر منه، وغضت الطرف عن فطرتها التي تدفعها لتمتلئ سعادةً وراحة عندما تشعر بأنّها المرغوبة وليست فقط الراغبة، إنّ هذا الصنف من الفتيات يقترب في سلوكه في هذا المضمار من الرّجال. فالأصل أنّ الرجل هو الذي يختار ويُحادث ويلاحق ويلحّ ويطارد ويساوم وليس المرأة.

إنّ الشابّ يحبّ أنْ يلهو بالبنت، ويلعب مع البنت، ولكنّه حين يسعى للزواج فسيختار مَن لم يتلهّى بها أو يلعب معها من قبل، والشابّ السوي يحترم الفتاة بعيدةَ المنال ويفضل الزواج منها، فهي التي يشعر أنّها الأمينة على اسمه وشرفه وبيته وأولاده، فالفتاة اللّعبة لا تصلح له زوجة.

وخلاصةُ القول، أنّ الفتاة ستجذب مَن هو مِن صنفها، «فالطيور على أشكالها تقع»، فإن كانت متديّنة جذبت مَن يريد أنْ يظفر بذات الدين، فذاك إنْ شاء الله عليها الأمين، وإن كانت لاهية عابثة فستجذبُ إليها اللاهي العابث الذي بها يلهو ويعبث، ثمّ يلتفت إلى غيرها ليكمل لهوه وعبثه.

أيّتها الفتاة، كوني كالزّهرة بتديّنك وأدبك وحيائك التي تجذب النّحلة المنتجة للشهد والعسل..

ولا تكوني كالفضلات والنّفايات بتبذّلك واستهتارك التي تجذب الذّباب المسبّب للأمراض.

الاختيارُ والقبولُ بالمنطق أم بالعاطفة؟

أنسبُ وأفضل وأصحّ الطرق التي يتمّ بها اختيار العروس أو الموافقة على العريس هي التي يستخدم فيها كلّ مِن العريس والعروس المنطقَ والعاطفة معًا، وهو أمر في غاية الصعوبة وقد يرقى إلى درجةِ المستحيل في أغلب الأحيان إنْ لم يمدّ الكبار يدَ العون لهما.

فمِن الظّلم أنْ يُطلب من الشابّ استخدام منطقتي المنطق والعاطفة بمخّه في ذات الوقت لأنّه كذكَر لا يقوى في العادة على استخدام منطقتيْن بالمخّ في نفس الوقت، أمّا الفتاة فهي تحتاج كطبيعة الأنثى إلى مَن يعينها على اتّخاذ القرار المناسب لغلبة عاطفتها على منطقها في أغلب الأحوال.

وبناءًا على ذلك ينبغي على الشابّ أنْ يستعين بعدَ الله بكبار السنّ من ذوي الخبرة والرأي، والذين يعرفون شخصيّته وما يريده في- ومِن- عروسه في انتقاء الفتاة الملائمة له، فإن استراح عاطفيًّا لها ووافقه منطقُ الكبار عليها تقدّم لخطبتها، وبذلك يكون قد جمع في اختيار عروسه بين عاطفته ومنطق الكبار.

أمّا الفتاة لأنّ كثيرًا ما يصعب عليها اتّخاذ قرار الموافقة أو الرفض في أمر الزواج فيجب أنْ تركن إلى غيرها كوليّ أمرها وكبار عائلتها ليعينوها في تقرير قبول أو رفض العريس، وبذلك تستفيد من منطق الكبار، ثمّ تعمل قلبها وتستخدم عاطفتها ليؤخذ القرار المناسب.

فلا غنًى عن الكبار ونصحهم ورؤيتهم في إنارة الطّريق أمام الشباب والفتيات لزواج موفّق مبارك يجمع بين المنطق والعاطفة.

أسسُ الاختيار والقبول:

لأنّ المؤسّسة الزوجية قامت في الأصل لتدوم، كانت أفضل الأسس المتينة التي تقوم عليها هي الأسس المبنيّة على القيم التي لا تتبدّل أو تتغيّر مع مرور الأزمان. ومن هذا المنطلق، وقف التديّن وحسن الخلق والكفاءة والباءة والإخلاص والصّدق والأمانة على قمّة الأسس التي يجب التّركيز عليها من قِبَل العروسين، فبدونها قد يتعرّض البيت للتداعي والأسرة للتفكّك، ولكن هذا لا ينفي وجودَ أسس أخرى قد تزنُ عند البعض وزنًا ثقيلًا كالجَمال والوسامة وغيرها.

ومن أهمّ أسس بناءِ حياة زوجية متينة ما يلي:

١- التديّن:

لا يختلف اثنان على أنّ التدين أصلٌ أصيل في اختيار العريس لعروسه وقبول العروس بعريسها، والذي يجب أنْ يوجد بثقل عند اختيار العريس لعروسه أو قبول العروس بعريسها. فارتباطُ الإنسان بالدّين يعنى ارتباطَه

بالله تعالى، وما يتمخّض عن هذا الارتباط من بناء الحياة الزوجية على مفهوم القداسة والاحترام والكرامة والسكن والمودة والرحمة.

والتّدين يدخِل السّعادة في الحياة الزوجية لأنّه يجعلها حياة كريمة، يحظى طرفاها بالاحترام المتبادل، كما تتّسم بخلوّها من الظلم عندما تحلّ غيوم الغضب والكره، بالإضافة إلى أنّ التدين يهيّئ مناخًا رائعًا لتربية ذرية صالحة.

ولقد بيّن لنا القرآن الكريم فضلَ ذوي الدّين على غيرهم وغيرهنّ بقوله تبارك وتعالى (...وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ...) (...وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ...) (سورة البقرة: ٢٢١).

لقد وجّه الرسول صلى الله عليه وسلم الشبابَ إلى الزواج من ذات الدّين، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه «تنكح المرأةُ لأربع؛ لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذات الدين تربت يداك». وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم: «الدّنيا متاع وخيرُ متاعها المرأة الصالحة».

فلا قيمة لأيّ اعتبار آخر ليس معه الدّين، فجمالُ المرأة من غير دين لا يثقل ميزانها، فهو مَغنم إذا كان معه دين يحميه، وهو مَغْرم إذا كان بمعْزل عن الدين، وحسبها ونسبها بغير دين نقمةٌ لا نعمة، وثراءُ مَن لا دين لها وبالٌ على زوجها، وقد يؤدّي إلى طغيانها وبغيها.

ومصداقًا لذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجه وابن حبان والبزار والبيهقي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله (ص): «لا تزوّجوا النساء لحسنهنّ، فعسى حسنهنّ أنْ يُرديهن، ولا تزوّجوهنّ لأموالهنّ، فعسى أموالهنّ أنْ تطغيهن، ولكنْ تزوّجوهن على الدّين، ولأمةٌ خرماء (مثقوبة الأنف) سوداء ذات دين أفضل».

كما حثّ النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ على قبول الشابّ صاحب الدين والخلق الحسن زوجًا للفتاة، حيث قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي: «إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخلقه، فأنكحوه، إلّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد..». قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه (أي لديه نقص في الجاه أو فقر في المال أو غير ذلك)؟ قال صلى الله عليه وسلم مؤكّدًا ومكررًا ثلاثَ مرّات: «إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخلقه فأنكحوه».

إنّ الشابّ الملتزم بدينه سينصفُ زوجته من نفسه، وسيعرف لها حقّها، وسيعينها على أمور دينها ودنياها، وسيدعوها دائمًا إلى الخير، فإذا أحبّها أكرمها، وإنْ كرهها لم يظلمها؛ لأنّه يعرف مِن كتاب الله: (....فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان....) (البقرة: ٢٢٩)، كالقول الذي ورد على لسان الحسن بن علي رضي الله عنه حين سأله رجل: إنّ لي بنتًا، فمَن ترى أنْ أزوّجها له؟ قال: «زوّجها لمَن يتقي الله، فإنْ أحبّها أكرمها، وإنْ أبغضها لم يظلمها».

ولأنّه يعلم أنّ زوجته بشرٌ وليست معصومة من الخطأ؛ فهو يتوقّع أنْ يجد منها بعض ما لا يعجبُه، فيتقبّل ذلك إيمانًا منه بقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم: «لا يَفْرَكُ (لا يبغض) مؤمنٌ مؤمنة، إنْ كره منها خلقًا، رضي منها آخر».

والفتاةُ ذات الدين تحبّ ربّها ورسوله، فتتّبع أوامره، وتنتهي عن نواهيه، وتراقبه في كلّ عمل، فعليه تتوكّل، وبه تستعين، تطيع زوجها، وتحفظه في نفسها وماله، خيّرة مع أهلها وجيرانها وكلّ مَن حولها، نافعة لهم، ميسّرة لأمرهم، بشوشة في وجههم.

وكثيرًا ما ينخدع الناسُ بمظاهر التديّن من لحية ونقابٍ ومسبحة و...، و.... إلخ، وكلّها مظاهر حسنة ولا شكّ، ولكنّ الأهمّ من تلك المظاهر خاصّة لو كانت غير واجبة شرعًا أو اختلف في وجوبها العلماء ما وقرَ في القلب من صالح النّوايا وصدقه العمل المتّفق مع نهج النبي (ص)، فالمَخْبر أهمّ من المظهر، والأفعال أربى من الأقوال.

وصاحبُ الدّين لا يُعرف إلّا بالتّجربة العمليّة والعشرة اللّصيقة والتعامل المادي، فذاك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلّمنا مَن هو المتديّن عندما جاءه رجلٌ ليشهد لرجل آخر، فقال عمر رضي الله عنه: أتعرف هذا الرجل؟ قال: نعم. قال عمر رضي الله عنه: هل أنت جارُه الذي يعرف مدخَله ومخرجه؟ قال: لا. فقال عمر رضي الله

عنه: هل صاحبْتَه في السّفر الذي تُعرف به مكارمُ الأخلاق؟ قال: لا. قال عمر رضي الله عنه: هل عاملته بالدّرهم والدينار الذي يُعرف فيه وَرَعُ الرجل؟ قال: لا. فقال عمر رضي الله عنه: لعلّك رأيته قائمًا وقاعدًا يصلّي في المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضه تارة أخرى؟ قال: نعم، فقال عمر رضي الله عنه: اذهبْ فأنت لا تعرفه. والتفت إلى الرّجل وقال له: ائتني بمَن يعرفك.

فالتديّن قلبٌ تقي وصدرٌ نقي وعملٌ خفي، فالله عزَّ وجل لا ينظر إلى الصور والأجسام، ولكنْ ينظر إلى ما في القلوب وما تؤدّيه الجوارح من أعمال.

٢- حسنُ الخلق:

إنّها الصّفة التي إنْ لازمت عبدًا مؤمنًا جعلته أقربَ النّاس مجلسًا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم يوم القيامة.

فالشابّ ذو الخلق الحسن الكريمُ سيرحم ضعف زوجته، ويجبر كسرها، ويبشّ في وجهها، ويفرح بها، ويشكرها ويكافئها إنْ أحسنت، ويصفحُ عنها ويغفر لها إنْ قصّرت، ولن يؤذيها أو يسمعها لفظًا بذيئًا يؤلمها ولا كلمة رديئة تخدش حياءها، ولا سبًّا مقذعًا يجرح كبرياءها ويهين كرامتها، ولن يغرِّر بها، ولن يخفي عيبًا في نفسه، ولن يتظاهر أمامها بما ليس فيه، كأن يخفي نسبًا وضيعًا، أو فقرًا مدقعًا، أو سنًّا متقدّمة، أو زواجًا سابقًا أو قائمًا، أو علمًا لم يحصِّله.

... وكذلك تفعل الفتاة حسنة الخلق،

ولكمْ عانت سيداتٌ فُضليات من أزواجهنّ سيئي الخلق، فصار طعمُ الحياة تحت نيْرهم مريرًا، فتحمّلن أو تحطّمن.

وكمْ عانى شبابٌ كثر من سوء طبع ورداءةِ خلق زوجاتهم، فتخلّصوا منهنّ بعد عدّة حروب، أو صبروا على الحياة معهنّ على مضض، فكانوا كالقابض على الجمر، وقليلٌ منهم من فعل.

وقد نصحَ بعض الحكماء الشبابَ عند زواجهم ألّا يتزوّجوا مَن تتّصف بغير الأخلاق القويمة، قال أحدهم: لا تنكحوا من النّساء ستة: لا الأنّانة، ولا المنّانة، ولا الحنّانة، ولا الحدّاقة، ولا البرّاقة، ولا الشدّاقة.

فأمّا الأنّانة: فهي التي تكثرُ الأنين والشّكوى والتّمارض.

والمنّانة: التي تمنُّ على زوجها بما تفعل، فتقول: فعلتُ لأجلك كذا وكذا.

والحنّانة: التي تحنُّ إلى أهلها أو أحد أقربائها أو رجل آخر غير زوجها حنينًا يفسدُ استقرار حياتها الزّوجية، ويعكر هدوءها.

والحدّاقة: التي تشتهي كلّ ما تقعُ عليه عينها، فترهق زوجَها بطلباتها وتكلّفه ما لا يطيق.

والبرّاقة: التي تنفق أغلبَ وقتها في زينتِها، فهي تتكلّف الجَمال.

والشدّاقة: الكثيرةُ الكلام فيما لا يعنيها، وما لا فائدة فيه.

٣- الكفاءة:

المساواةُ والمقاربة بين الزوجين أو ما تسمّى بالكفاءة هامّة لاستقرار الزواج واستمراره. فالكفاءة بين العروسين من حيث السنّ والمستوى الاجتماعي والثقافي والمهني والتعليمي والديني يوفّر فرصَ وجود مساحات معقولة تسمح بدرجةٍ عالية من التفاهم والتواصل، كما جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال له في الحديث الذي رواه الترمذي والحاكم: «ثلاثٌ لا تؤخّرهن، الصّلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيّم إذا وجدت كفؤًا»، وما جاء عن عائشة - رضي الله عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال في الحديث الذي رواه ابن ماجه: «تخيّروا لنطفكم، وأنكحوا الأكفاء».

وقد يحاول الشبابُ والفتيات التّغاضي عن عناصر التكافؤ والقفز فوقها اعتقادًا بأنّ الحبّ الذي ملَكَ قلوبهم كفيلٌ بتجاوز الفوارق العمرية والاجتماعية والثقافية والمهنية والتعليمية والدينية، ولكن بعدَ الزّواج حينما تهدأ حرارة الحبّ وتهبّ أمواج المسئوليات والصعوبات والخلافات قد تتكشف سوْءات عدم التكافؤ.

والكفاءةُ عنوان يغطي عدّة مناحي، منها ما يلي:

أ- الكفاءة العمرية:

غالبًا ما يدرك الفتاة البلوغُ قبل الفتى، وتحلم بالزّواج وحفل العرس قبل الفتى، وتستطيع القيام بمسئوليات الزوجة والأمّ قبل استطاعة الفتى القيام بمسئوليات الزوج والأب.

فقد كانت الفتاة وهي طفلة تلهو وتلعب بما يؤهّلها للقيام بدور الزوجة والأمّ من أعمال منزلية ورعاية دُمية، فلكمْ طهت على أدوات مطبخها اللعبة، وكم اعتنت بدميتها الصغيرة.

أمّا هو فلم يتدرّب على مسئوليات الزوج من إنفاق ورعاية واهتمام، ولا على مسئوليات الأب، فلم يلْهُ وهو صغيرٌ بدمية، ولذلك كانت القاعدة العامّة هى أنْ يكبر الزوج زوجته حتى يواكبها في مراحل النّضج النفسي والجسدي والاجتماعي، كما أنّ ذلك يوفّر أجواءً تحقّق شيئًا من قوامة الرجل في بيته.

ولقد وجد أنّ أفضل فارقٍ في العمر بين العروسين هو أنْ يكبر الرجلُ زوجته ب ٣ إلى ٧ سنوات، مع بعض الاستثناءات. وحينما يزيدُ هذا الفارق عن ١٠ سنوات تبدأ علامات عدم التوافق في الظّهور، لأنّ الفارق بأكثر من ١٠ سنوات ربّما يجعل كلًا من العروسين منتميًا الى جيل مختلف، وبالتالي ستختلف اهتماماتُهما وأفكارهما بشكل قد يكون واضحًا، فيتعسر التفاهم ويتعثر التوافق. فالفتاة الصغيرة ترغبُ في المرح والانطلاق والاستكشاف، في حين يميل زوجها الكبير إلى الجديّة والهدوء والتأمّل والاستقرار، هذا فضلًا عن الفوارق في الاحتياجات العاطفية والجنسية والحالة الصّحية والمزاجية العامة.

وللزّيجات ثلاثةُ أنماط رئيسة على أساس فارق السنّ، وعلى الدور الذي يجب أنْ يلعبه كلّ شريكٍ مع الآخر، وهي كالتالي:

١- الزّوجة الأمّ: وهي الزّوجة الأكبر سنًّا من زوجها، وتقوم هي بدور رعايته واحتوائه، وكأنّها أمّه.

٢- الزّوجة الصّديقة: وهي قريبة في السنّ من زوجها، ولهذا فالعلاقة بينهما أقرب ما تكون إلى علاقة صديقين.

٣- الزّوجة الابنة: وهي تصغرُ الزّوج بسنواتٍ كثيرة، ولذلك يتعامل معها كطفلة يدلّلها ويرعاها، ويتجاوز عن أخطائها، بينما تسعد هي بأداء دوْر الطفلة.

والرّسول صلى الله عليه وسلم كان له في حياته هذه الأنماط الثّلاثة من الزّيجات، فقد كانت له الزوجة الأمّ ممثّلة في السيدة خديجة- رضي الله عنها-، وتزوّج- صلّى الله عليه وسلّم- في فترات تالية بالزوجة الصّديقة متمثّلة في السيدة أمّ سلمة رضي الله عنها ثمّ كان له نمط الزّوجة الابنة ممثلًا في السيدة عائشة رضي الله عنها-، ولأنّه صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة علّمنا كيف نتعامل مع كلّ أنماط الزيجات الثّلاثة بما هي أهله.

ب- الكفاءةُ الاجتماعية، كفاءة الحسب والنّسب:

وهي تعني تقارب المكانة الاجتماعية لعائلتي الشابّ والفتاة، وهناك بعض المجتمعات والعائلات تضع اعتبارًا ذا قيمة لكفاءة النّسب والمصاهرة.

ج- الكفاءة التعليمية والمهنية:

في أغلب الأحيان يكون التقارب- وليس بالضرورة التّطابق- المهني أو التعليمي مطلوبًا لتيسير التّفاهم والانسجام بين الزوجين، كما يساعد على تفهّم أكثر لطبيعة العمل وتسهل التماس الأعذار.

قد يكون محبّذًا إلى حدّ ما أنْ يكون المستوى التعليمي للزوج أعلى من ذات المستوى لدى الزّوجة، فذاك أمر يعضّد من قوامة الرجل وشعوره الذكوري بضرورة تفوّقه على أنثاه.

ولكنْ من الصعوبة بمستوياتها المختلفة زواج فتاةٍ على درجة علمية عالية بمَن هو أقلّ منها كثيرًا في التعليم، فذاك أمرٌ في الغالب ينتقص من توافق الرّجل مع زوجته ويضعف من طاقتها على طاعته، فمَن سيطيع مَن؟ أعلى الزوجة- وهي المتعلّمة العارفة العالمة- طاعة زوجها وهو القليل العلم؟ ثمّ أيقبل الرجلُ على نفسه أنْ تكون زوجته أعلى منه طوال الوقت أم أنّه سيحاول تغطية ذلك وتعويضه بمزيدِ سيطرة وتحكّم وقسوة ليفرض رجولته ويظهر قوامته؟ أي حياة ستكون؟ وإلى أيّ حال ستئول؟

د- الكفاءة الدّينية:

أروعُ ما في الزواج أنْ يضمّ الشابّ والفتاة اللّذين على درجة متقاربة في التديّن، ليعينا بعضهما البعض على طاعة الله والتقرب إليه.

ولكمْ صنع التّفاوت في درجة التديّن من شروخ وصدوع في الحياة الزوجية، ولكم كان هذا التّفاوت في غير صالح أكثرهم تديّنًا، خاصّة لو كانت المرأة هي التي تفوق زوجها في درجة تمسّكها بدينها.

هو أعجبته فتاة متبرّجة، لا ترغب في ارتداء الحجاب، ويريد الزواج منها على أمل أنْ يقنعها فيما بعد بالحجاب. وهي قبلتْ بالزّواج من شابّ تارك للصلاة وتطمع أنْ تجعله حريصًا على أداء الصّلوات عندما يصير زوجها، وقصص على هذه الشاكلة كثيرة..

إنّ الواقع يحكي لنا أنّه من المسْتحسن للشابّ إنْ أراد لَمن أحبّها أنْ تتحجّب أنْ تفعل ذلك قبل ارتباطه بها، وإنْ كانت الفتاة تريد زوجًا مصلّيًا فلا تقبل بغير المصلي. إنّ قيام أحدهما بمحاولات الارتقاء بالحالة الدّينية للآخر قد تلقي تجاوبًا في البدء، ولكنّها في كثير من الأحيان قد تسبّب للاثنين إعناتًا مؤلمًا فيما بعد ممّا يؤثّر بالسلب على الحياة الزوجية.

هـ- الكفاءة المادية:

إنّ تقارب المستوى المادي للعروسين أمرٌ مستحَب، فقد اعتاد كلّ منهما العيش بمستوى معين يصعب النّزول عنه إنْ كان الزّواج سيتسبّب في تدني المستوى المادي بغتة، كما يصعب على نفس القدر الارتقاء عليه إنْ كان الزّواج سيؤدّي إلى الثراء المادي فجأة.

كما تشتمل الكفاءة المادية على قدرة الشابّ على تحمّل تكاليف الزواج والإنفاق على بيته والوفاء بالاحتياجات الأساسية الضرورية للزوجة والأبناء، إنّها الباءة التي أوصى النبي الشبابَ بالزّواج حين امتلاكها. قال صلّى الله عليه وسلّم في الحديث المتّفق عليه «يا معشرَ الشباب، مَن استطاع منكم الباءة فليتزوج...».

والكفاءة كقاعدةٍ لها استثناءات عديدة، فأحيانًا يكون هناك عنصرٌ أو أكثر مِن عناصر التكافؤ مفقودًا، ولكن قد يتمّ تعويضه بعناصرَ أخرى أكثر قوّة وأهمية بالنسبة لأحد الطرفين أو كلاهما.

فقد توجد اختلافاتٌ هائلة في العمر أو في المستوى الاجتماعي أو الثقافي أو التعليمي بين الزّوجين، ممّا ينبئ باضطراب التوافق بينهما، ورغم ذلك قد يكونا متوافقين أو على الأقلّ متعايشين بسبب عثورِ كلّ منهما على ما يحتاجه عند الآخر، فكلّما كان كلّ طرف يلبّي احتياجات الآخر كان التماسك الأسري قائمًا.
والواقع يقصّ علينا أنّ هناك الكثيرَ من الخيارات التى تبدو غريبة وغير متكافئة ولكنّها حققت نوعًا من الاستقرار الأسري.

أمثلة:

(١) زواج فتاة حسناء صغيرة السنّ من رجل يكبرها كثيرًا في العمر، ولكنه يملك المال والحياة المرفّهة، فعاشت معه في رضًا لأنّ

القدرات المادية المتميزة والحياة المرفهة تعني لديها الكثير.

(٢) قد تكون الزوجة قويّة مسيطرة، تقود زوجها وتهيمن عليه، ولكنهما راضيَيْن، لأنّ الزوج ضعيفُ الشخصية قليلُ الحيلة يفضّل الاحتماء بغيره والانقياد له، فيجد ذلك عند زوجته القوية المسيطرة، ممّا يبعث على البيت استقرارًا على ما فيه من عوج قد يؤثّر سلبًا في تربية الأولاد.

٤- الجَمال:

ما خلق الله- عزّ وجلّ- إنسانًا، رجلًا كان أو امرأة، إلّا وله في الجَمال نصيب ما، يراه ويشعر به ويستحسنه ويميل إليه بعض الناس دون غيرهم.

والنفس الإنسانية بطبيعتها السويّة تهفو إلى الجمال بصورتيه الظاهرة والباطنة. فجمال الظّاهر يتمثّل في روْعة المظهر وجَمال الهيئة، وحسن الوجه، وتناسق الأعضاء، وعذوبة الصّوت، ورشاقة الحركة، وغير ذلك.

بينما يبدو جَمال الباطن في جَمال الأخلاق الحميدة، والأذواق الرفيعة، والأدب الجمّ، والمعاملات الحسنة، والعقل الرّاجح، والفكر الثاقب، والثقافة الرفيعة، وضبط الغرائز، وخفّة الرّوح، والبساطة، واتّساع الصدر، والحلم، والنّجاح، كأزواج وزوجات وآباء وأمّهات، وغير ذلك.

جَمال الظاهر سببٌ من أسباب العفّة، وجمال الباطن سبب من أسباب استقرار الحياة الزوجية وروْعتها. فالتوازن بين الجَمالَيْن أمرٌ هامّ إلى حدّ بعيد في بناء أسرة سعيدة، ودوام استقرار نجاح الحياة الزوجية.

ولا شكّ أنّ النفوسَ تميل إلى الجَمال الظّاهر، ولكنّ الجمال الحقيقي الباقي هو جمال الباطن، فمعَ مرور الزّمان سيتسرّب جمال الظّاهر رويدًا رويدًا حتى يخبو، أمّا جَمال الباطن فستزيده الأيّام قوّة وروعة ورسوخًا.

والشابّ قد يجذبه في الفتاة ابتداءً جَمالُها الظاهر، ثمّ عليه بعد ذلك أنْ ينبش عن جمالها الباطن وهو الأدوم والأبقى أثرًا.

ولقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الرّاغبَ في الزواج إلى النّظر إلى وجه المرأة وكَفَّيْها، فإنّ الوجه مَجْمع الحسن وموْطن القبول الأوّل، كما أنّ النظر إلى الكفّين ينبئ عن بضاضة البدن، وذلك لأنّ النفس إذا نظرت فاطمأنّت؛ وقعت الألفة، وهذا أدْعى إلى دوام المحبّة واستقرار العشرة.

ففي الحديث الذي رواه مسلم أنّ المُغيرة بن شعبة رضي الله عنه خطب امرأة من الأنصار، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «هل نظرت إليها؟ فإنّ في أعين الأنصار شيئًا، فقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: قد نظرتُ إليها».

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود: «إذا خطب أحدُكم المرأة، فإنِ استطاع أنْ ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعل». وقال صلى

الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجة «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله- عزّ وجلّ- خيرًا له من زوجةٍ صالحة، إنْ أمرها أطاعتْه، وإنْ نظر إليها سرّته، وإنْ أقسم عليها أَبرّته، وإنْ غاب عنها نصحتْه في نفسها وماله».

أمّا الفتاة فتميل إلى الشابّ الذي يحوز على الجَمال والقوّة. فجمال الشابّ في نظر الفتاة ينبع من جَمال خلقته وخلقه ودينه وأمانته ومروءته وكرمه، وغير ذلك من الفضائل، بينما تتمثل قوّة الشابّ في صحته وقدرته المادية ومكانة عائلته،... إلخ. ولذلك كان من الفطرة أنْ تقبل الفتاة الشابّ الذي يتقدّم لخطبتها إنْ رأته مناسبًا (لديه صفات جَمال وقوّة من وجهة نظرها) أو ترفضه إنْ ارتأته على غير ذلك (لديه صفات قُبح وضعف من وجهة نظرها)، وكأنّها تنتقي من خطّابها الجميلَ القوي لتشعر في ظله بالأمان.

ولو انتهجت الفتاة أسلوبًا آخر وقبلتْ بالأقبح والأضعف لأدّى ذلك إلى تدهور الأجيال البشرية المُتعاقبة، فهذه الطبيعة الأنثويّة رغم مظهرها الانتهازي في نظر الرجل تحضّ الشابّ ليكتسب مصادر الجَمال والقوّة في الأخلاق والسلوك والمظهر والمركز الاجتماعي والمادي حتى يحظى بزوجة.

ولذا قد يتعجّب الناس حينما يروْن شابًّا وفتاة وقد ارتبطا بعلاقة حبّ بدت قوية وامتدت طوال سنواتِ دراستهم الجامعية، ثمّ قبل تخرّج الفتاة

من الجامعة يتقدّم إليها شابّ آخر أجمل وأقوى ماديًّا واجتماعيًّا؛ فإذا بها في كثير من الأحيان تترك مَن كانت «تحبّ» وتقبل هذا «الجاهز» وترتضيه زوجًا، خاصّة لو كان هذا «الحبيب» لا يملك ما يتزوّج به، إنّ الناس قد لا يعلمون أنّ هذا «الجاهز» صارَ هو الأجمل والأقوى في نظر الفتاة، ولذا كان الأحقّ والأجدر بأنْ ينالها زوجة له مِن دون هذا «الحبيب»، لقد أزاح الجميل القوي مَن كان يومًا حبيبًا من الطريق.

لا وجهَ للعجب إذًا لأنّ ارتكان الفتاة للأجمل والأقوى أمرٌ طبيعي جدًّا، ولكن سوء الفهم لطبيعة الأنثى ولاحتياجاتها النفسيّة هي التي تجعل هناك تعجّب من تصرفها وشعور بألّا وفاء عندها.

٥ القدرةُ على الإنجاب:

الإنجابُ هدفٌ من أهداف الزواج، ولذا كانت أهمية إجراء الفحوصات الطبية قبل الزواج كي يعلم العروسان مُسبقًا ما قد يحدث بالمستقبل بشأن الإنجاب، أخذًا بالأسباب، ولله غيب السماوات والأرض.

٦ استطاعةُ الباءة للشاب:

هي قدرة الشابّ على تحمّل مسئوليات الزّواج وتبعاته وأعبائه المادية والصحية والنفسية، ولقد سبق ذكرُ الحديث الذي يحضّ فيه الرسول صلّى الله عليه وسلم الشباب على الزّواج متى استطاعوا الباءة.

فمَن يعجز ماديًّا عن الإنفاق على نفسه وأهله فسيضيّع مَن يعول، ويعرّضهم لألم الحاجة وذلّ السّؤال، ومَن عجز صحيًّا عن الوفاء بحقوق زوجته الشرعية في الفراش وقصّر في الجماع فسيعجزُ عن إعفافها وإحصانها وحرمانها من حقّها كإنسانة في حياة مُشْبعة، كما قد يتسبّب في حرمانها من نعمة الأمومة، ولذلك كانت الباءة ركنًا أساسيًّا لشروع الشباب في الزواج.

وعلى الشابّ عدمُ تأجيل الارتباط بحجّة ضعف الإمكانيات المادية، فقد بشرنا الرسول الكريم بالحديث الذي رواه الترمذي والبيهقي وأحمد حينما قال: «ثلاثة حقّ على الله عوْنهم، المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والنّاكح الذي يريد العفاف»، بما يوضح أنّ النكاح بلغ من الصّعوبة في نفقاته وتبعاته وخطواته حتّى أنّ الله تكفّل بعون مَن يرغب الزواج بنية الإعفاف.

.. ولي هنا كلمة في أذن الشباب..

اسأل كلّ مَن تزوّج مِن الرّجال؛ الوالد والعمّ والخال والأخ الأكبر، اسأل مَن تزوج بالماضي والحاضر؛ كيف تزوّجت؟ فسيجيبك الجميع بصدق نفسَ الإجابة: «والله لا أعلم، أراد الله أنْ يزوّجني فتزوّجت!!».

فالله لا ينسى مَن خلق، ولكنّ الخلْقَ هُم الذين يتناسون خالقهم..

أنماطُ الاختيار والقبول:

يتّبع الشابّ نمطًا أو أكثر أثناءَ عملية اختياره لعروسه، كما تنتهج الفتاة نمطًا أو أكثر من أنماط قبولها بعريسها أو رفضها له. وكلّما تعدّدت أنماط الاختيار أو القبول والرفض كلما كانت عمليّة الارتباط أكثرَ توازنًا، كانت أقربَ صوابًا. ومن هذه الأنماط ما يلي:

١- النّمط العاطفى: وفيه يرتكز الاختيار أو القبول بصفة أساسية على العاطفة القوية. يعتقد الشابّ والفتاة من أصحاب هذا النمط أنّ الحبّ وحده كفيلٌ بتذليل كلّ العقبات، وحلّ كلّ المشكلات، وبناء حياة زوجية سعيدة، ويبتعد أصحاب هذا النمط عن الواقع كثيرًا أو قليلًا.

ولكمْ أدّت العواطف وحدَها في الاختيار أو القبول إلى تقويض الزواج

٢- النّمط المنطقي: يقوم الاختيار والقبول على حسابات منطقية لخصائص الطرف الأخر، بينما تستحوذ الجوانبُ العاطفية على حيّز قليل.

ولكمْ نزع المنطقُ وحدَه في الاختيار أو القبول الرّوحَ من الحياة الزوجية

٣- النّمط الجسدى: ويقوم على الإعجاب بالمواصفات الشكلية للطرف الآخر، مثل جَمال وجهٍ أو فتنة جسدٍ أو حسن صوتٍ أو وسامة هيئة، وكلّها صفات آيلةٌ للذبول مع مرور الزمان، ورغمَ ذلك كانت الصفات الجسدية هي أكثرَ الجواذب شيوعًا بين الخاطبين.

٤- النّمط المصْلحي: إنّه الزواج القائم على تحقيق مصلحه مادية أو اجتماعية أو وظيفية أو غيرها من المصالح، فصاحبُ هذا النمط يسعى إلى ما يراه في مصلحته هو دون أدنى اعتبار لمشاعر وأحاسيس الطرف الآخر.

ويتراجع صاحبُ هذا النمط عن قراره بإتمام الزّواج أو المضي فيه إذا يئس من قدرة صاحبه على تحقيق مصلحته، أو حينما يستنفذ الطرف الآخر أهميته وغرضه.

٥- النّمط الهروبى: قد يلجأ الشابّ أو الفتاة لهذا النّمط من الزواج هربًا من واقعٍ مؤلم كالمناخ الأسريّ السيّئ القاسي، أو إنقاذ من حرج تقدم في العمر.

وفي هذا النمط تقبلُ الفتاة أيّ طارقٍ لبابها خاطبًا لها؛ هربًا من معاناتها ببيت أهلها لقسوة أو سوء معاملة تجدها منهم مُنْساقة وراء منطق «العريس حيخلّصني من تحكّم بابا، وعُقد أخويا، وسيطرة ماما». ولذلك لا تفكّر كثيرًا في خصائص الشابّ المتقدّم لها بقدر ما تفكّر في الهرب من واقعها الأليم.

وكذا الشابّ أيضًا لأنّه يريد أنْ يستريح ممّا يعاني منه.

٦- النّمط الاجتماعي: يقوم هذا الاختيار أساسًا على رؤية المحيطين بالشابّ والفتاة من أهل وأصدقاء حيث يروْن أنّ هذا الشابّ مناسب لهذه الفتاة، فيبدأون في إتاحة الفرص ليتعارفا، ثمّ محاولة التّوفيق بينهما حتّى يتمّ الزّواج.

إنّه زواجٌ قائم على أسس التوافق الاجتماعي المُتعارف عليه بين الناس، ولا يوجد دور إيجابي للطّرفين الشّريكين فيه غير القبول أو الرفض لما يقترحه الآخرون.

في النّمط الاجتماعي:

إنّهم يختارون له، وهو غالبًا ما يرضى باختيارهم،
وإنّها تقبل عادة بمَن يرشّحونه لها.

٧- النّمط العائلي: هو زواجُ الأقارب الذي يهدف إلى لمّ شمل العائلة طبقًا لتقاليد موروثة وعادات مألوفة، بهدف الحفاظ على فتيات العائلة من أنْ يكنّ تحت جناح غرباء من غير العائلة، فيتعرّضن لقهرٍ أو ظلم يصعب دفعُه، أو خوف من تفتّت ميراث، أو غير ذلك من معتقداتٍ وأعراف.

على أنّه يستحبّ للشابّ أنْ يتزوّج بمَن هي ليست من عشيرته وعائلته، لتوسيع دائرة الوشائج والصّلات الاجتماعية المؤثّرة في ترابط المجتمع، ولأنّ الحياة الزوجية لن تخلو من المشاكل والخلافات التي قد تفضي إلى الطّلاق وما قد يسبّبه من قطيعة رحم المنهيُّ عنها شرعًا.

كما أنّ الطبّ الحديث أثبت خطورة زواج الأقارب لما يُحدثه من تأصيل لكثير من الأمراض الوراثية في الأبناء، وفي هذا الشأن قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قبل أكثر من أربعة عشرَ قرنًا لجماعةٍ من الناس لاحظَ ضعف ذريتهم: «يا بني السّائب، قد أضويتم (نحفتم) وضعفتم فتنكحّوا في الغرائب».

فإذا كان الزّواج من قريبة لا محالة واقعٌ فعلى العروسين الخضوع لكشفٍ طبيّ يبين وجود أمراض وراثية من عدمه، حتّى لا يتمخّض الزواج عن أطفال مُعاقين جسديًّا أو ذهنيًّا، طبقًا للقاعدة الشرعية، «دفعُ المفسدة مقدّم على جلب المصلحة».

٨- النّمط الديني: وهو اختيار يتمّ بناءً على اعتبارات دينية، وإنّه الاختيار الذي يؤيده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي السّابق ذكره، والذي قال فيه النبي (ص): « إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلّا تفعلوا تكنْ فتنة في الأرض وفساد...، إلى باقي الحديث.

٩- النّمط العشوائي: قد يلجأ الشابّ في ظلّ ظروف ضاغطة كضيق وقت بسبب سفر وشيك أو عند كبر عمرٍ أو دوافع جنسيّة عارمة أو تخبّط في التخطيط للمستقبل أو غير ذلك؛ إلى طرْقِ بابِ أيّ فتاة متعجّلًا إتمام الزّواج، غير ناظرٍ إلى صفاتها وسجاياها وخصالها، غير منتبهٍ إلى قدر توافقهما معًا، غير عابئ بالفوارق الشّاسعة التي تضرب في مناحي كثيرة وتهدّد استقرار واستمرار الزّواج، إنّه اختيار عشوائي قد لا يرجى من ورائه خيرٌ كثير.

كما قد تفتقد الفتاة الثّقة في نفسها وتحقّر من شأنها وترتضي بأيّ شابّ يتقدّم لها، أو حينما تخشى من فوات قطار الزّواج، فتقبل بمَن يطرق بابها خاطبًا إيّاها بغضّ النظر عن قدر ملائمته لها.

في هذا النّمط يكون الزواج في ذاته غايةً أو فيما يجبى من ورائه من إنجاب أطفال وإرواء أمومة.

١٠- النّمط السّطحي: قد لا تزيد الحياة الزوجية عند قلّة من الفتيات غير الناضجات اللائي تبهرهنّ الأضواء والضّوضاء عن عريسٍ وسيم وبيت جديدٍ وفستان فرح وزفّة كبيرة، وعند الشّباب غير الناضجٍ الذين تسلبهم الحركات والضّحكات عقولهم عن حصولهم على بنت حلوة ودلّوعة.

إنّ الزواج القائم وفق هذا النّمط هشّ لا يحقّق استقرارًا، فسرعان ما تخفت الأضواء وتصمت الضّوضاء وتسكن الحركاتُ وتتوقّف الضحكات، فيخبو الانجذاب ويلفظ الزواجُ أنفاسه الخافتة التي كان بها يحيا.

١١- النّمط المتكامل متعدّدُ الأبعاد: وفيه يراعي الشّخص أبعادًا متعدّدة لنجاح الزواج حيث يشتمل على الجانب الديني والجانب العاطفي والجانب العقلي والجانب الجسدي والجانب الاجتماعي والجانب الثقافي، ....إلخ. وهذا هو أفضل أنماط الاختيار أو القبول.

يعلم أصحابُ هذا النمط أنّ الرابطة الزوجية متعدّدة الأبعاد، وأنهم ينظرون إلى كيفية تغطية كلّ تلك الأبعاد حينما يفكّرون في الزواج، إنّهم يعرفون أنّ الزواج الذي يقوم على بُعد واحد مهما كانت أهميّة هذا البعد سيصبح مهدّدًا بمخاطر كثيرة.

ورغم أنّ عاملَ الدّين أساسي وضروري ولازمٌ لاستقرارِ واستمرار الحياة الزوجية فلا يجب أنْ يكون هو العاملَ الأوحد للاختيار أو القبول، ولا ينبغي إغفال بقيّة الجوانب، والتي ذكرَها الرّسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثَ أخرى، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه النّسائي وغيره: «خيرُ النساء مَن إذا نظرت إليها سرّتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا أقسمت عليها أبرّتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسِها ومالِك»؛ حيث بدأ بالمنظر السارّ للمرأة ثمّ أكمل ببقية الصّفات السلوكية. والنظر هنا يختصّ بالناحية الجمالية وناحية القبول والارتياح الشخصي والتآلف الروحي.

قال الإمام أحمد: «إذا خطب رجلٌ امرأة سأل عن جمالها أولًا، فإنْ حُمد سأل عن دينها، فإنْ حُمد تزوّج، وإنْ لم يُحمد يكون ردًّا لأجل الدين، ولا يسأل أولًا عن دينها، فإنْ حمد سأل عن الجَمال، وإنْ لم يحمد ردّها للجمال لا للدين».

مِن كلّ هذه الأحاديث نفهم أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل عامل الدين والأخلاق عاملًا مهمًّا جدًّا ومؤثّرًا للغاية في الاختيار والقبول، ومع ذلك لم يسقط أهمية بقية العوامل الأخرى التي يقوم عليها الزواج، بما في ذلك العوامل الجسدية.

أخطاءُ الانتقاء والقبول:

إنّ أخطاء اختيار العريس لعروسه، أو تسرّع العروس بقبول مَن يتقدّم لخطبتها رغم عدم مناسبته لها؛ هي بمثابة حفرِ قبرٍ لزواج قبل ولادته، وهدم بيتٍ قبل بنائه، أو على الأقلّ الحرمان من الرّاحة والأمان والسعادة والاطمئنان. ولذلك كان على كلّ مِن الشابّ والفتاة الحذر من الوقوع في التالي:

١- تجاهل أسس الاختيار والقبول من أهمية التّدين والخلق الحسن والكفاءة....إلخ.

٢- إهمال السّؤال عن العريس وأهله والتحرّي عن العروس وأهلها قبل الشروع في الارتباط.

٣- عدم استشارة الكبار أو تجاهل رؤيتهم ورأيهم.

٤- التسرّع في اختيار العروس أو القبول بالعريس، وغضّ الطرف عمّا هو هامّ لاستمرار واستقرار الزّواج من صفات العروس وأهلها والعريس وأهله.

> **لأنْ تعيش وحيدًا بعضَ الوقت خيرٌ لك مِن أنْ تكون متزوّجًا تعيسًا طوال الوقت.**

٥- هيمنةُ الحبّ الأعمى ورفض كلّ النصائح والإرشادات.

٦- التردّد والترنّح بين عدّة اختيارات ممّا يؤدي إلى الحيرة المعطلة والفشل في الانتقاء أو التأخّر في اتخاذ القرار.

٧- عدم النضج في تناول أمر الزّواج حيث العشوائية والعبثية فلا مواصفات ولا مقومات، أو الافتتان بالموقف كزهْو الفتاة بأنّها أمست مرغوبة من الشباب، أو غير ذلك.

٨- الاعتماد على أو تفويض مَن ليس لديهم خبرة في عملية تزويج الشباب والفتيات.

٩- اتّخاذ قرار الزّواج تحت ضغط من الضغوط، فالقرارات المصيرية كقرار الزواج لا ينبغي أنْ يُتّخذ تحت أيّ صنف من صنوف الضغوط، والتي منها ما يلي:

- النّزوع إلى الهرب من بيت الوالدين الزّاخر بالمشاكل الناضح بالمتاعب، فتقبل العروس بأوّل مَن يطرق بابها خاطبًا لها فرارًا من هذا البيت.

- ضغوط مرحلة ما قبل الاغتراب، وفيها يتسرّع العريس في الاختيار تحت ضغط السفر للخارج.

- ضغوط مرحلة ما قبل الاغتراب، وفيها يتسرع في الانتقاء تحت ضغط الحاجة إلى الاستقرار وتلبية الرغبة الجنسية.

الفصلُ الثّالث

الارتباط

تبدأ شرارةُ الارتباط الأولى بين الشابّ والفتاة بإحدى الطرق التالية:

أ- الحبّ من أوّل نظرة: يقع الحبّ ومنذ النظرة الأولى في قلب المحبّ حين اكتشافه صفة أو صفات في شخصية المحبوب طالَ شوقه إليها وبحثه عنها، أو وجد في شخصيّته شيئًا ما مركوزًا في شعوره أو لا شعوره، أو مطابقة هذه الشخصية لصور ذهنية لأناس لهم ذكريات سارة أو أفضال سابقة، أو نتيجة وجود قناعاتٍ معيّنة أو تجارب حياتية، أو غير ذلك، فيحدث ارتياح وقبولٌ وألفة من أوّل وهلة بناءً على هذه البرمجة العقلية السابقة والصور الذهنية المخزونة في النفس.

ربّما يكون سببُ هذا الحبّ زائلًا أو واهنًا أو باهتًا كالجمال (الذي سيزول بعد حين) أو الدلال (الذي سيخفت إنْ لم تتمّ تغذيته بالرومانسية) أو الخجل الشديد (الذي سيتدنّى بمرور الوقت) أو ربّما يكون ثابتًا راسخًا كإظهار خلق كريم أو إبداء لفته طيبة أو..، أو..، ومهْما كان السبب فقد وقع الحبٌّ من أوّل نظرة، وانتهى الأمر.

ب - ارتباطُ الزّملاء: كثرَ في ميادين العمل والدّراسة المختلفة اختلاط الشباب بالفتيات ممّا أتاح الفرص للمعرفة بين الطّرفين، فكان الالتقاء والانتقاء، الذي قد يمهّد للارتباط بين شاب وفتاة زميليْن في العمل أو الدراسة.

ج - ارتباطٌ عن طريق العائلة: قد يبحث الآباء والأمّهات عن عروس لابنهم، فينتقون من بين الفتيات مَن يرونها مناسبة له، ثمّ تتاح للشابّ وعروسه المقترحة رؤية متبادلة للاستقرار على قرار.

د- زواجُ الصّالونات: هي طريقة تقليدية قديمة لتعارف العروسين وحدوث لقائهم الأوّل تحت سمْع وبصر أهل العروسين في غرفة الصالون ببيت العروس.

كان زواجُ الصّالونات الطريقةَ المثالية لزواج الأجيال السابقة، وأثبت الواقع أنّه مازال هو أيضًا الطّريقة الفاعلة لزواج الأجيال الحالية رغم اختلاف العصور، فنسبة نجاح زواج الصالونات أكبرُ من نسبة نجاح أيّة طريقة أخرى للزواج.

قد تشعر بعض الفتيات أنّها بضاعة للعرض عندما يأتي العريس ليراها لأوّل مرّة بغرفة الصّالون ببيتها، وله بعد الرؤية أنْ يقبلها أو يرفضها، كما لها هي الحقّ أيضًا في قبوله أو رفضه.

وتجنبًا لهذا الموقف المحرج وما قد يسبّبه من مشاعر سلبية للفتاة حينما يكون الرفض من قبل الشابّ؛ فالأوفق أنْ تتاح الفرصة للعريس لرؤيتها الرّؤية الشرعية خارج بيتها أوّلًا، وربما دون أنْ تعلم أنّ هناك مَن يختلس إليها النظرات، وذلك بالتنسيق مع الوسيط أو ولي أمر العروس أو أحدِ أقرباء أو أصدقاء عائلة العروس أو بالاجتهاد الشخصي للعريس، يراها الرؤية الشرعية في الشّارع أو النادي أو العمل أو الجامعة أو..، أو..، وهي على طبيعتها دونما تكلّف أو تصنع، فإذا اطمئنّ قلبه لها توجّه إلى بيتها خاطبًا إيّاها، فتراه هي حينئذ لأوّل مرّة بصالون بيتها وهي وسط أهلها، لقد رآها من قبل وأرادها لنفسه، وآن الأوانُ لتراه هي ثمّ تقرّر مع أهلها قبوله أو رفضه.

هذه الطريقة تتحقّق بها عزّة الفتاة وتمنحها احترامها وكرامتها، لأنّ العريس هو مَن يأتي إليها راغبًا فيها بعدما رآها وارتضاها، وعليها هي أنْ تحدّد أتقبله أم ترفضه.

وقد يكون زواج الصّالونات ناجحًا تمامًا مع مَن يغلبون المنطق على العاطفة، ومَن تتّسم حياتهم بالواقعية والعمليّة الشديدة، ومَن يؤمنون بأنّ الحبّ يأتي بعد الزواج، بينما في الغالب لا يميل العاطفي الرومانسي الذي يرغب الحبّ ويحلم بالرومانسية إلى هذا الصنف من الارتباط.

ه - ارتباطُ الإنترنت والفضائيات: شاع في هذا العصر إقامة علاقات عميقة بين الشباب والفتيات عبر الإنترنت ومواقع التواصل

الاجتماعي، حيث يندمج كلّ من الشابّ والفتاة في حوارات متنوعة قد تبدأ بتعارف سطحي ثمّ يصير تآلفًا رقيقًا، فوثيقًا، ثمّ لصيقًا، ثمّ يتطور الأمر إلى وعدٍ بالارتباط.

إنّه ارتباط يستهلك أوقاتًا وجهودًا وأعصابًا في رسم مستقبل ورديّ يجمع الحبيبين في ظلّ مناخ سريّ خاص، وقد يؤخَذ فيه رأي الصّغار قليلو الخبرةً من الأصدقاء والأتراب والقرناء، وبمعزلٍ عن نظر الكبار ورأي الكبار من ولاة الأمور من آباء وأمّهات.

إنّها علاقة بدأت في الخفاء، وقد تنتهي بزواج لا يعلم الآباء كيف كانت بدايته، أو بفراق بعدما صوّرت المشاعر والأوهام هذه العلاقة وكأنّها فردوسًا أرضيًّا، فتمسي هذه العلاقة بعد الفراق مجرّد ذكرى أطلال تاريخ بدأ مبهجًا وانتهى مؤلمًا.

إنّ وقع التعارف بواسطة الإنترنت على الفتاة أعمق أثرًا وأشدّ فاعلية في الغالب من وقعه على الشابّ. فالفتاة كأنثى تتأثّر بالكلمات والحوارات التي تتبادلها مع الشابّ أكثر منه؛ لأنّه كرجل أكثر ما يؤثّر فيه هو النّظرات والتطلعات، والإنترنت يوفّر الحوارات أكثر ممّا يتيحه من نظرات.

كما يكتظّ الإنترنت والفضائيات بمواقع وإعلانات عن مؤسسات تؤدّي خدمة تزويج الرجال بالنساء، وإنْ كان أغلبها ينتحي منحًا تجاريًّا بحتًا، لا همّ له إلّا جمع الأموال، ولا يهمّ على ما ينشأ البيت من أسس.

ورغم أنّ العديد من حالات الزّواج التي تمّت عن طريق الإنترنت قد نالت نجاحًا، فقد أثبت الواقع أنّ سلبيات هذا الزّواج أضخم كثيرًا من إيجابياته.

فكمْ من فتاة تحيّرت وتحرجت أو تكلمت فكذبت أثناء إخبار أهلها عن كيفية تعارفها بعريسها الذي تقدم إليها بعدما ارتبطا عبر الإنترنت.

... وكمْ من فتاةٍ توثّقت علاقتها بشابّ عبر الإنترنت ولكنّه لمّا رآها عافَها وفرّ منها، فجرحها وآلمها.

... وكمْ من عريس شكّ في عروسه بعد زواجه منها حينما رآها تستخدم الإنترنت خشية أنْ تتواصل مع شبابٍ آخرين، فقد تواصلت معه شخصيًّا من قبل بذات الطريقة، ثمّ دفعه شكّه إلى منْعِها من استخدامه قسرًا، أو كتمَ في صدره هذا الشكّ، وفي قلبه نار تلظى..

... وكم..

... وكم..

ز- الخاطبةُ أو مَن يقوم بدورها: أحيانًا يتعذَّر على الشابّ انتقاء مَن تناسبه من الفتيات عروسًا له لقلّة خبرته، أو لعدم معرفته بالأسَرِ الطيبة وبناتها، أو لضيق وقت بسبب سفر عاجل خارج البلاد، أو غير ذلك من الأسباب؛ فيلجأ إلى تكليف وسيط كـ«الخاطبة» (امرأة متخصّصة أو غير متخصّصة، أو رجل يقوم بذات الدور) فيعرض عليها صفات وشروط الفتاة التي يريدها زوجةً لنفسه وهي تستخرج مَن قد تناسبه ممّا لديها من معلومات عن فتيات مُقْبلات على الزواج.

وأخطاء ممارسات الخاطبة (أو مَن يقوم بعملها) لهذا العمل عديدة، منها أنّها قد تعرض على الشابّ صورًا أو معلومات حول عددٍ من الفتيات في نفس الوقت لينتقي منهنّ مَن تلائمه، إنّ الخاطبة (أو مَن يقوم بعملها) لا تعلم أنّ الشابّ إذا انساح بين عدّة اختيارات تاه، ولن يستطيع أنْ يحسمَ قرارًا، وسيقارن بينهنّ، وسيجد في كلّ واحدة منهنّ ما ليس موجودًا بالأخريات، وسينتهي الأمر إلى تردّده، ومِن ثمّ عجزه عن الاستقرار على اختيار واحدة.

إنّ الخاطبة الواعية (أو مَن يقوم مقامها) تتخيّر للشابّ فتاة واحدة، وتجعله يركّز فيها حتى يحسم ويحزم أمرَه تجاهها، ولا تؤرجحه بين عدّة اختيارات فيتردّد ويتذبذب، ثمّ لا يخرج بشيء.

كما أنّ الشابّ الذي يريد أنْ يرى عدّة فتيات ليختار إحداهنّ عروسًا له لَشَابٌّ تائه لا يعرف ماذا يريد.. وبمَن يريد الزواج!! أو أنّه يرى نفسه في مقام عال، ويتصرّف في أمر زواجه وكأنّه رجل ثريّ يدخل السوق لينتقي من البضائع المعروضة ما يشاء، أو يرى نفسه «اللقطة» الذي لم تلدْه امرأة كفاتن النّساء «فالنتينو» (ممثّل إيطالي بسينما أوائل القرن العشرين أثار إعجاب مراهقاتِ أوروبا بشدّة).

إذا عُرِضَ على الشابّ عدّة فتيات في آنٍ واحد ليختار منهنّ؛ فسيحتارُ بينهنّ، وسيفشل في انتقاء إحداهن.

الرّؤية:

تعدّ رؤية الشابّ المقْبل على الزواج للفتاة التي يأملها زوجةً، ورؤية الفتاة للشاب الذي يتقدّم إليها؛ هي البداية الصّحيحة لحياة زوجية جديدة يطمئنّ بها العريس إلى مَن سيختارها زوجة له، وتفصل بها الفتاة قرارًا بقبول العريس أو رفضه.

ولا بأس من أنْ يكرّر الشابّ والفتاة النظرَ كلٌّ إلى الآخر عدّة مرّات خلال لقاء واحد أو أكثر حتّى تستقرّ العقول والقلوب على اتّخاذ القرار المناسب. إنّها النظرة الحلال بين الشابّ والفتاة الأجنبيّين شرط توافر نيّة الزواج.

كما يفضّل أنْ تتمّ رؤية الشابّ للفتاة رؤية مبدئيّة قبل اللقاء الأوّل الذي سيجمعه معها، فإذا رغبها تقدّم إليها، وإنْ كان غير ذلك فلا يطرق لها بابًا ولا يدخل عليها بيتًا، وكأنّ شيئًا لم يكن.

إنّ هذه الرؤية المبدئية قد تحسم رأي الشابّ في قبوله بشكل ومظهرٍ وجَمال الفتاة، وهو أمر هامّ بالنسبة لأغلب الشباب. وقد سبق ذكر الحَديث الذي أمر فيه النبي صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنْ ينظر إلى مَن يرغب في خطبتها. وقال جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما-: «فخطبتُ امرأة من بني سلمة فكنتُ أختبئ لها تحت الكُرَب (بين النّخيل)، حتى رأيتُ منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوّجتها».

إنّ هذه الرؤية المبدئية تُزيل كثيرًا من توتّر اللقاء الأوّل، وتزيد من ثقةِ العروس بنفسها ومن فُرص قبولها بالعريس عندما تعلم أنّ مَن يتقدّم إليها قد رآها وارتضاها عروسًا له، وقبِلَ بها قبْل أنْ يطرق بابها ويدخل بيتها طالبًا يدها.

والناسُ في أمر الرؤية يختلفون، فمنهم مَن يرى أنّ الرؤية تكفيها نظرة عابرة فاحصة، ومنهم مَن يميل إلى رؤية أعمق من مجرّد نظرة عابرة، وآخرون يفضّلون أنْ يتربّص الشابّ ليرى الفتاة دونَ علمها كما فعل جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما حتّى لا تُجرح مشاعر الفتاة إذا لم تلقَ منه قبولًا بعد رؤيته لها، ومنهم مَن يقول لا بدّ وأنْ تعلم الفتاة أنّ العريس سيراها لتتهيأ له، كما يمكن للشابّ أنْ يرى الفتاة بإذنٍ من وليّها في حضور محْرم، ويمكن أيضًا أنْ ينظر إليها بغير إذنه.

كلّ ما سبق آراءٌ مُعْتبرة تمّت في عهد النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وكلّها تتمّ في عصرنا الحالي، وستتمّ في العصور التالية بمشيئة الله، وتحديد الأسلوب الأمثل لكلّ حالة يتوقف على طبيعة شخصية كلّ إنسان، وعلى بيئته التي ترعرع فيها، وتحت ظلّ الظروف المتاحة.

... ثم..

لا بدّ للشابّ من السّؤال عن الفتاة التي يرغبها كزوجة بين أهلها وصديقاتها ومعارفها وفي مكان عملها أو دراستها قبل أنْ يتقدّم إليها ويدخل بيتها.

ومن حقّ الفتاة– أيضًا– أنْ يأخذ وليُّ أمرها مهلةً من الوقت ليسأل عن العريس بعدما يتقدّم لخطبة الفتاة بين أهله وأصدقائه ومعارفه وزملاء عمله، ويستوثق منه، تفاديًا لحدوث التغرير، وصونًا للفتاة، وحفظًا لحقوقها.

هو يسألُ عنها قبل أنْ يتقدّم لخطبتها، ولأهلها أنْ يسألوا عنه بعدما يتقدّم إليها.

اللّقاءُ الأوّل:

هو رآها، وعلمَ عنها ما أراحه فاستقرّ قلبه وعقله عليها، وآنَ أوان أنْ تراه هي الأخرى إنْ لم تكنْ رأته من قبل وتريد أنْ تعلم عنه ما يطمئنُها، فكان اللّقاءُ الأوّل والذي يعول عليه أهمية كبيرة في بلورة قرار الزواج.

إنّه لقاءٌ يجمع العروسين وجهًا لوجه دون وجود وسيطٍ خادع غير أمين أو مخدوع غير عليم أو مجامل غير بصير، فليس من الحكمة الحكمُ على توافق الشابّ مع الفتاة من خلال رؤية الآخرين وفقط، فهؤلاء الآخرون لهم نظرتهم وتقييمهم ومعاييرهم ومشاعرهم الخاصّة، وأيضًا قد يكون لهم أغراضهم الخاصة.

إنّه لقاء يجب أنْ يرى فيه الشابّ الفتاة متفحّصًا، ويصغي لحديثها منصتًا، ولها مثل ذلك من الرؤية الفاحصة والإصغاء والإنصات.

إنّ الانطباعات الأولى للّقاء الأوّل بين العروسين لها أثرُها العميق والدّائم في حياتهما. فكم من لقاءٍ أوّل أدخل القبول في القلوب، وأفسح

الطريق أمام الحبّ والود، وكم من لقاء أوّل كان هو الأخيرَ بسبب افتقاد أحد العروسين أو كليهما لأمور بسيطة كبعض الذوقيات.

ولأنّه لقاء فريد يتمّ بين شابّ وفتاة خبرتهما في مثل هذا الموقف قليلةٌ، وربّما تكون منعدمة، ويتمّ طبقًا لمراسم يحضرها آخرون، ولأنّه لقاء حلمت به الفتاة منذ صغرها وانتظره الشابّ منذ سنوات؛ اتّسم هذه اللقاء بنوع من الخجل والارتباك، وربّما التجمّل والتظاهر بغير الحقيقة.

ولأنّه لقاءً هامّ فلا بدّ وأنْ يأخذ نصيبه من الاهتمام لكلّ من الشابّ والفتاة وذلك باتباع التالي:

التزام الشابّ ومَن يرافقه من أهله بالذهاب في الموعد الذي تمّ تحديده مع أهل الفتاة، فذاك دليلُ اهتمام وحرص وانضباط، وكذلك بالمثل إتمام استعداد الفتاة وأهلها لاستقبال الشابّ ومَن معه بما هو أهله مِن تهيئة مكانِ الاستقبال وتنظيفه وترتيبه ووضع بعض اللّمسات الجميلة به وإعداد مستلزمات الضّيافة من شراب وحلوى وغير ذلك، مع حرص الفتاة على عدم إرهاق نفسها في أعمال النظافة والترتيب والإعداد، وأنْ تستريح قبل الميعاد لتكون في أفضل حالاتها الجسدية والنفسية.

ارتداء المناسب من الثّياب والتزين البسيط الهادئ، ولذا يفضّل في هذه المناسبة أنْ يرتدي الشابّ ملابس «رسمية» وليس تلك الملابس «الكاجوال» أو «السبور»، فيبدو الشابّ أنيقًا مهندمًا، فذاك عند الفتاة وأهلها دليلُ أناقة وحسن ذوْق، وستترجم عندها وعندهم على أنّه اهتمام واحترام.

كما يجب أنْ تحرص الفتاة على أنْ تكون في أبهى صورها في ذلك اليوم لتظهر أنيقة محتشمة. فتلك الصّحابية الجليلة سبيعة بن الحارث تتجمّل بنيّة الخطبة بعدما توفي عنها زوجها ولا ينهاها أحد، ففي صحيح البخاري عن المسور بن مخرمة أنّ سبيعة بنت الحارث كانت تحت (زوجة) سعد بن خولة، وهو من بني عامر بن لؤي، وكان ممّن شهد بدرًا، فتوفّي عنها في حجّة الوداع وهي حامل، فلم تنشبْ (تلبث) أنْ وضعت حملها بعد وفاته، فلمّا تعلت من نفاسها (انتهت منه وطهرت) تجمّلت للخطّاب، فدخل عليها أبو السنايل بن بعكك رجلٌ من بني عبد الدار فقال لها: ما لي أراك تجمّلت للخطّاب، ترجين نكاحًا؟ فإنّك والله ما أنت بناكح حتى تمرّ عليك أربعة أشهرٍ وعشر. قالت سبيعة: فلمّا قال لي جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت، وأتيتٍ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك، فأفتاني بأنّي حللت حين وضعتُ حملي، وأمرني بالتزوّج إنْ بدا لي.

يستقبل أهلُ العروس بترحابٍ كريم العريسَ وأهله.

جلوس الشابّ والفتاة على مقعديْن متقابلين قريبين من بعضهما حتّى يتيسر لهما رؤية بعضهما البعض دون بذل أدنى جهد.

الابتسام الرّقيق لا المبالغ فيه من الطّرفين مرغوب، بينما التجهم والتبلد مرفوض.

التصرّف بطريقة طبيعية لا تكلّف فيها ولا تصنع، فلا ينبغي الظهور بما ليس حقيقيًّا، فالبداية الطبيعية تنتهي بنهاية مُرْضِية.

الاستمتاع بالحوار الاجتماعي والمناسبة السعيدة.

حياءُ الشابّ يمنعه من إطلاق بصره في أرجاء المكان ولكنّه لا يمنعه من النظر إلى مَن يريد خطبتها والتحدّث معها، وحياء الفتاة لا يمنعها من النظر إلى الشابّ وأخذ حقّها كاملًا في رؤيته والتحدث معه.

ولأنّ الشابّ والفتاة مختلفان (...وليس الذكر كالأنثى...) (آل عمران: ٣٦) كان استعدادُ الشابّ لهذا اللقاء يختلف عن استعداد الفتاة، كيف هذا؟

- يصطحب الشابّ في العادة أهلَه معه ويتّجه إلى بيت الفتاة عزيزًا كريمًا، بينما تنتظر الفتاة في بيتها وسط أهلها معزّزة مكرمة.

- يجلب الشابّ معه هدية بلا مغالاة ولا بخل تقرّبًا للفتاة وتعبيرًا عن تقديره لها، بينما تتقبّل العروس وأهلها هديته أيًّا كانت بكلّ كرم وحبور.

وتفضل الفتيات الأزهار الطّبيعية والعرائس والدّباديب وبعض الإكسسوارات والكتب أو الكتيبات المذيّلة بإهداء رقيق، وربّما أيضًا عصافير وأسماك ونباتات الزينة. كما أنّ الاهتمام بمظهر الهدية الخارجي وتغليفها مهْما كان ثمنها أمرٌ هام.

إنّ أفضل هديةٍ في أوّل لقاء هي ما كان منها جزءٌ يبقى وجزءٌ يستهلك كفازة بها حلوى مثلًا فستُؤكل الحلوى أمّا الفازة فستبقى وتبقى معها ذكرى جميلة لهذه المناسبة السعيدة، أو باقة من الزّهور

الطبيعية التي يمكن تخفيفها والاحتفاظ بها. والأفضل أنْ تُخصّ العروس بالهدية، فذاك أمر يسعدُها ويبهجها، أو تكون الهدية ممّا ينتفع بها جميع أفراد أسرة العروس مثل بعض الحلوى والمأكولات.

- اهتمام الشابّ بغير مغالاةٍ بالفتاة أكثر من أيّ شخص آخر موجود يعطي انطباعًا عن رفيع مكانتها عنده من أوّل لقاء، وكذلك كان إظهار الفتاة لسعادتها به في ثوب مِن الحياء دون إسفاف أو تصنّع يجلب له الارتياح.

- مجاملة الشابّ للفتاة أمام أهلها وأهله بلا مبالغة إكرام لها، وحسن إنصاتها له وتجاوبها بلطفٍ معه يقربها من قلبه.

أسئلةُ اللقاءات الأولى:

ولأجل إجراء مقابلة ناجحةٍ بين الشابّ والفتاة يجب كمرحلة أولى أنْ يبدأ الحوار في أول أو ثاني جلسة بأنْ يخبر كلّ مِن العروسين الآخر بماذا لديه؟ والتي تشتمل على طرح حزمة من الطّبائع الشخصية والعادات الاجتماعية والسلوكية وبعض المعلومات الصحية لكلّ من العروسين بكلّ صراحة ووضوح. تتناول هذه الحزمة السّلبيات أكثر من الإيجابيات، فذكر الإيجابيات نوع من العُجب والكبر غير المحمود، خاصّة في هذه المناسبة وذاك الموطن.

ماذا لديّ؟ تعني أنْ يقول العريس لعروسه:

، «أنا طيب القلب، ولكنّني أحيانًا أكون عصبيًّا»،

، «أنا بطيء في اتّخاذ القرارات»،

، «ارتباطي بعائلتي ارتباطٌ وثيق، وسأحرص على زيارتهم كثيرًا بعد زواجي»،

، «يعتبر العمل عندي أمرًا أساسيًّا لدرجة أنني أقضي به وقتًا طويلًا»،

، «أنا عندي ضرس مخلوع وآخر أصابه السوس»..

فإذا استطاعت أنْ تتوافق أو تتكيّف أو تتعايش مع هذه الطبيعة الشخصية أو هذا الوضع الاجتماعي أو ما اعتاد عليه أو حالته الصحية؛ أكملت معه مشوار الخطوبة، وإلّا...

وكذلك العروس يجب أنْ تقول لعريسها ماذا لديّ؟ كأن تقول له:

، « أنا متسرّعة في حسم أموري»..

، «أنا لا أعرف فنونَ الطّهي فاصبرْ أربعة أشهر مثلًا حتى أتعلّم فيها الطهي وتحمّل ما سوف أعدّه لك من طعام طوال هذه الفترة»..

، «مَن حولي يقولون عني إنّني بطيئة قليلًا في أدائي لأعمالي، وأحتاج وقتًا أطول للنهوض من فراشي وارتداء ملابسي والقيام بما عليّ من واجبات»،

، «لقد اعتدت على زيارة جدّي وجدتي أسبوعيًّا، فأنا لا أصبر على فراقهما»،

، «عندي حساسية في صدري مِن استنشاق الغبار»،

فإنِ استطاع أنْ يتوافق أو يتكيّف أو يتعايش مع هذه الطبيعة الشخصية أو العادة الاجتماعية، أو ما اعتادت عليه أو حالتها الصحيّة استكمل المشوار، وإلّا...

وهكذا صنعت السيدة أمّ سلمة رضي الله عنها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم عندما تقدّم إليها ليخطبها، فأخبرته بما لديها، كما أخبرها النبي صلّى الله عليه وسلم بما لديه أيضًا، فقالت رضي الله عنها في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: «خطبني إلى نفسي (تقصد رسول الله صلّى الله عليه وسلم)، فلمّا فرغ من مقالته؛ قلت: يا رسول الله، ما بي أنْ لا تكون بك الرغبة فيّ، ولكنّي امرأة فيَّ غيرةٌ شديدة، فأخاف أنْ ترى منّي شيئًا يعذّبني الله به، وأنا أمرأة دخلت في السنّ، وأنا ذاتُ عيال. فقال (صلى الله عليه وسلم): أمّا ما ذكرت من الغيرة فسوف يُذهبها الله عزّ وجلّ منك، وأمّا ما ذكرت من السنّ فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأمّا ما ذكرت من العيال فإنّما عيالُك عيالي. قالت: فقد سلمتُ لرسول الله (صلّى الله عليه وسلم)، فتزوّجها رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)».

إنّ مثلَ هذه الصّراحة المتبادلة والشّفافية الوضيئة والأمانة الخالصة بين الاثنين تحمل في طيّاتها السكينة والأمان والثّقة والاطمئنان، فتتوثّق الروابط ويتعمّق التفاهم وتزداد الألفة وتنبت الثّقة.

المرحلة الثانية هي مجموعةٌ من الأسئلة التي تدور حول باقة من الموضوعات الحيوية المشتركة بين العروسين، مثل:

ما هو طموحك وهدفك في الحياة؟

ما هو تصوّرك لمفهوم الزواج؟

ما هي فكرتك عن الإنجاب؟

كيف هي علاقتك مع والديك وإخوتك وأخواتك وبقية أقاربك؟

كيف تقضي أوقات فراغك؟

ما هي هواياتك؟

هل لك نشاط خيري تطوعي؟

وغير ذلك..

إنّ معرفة هذا الكمّ وذاك الكيف من المعلومات يساهم إلى حدٍّ كبير في التعارف، شرط أنْ يتمّ الحوار بهدف قراءة الآخر، وليس تصويب مفاهيم أو إرساء قيم في ظلّ مناخ من الاحترام المتبادل.

ثمّ تأتي المرحلة الثالثة التي عنوانها ماذا أريدُ وأرغب؟ فيدور الحوار حول ما يحبّه كلّ طرف أنْ يكون في الطّرف الآخر، وما يريده كلّ طرفٍ من الطرف الآخر؟ وما هي احتياجات كلّ طرفٍ المطلوبُ تلبيتها من قِبَل الطرف الآخر؟

ماذا أريدُ وأرغب؟ تعني أنْ يقول العريس لعروسه:

- «أتمنّى لو كان حجابك أطول من ذلك»..
- «أنا أحبّ أنْ أرى البيت دائمًا نظيفًا ومرتبًا»..

، «إنني رجلٌ غيور، فلا أحبّ أنْ أراك تختلطين بأقربائك من الشباب».

وكذلك العروس تقول لعريسها:

، «أنا أحبّ أنْ نحافظ على أسرارنا فلا يجب أنْ يطّلع عليها أحد»،

، «أنا أفضّل أنْ أعيش في جوّ مليء بالمرح»..

، «لأنّني غيورة لا أريدك أنْ تتواصل مع النساء قدر الإمكان».

وبناءً على هذه الحوارات والإجابات والطلبات التي يتلقّاها العريس من العروس والعكس؛ يكون التعارف قد وصل إلى مستوى مُرْضٍ إلى حدّ ما، ممّا يساهم في رسم بانوراما لإمكانية التّكيف مع الشريك الزوجي المنتظر من عدمه.

ويجب مراعاةُ التتابع التسلسلي لهذه المراحل، فلا تسبق مرحلة متأخّرة مرحلة أخرى مبكرة. إنّ استباق المراحل سيؤدّي – في الغالب – إلى عرقلة التآلف، ومِن ثمّ يفضي إلى تعكير مناخ الخطوبة، على الأقل.

فإذا بدأ أحدُهما بأسئلة المرحلة الثانية فسيبدو الأمر وكأنّه استجواب وتحقيق أو اختبار يحتاج توفيق أو استعجال في ثوبِ تدقيق أو غير ذلك. الأمر الذي يبعث على التوتر أو الضيق أو الارتباك أو التمثيل أو الادّعاء، وكلّها مشاعر لن توضّح حقيقة أو تجلي واقعًا.

وإذا بدأ العريس في أوّل جلسة في إملاء رغباته (ماذا أريد وأرغب؟) وهي المرحلة الثالثة، كأنْ يبدي اعتراضًا على بعضٍ من ملابسها، أو

يريدها ألّا تتحدّث مع ابن عمّها مطلقًا، فستنفر منه عروسه رغم أنّ طلباته قد تكون مشروعة.

وأيضًا العروس في أوّل الجلسة عندما تبدأ في طرح رغباتها (ماذا أريد وأرغب؟) وهي المرحلة الثالثة، كأنْ تطلب منه طلبات مادية أو نفسية مرهقة قبل أنْ تتعرّف على إمكانياته المادية والنفسية الحقيقية، أو تريد منه ألّا يستشير أحدًا من أهله في بعض أمورهما خشية من تدخلهم في حياتها بالمستقبل قبل أنْ تعلم مدى تمسّكه بهم وقدر تماسكه معهم؛ فسيرتاب العريس منها ويتوجّس.

كما أنّ إبداء الرغبات قبل أنْ يتمكّن مبديها من الولوج إلى قلب مَن يُطلب منه فلن تجد في النّفس قبولًا ولا تجاوبًا، فمطالبُ القريب إلى القلب يسهل قبولها والترحيب بها، أمّا مطالب من لم يدخلِ القلب بعدُ فقد ينظر إليها أنّها تجاوزٌ للحدود وتعدٍّ على الحقوق فيتمّ رفضها بسهولة وعدم الاستجابة لها.

طلباتُ القريب الحبيب مُسْتجابة، وطلباتُ البعيد الغريب مُسْتعابة

مِن أجل تعارفٍ أوثق قد يخضع أحدُ الطرفين الآخر لاختباراتٍ عديدة ليكتشف صفاته وخصائصه وطباعه وعاداته وقناعاته، فينهمر عليه بالأسئلة من كلّ جانب، ويدعوه للطعام لينظر كيف يأكل، وللزيارات ليعلم كيف يعامل؟ ويضعه في مواقف قد تكون

محرجة ليعرف كيف يتصرّف؟ وما يكاد ينجو من اختبار حتّى يدبّر له اختبار غيره.

إنّه يريد أنْ يعرف مقدار تمسّكها به فظلّ يحاصرها بالأسئلة والطلبات بأساليب قد تكون منفرةً وغير مناسبة.

إنّها تريد أنْ تتأكّد من مكانتها عنده ووزنها لديه فتثاقلت عليه وتمنّعت وطلبت منه وبالغت، وسألت فأكثرت، وتحدّثت فأسهبت، فشعر أنه تحت اختبار وتحقيق فضجر وأبى، ثمّ أدبر راجعًا.

إنّ شعور العروسين- أو أحدهما- بأنّهما تحت الاختبار طوال الوقت لن يكشف صفات وطباع الخاضع للاختبار قدْرَ ما يسبّب له أنواعًا من التوجّس والريبة والتحوط والضيق والضجر.

الإخضاعُ للاختبار قد يجلبُ الضيقَ ويولّدُ الفرار

انتهى اللقاء الأوّل (أو اللقاءات الأولى) وقد ألمّ كلّ طرف بأغلب ما يهمّه من معلومات عن الطرف الآخر.

... ثم،

... يبدأ كلّ طرف في رسم صورة أوليّة مبسطة عن شخصية الطرف الآخر على ضوء من إلمامٍ بنتفٍ من علم أنماط الشخصية الإنسانية.

أنماطُ الشخصية الإنسانية:

إنّ التعرّف على أنماط الشخصية الإنسانية سيمكّن كلًّا من العروسين مِن أن:

١- يتعرّف على نفسه أولًا، فلا يكلّفها ما لا تطيق ويتعامل معها طبقًا لقدراتها وملكاتها، فتزداد ثقته بنفسه.

٢- يضبط توقّعاته في الطرف الآخر فلا يأمل فيه ومنه ما ليس به وما يعجز عنه.

٣- يتعرّف على نقاط القوة والضعف في شخصية الطرف الآخر ليوظفه الوظائف التي تلائمه ويسند إليه الأدوار التي تناسبه.

٤- يكون التواصل مع الطرف الآخر أكثر سلاسة ويسر.

٥- يمكن معرفة إمكانية التكيف معه (أو معها) في الحياة الزوجية الناشئة من عدمه.

أنماطُ الشخصية الإنسانية مختلفة اختلافًا شاسعًا، ولها عدّة تقسيمات، كلّ واحدة منها مبنية على أسسٍ تختلف عن تلك القائمة عليها غيرها، ولكنْ للتبسيط يمكن القول بأنّ هناك مِن الشخصيات الإنسانية مَن يسهل التعامل معها، ومنها مَن تصير الحياة بجوارها بها درجات متفاوتة من الإزعاج، ولكنّها كلّها تقع في نطاق الشخصيات السويّة، ومنها أيضًا شخصيات غير سويّة التي تعاني من بعض الاضطرابات ممّا يعسر كثيرًا التعامل معها إلى درجة تقترب أحيانًا من المُحال، ومن هذه الأنماط ما يلي:

أوّلًا: الشخصياتُ السويّة:

(١) الشخصيّاتُ سهلة التعامل:

١- الشّخصيةُ الودودة المنبسطة: هي شخصيةٌ بسيطة في التعامل، لا تعرف الكِبْر ولا التسلط، محبّة للآخرين، وتحاول مساعدتهم قدر الاستطاعة.

يتميّز صاحبها (أو صاحبتها) بأنّه هادئ، بشوش الوجه، طيب القلب، يرحّب بزوّاره، مقبول من الآخرين، لديه شعورٌ بالأمان، يثق بنفسه ويثق أيضًا بالآخرين، يرغب في سماع الإطراء، حسن المعاملة، كثير المرح، يتحاشى الحديث حول العمل أو أيّ موضوعات تسبب الضيق والقلق أو الملل للآخرين، يرى نفسه والآخرين بخير. يكون أكثرَ حيوية مع الناس، يستمتع بالاتصالات الشخصية والقيام بالمسئوليات المشتركة، يحبّ كلّ الناس، لكن العلاقة الشخصية الوطيدة تتمّ مع اثنين أو ثلاثة فقط، يشعر بالضّيق عندما يكون وحيدًا، يحب أنْ يكون مركز اهتمام الآخرين، يألف الناسَ ويألفونه، حلو المَعْشر، سهل التعامل، يبدأ بالكلام دائمًا، يفكّر بصوت عال، من السهل معرفة أفكاره، يشارك الآخرين تفاصيل حياتِه الشخصية، يتكلّم أكثر ممّا يستمع، يتكلم في أكثر من موضوع في وقت واحد، يمضي في عددٍ من القضايا في وقت واحد، يتفاعل مع الحدث بسرعةٍ قبل أنْ يفكّر، مصغ بصدق، محبوب، ودود، علاقته فيها نوعٌ من الدفء، تسهل مصاحبته، يعمل على تحقيق الأهداف بعد تأسيس الروابط، يتجنّب المخاطر إلّا إذا حصل على دعمٍ

قوي، متعاون مع الآخرين مِن الطّراز الأول، يضحي كثيرًا كأنّه شمعة تحترق لتضيء للآخرين الطريق، متفانٍ في خدمة الآخرين ومساعدتهم والوقوف بجانبهم، لا يستطيع بسهولة أنْ يرفضَ لأحد طلبًا وكأنّه دومًا «تحت الطلب».

ومِن أكبر ثلماتِ هذه الشخصية أنّها غالبًا ما تكون غير منظّمة، ولا تحافظ على المواعيد.

كيفيّة التعامل معه:

يجب أنْ يُعامل صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية باحترام، وحسن الإصغاء إليه، والحرص على مناقشة الموضوع المطروح وعدم الخروج عنه وعلى عدم حيود الحديث معه عن الهدف المنشود، كما يجب أنْ يتمّ التصرّف معه بجديّة عند الحاجة، والتشديد عليه برفق للمحافظة على وقته ومواعيده.

٢- الشّخصية المُصلِحة: هي شخصية مهتمّة بالمجتمع وما يدور فيه من أحداث، وهي تسعى لتغيير ما لا ترضاه، إمّا بطريقة سويّة معتدله فتكون شخصية رافضة معتدلة أو بطريقة عنيفة فتكون شخصية رافضة عنيفة.

يتّسم صاحب (أو صاحبة) هذه الشخصية بأنّه منفتح يصبو للتغيير، ويحدوه الأمل في المستقبل، يتبنّى مبادئ سامية ومثلًا عليا وقيمًا راقية ومعاييرَ سلوكية مثلى، يُؤثّر غيره على نفسه، يفضّل ما يعود

بالنفع على غيره أكثرَ من الذي يعود بالنفع على شخصه، لا يعرف الأنانية ولا يعرفه بخلٌ بوقت أو جهد، يرى ذاته في خدمةِ غيره، يسعى للأعمال التطوعية، يحترم حقوق الإنسان، يعمل على حماية المجتمع ودرْء عنه ما يضرّه.

كيفيّةُ التعامل معه:

لأنّها شخصية تنشغلُ بغيرها كثيرًا؛ فيجب تحفيزها على ألّا تنسى نفسها وتفني عمرها دون أنْ تقدّم لنفسها ما يجعلها تتبوّأ مكانتها في مجتمعها.

٣- الشّخصية المتوافقة مع المجتمع: هي الشخصية المهتمّة بالمجتمع، المتقبّلة للقيم والمعايير السلوكية السائدة فيه.

يتميّز صاحبها (أو صاحبتها) بالهدوءِ والميل إلى الاستقرار، والخلوّ من العنف والتوترات الانفعالية الحادّة، والقدرة العالية على ضبط النفس والتحكّم في مصادر القلق، متوافق مع أفراد الأسرة والمجتمع، مقلّة في عطائها لأسرتها، تمثّل الحرية الشخصية والشعور بالاستقلال أهمية محسوسة لديها، يتقبّل الأوضاع الاجتماعية والسياسية في المجتمع؛ ولذا فهو يميل إلى الخضوع للسّلطة أكثر، يعمل في حدود القانون، يبقي على الأشكال التقليدية السائدة في المجتمع، لديه قدرة على استيعاب أفراد المجتمع، به من المرونة ما يؤهّله للتعامل مع المتغيرات المفاجئة التي قد تحدث للمجتمع.

كيفية التعامل معه:

مِن أيسرِ الشّخصيات تعاملًا، ولأنّها مقلّة في عطائها لأسرتها، فيجب تحفيزها لتنال الأسرة منها حظّها.

٤- الشّخصيةُ المُنطوية: يصبح صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصيّة أكثر حيوية عندما يكون وحيدًا، وهو يتجنّب تسليط الأضواء عليه، قليل الأصدقاء، قليل التفاعل مع الناس، منزوٍ، يحبّ الوحدة، لا يبادر بالكلام، يكتفي بالردّ على الأسئلة فقط، يجنح كثيرًا إلى الصّمت وينتظر مبادرة الآخرين ليتواصلوا معه، يستمع أكثر ممّا يتكلم، غامض، يرغب في المزيد من الخصوصية، لا يشارك الآخرين تفاصيل حياته الشخصيّة، عميق التركيز، يركّز في موضوع واحد وقضية واحدة، لا يستعجّل، ويتأنّى لأنّه يتفاعل مع الحدث بعد تفكير عميق.

كيفية التعامل معه:

إسناد بعض الأعمال التي يعرفها أو التي يمكنه أداؤها وسط آخرين لتشجيعه على الاختلاط بهم.

٥- الشّخصية الحدسية: يثقُ في الإلهام والاستنتاج والاستنباط، الجديد يثير إبداعه واهتمامه، ولذا يفضّل الجديد لكونه جديدًا، يهتمّ بالكليات، يستخدم القياس والرموز والتّشبيه والمجاز، يعيش المستقبل أكثر، مبتكر مبدع، يحبّ الخيال، يميل إلى الاختصار «هات من الآخر»، متهوّر مندفع، يقفز للنتائج، فاقد الإحساس بالآخر، يبتعد عن الحقائق، يفتقد إلى الدقّة.

كيفية التعامل معه:

التحدّث معه عن الصّورة الكلية دون الخوض في التفاصيل، استخدام الأمثلة والتشبيهات، مشاركته في تخيلاته.

٦- الشّخصية المنطقية: يسمع ويحلّل المشاهد، منطقي وموضوعي، منصف محايد، ناقدٌ بأسلوب لبق، لا يعجبه شيء، لا يعرف الدبلوماسية، يجيد فنّ الإصغاء كما يجيد فنّ الحوار، يبدو بغير قلب، يرى المشاعر مهمّة إنْ كانت منطقية، صادق، يحقّ الحقّ ولو على حساب نفسه، متحمس ولديه طاقة ذاتية كبيرة، ذكي، يهتمّ بالنتائج، مفاوض جيّد، يفضل الصّدق على الإبداع والبراعة، يثق في الحقائق المؤكّدة، لا يثق في الخيال، يشرح بالتفصيل، دقيق في وصفه، محدّد واضح العبارات، يلتزم بكلمته، يعيش اللّحظة أكثر، يتعلّم ويتقن المهارات التي يحتاجها في حياته العملية.

كيفية التعامل معه:

تتمّ مناقشته بالبراهين والأدلة، وباختصار وإيجاز، وتحديد ما يراد إفهامه به في نقاط.

٧- الشّخصية العاطفية: يسمع ويتعاطف ويتأثّر، يميل إلى ما يميل إليه قلبه، دبلوماسي، مناور، ليّن ويقدّر مشاعر الآخرين، ولذلك يصعب أنْ يتضايق منه أحد، المشاعر لها عنده وزنٌ كبير سواء كانت منطقية أو لا، يتحمّس إذا نال رضا الناس، يفضّل الإبداع والبراعة على الصدق.

كيفية التعامل معه:

مدّ يد العون له عندما يُقدم على اتّخاذ قرارات محورية حتّى لا يترك وحده مع عاطفته تحركه كيف يشاء. يتمّ إقناعه بتحريك مشاعره واستدرار عطفه.

٨- الشّخصية المتردّدة: هي شخصية تحبّ الروتين ولا تحاول التجديد. يفتقر صاحبُها (أو صاحبتها) إلى الثقة بنفسه، وكثيرًا ما تظهر عليه علامات الخجل والقلق، تتّصف مواقفه بالتردّد والخوف لأنّه يعتقد أنّ اختيار غيره أفضل من اختياره فهو يرى نفسه أنه ليس بخير بينما الآخرون بخير، يجد صعوبة في اتّخاذ القرار والإقدام على الجديد، يتوه عندما توضع أمامه بدائلُ عديدة، يميل للاعتماد على اللوائح والأنظمة، كثير الوعود، ولا يهتمّ بالوقت، يطلب المزيد من المعلومات والتأكيدات ليخفّف من تردّده ويطمئن لاختياره.

كيفية التعامل معه:

محاولة زرع الثّقة في نفسه، والتخفيف من حدّة قلقه وخجله بأسلوب الوالدية الراعية، مساعدته في اتّخاذ القرارات وإظهار مساوئ التأخّر في اتّخاذها، ولا توضع أمامه عدة اختيارات فينساح بينهم ويزداد تردّده، وإفهامه أنّ الإنسان يحترم بثباته وقدرته على اتخاذ القرار، إعطاؤه مزيدًا من التأكيدات التي تدعم الرأي الصّائب، وإفهامه أنّ التردّد يضرّ بصاحبه وبعلاقته مع الآخرين.

٩- الشّخصية الثرثارة: هي شخصية ضعيفة، تحاول أنْ تجد لها مكانًا بين الناس بكثرة الكلام.

يتّصف صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية بكثرة الكلام والتحدّث عن كلّ شيء وفي كلّ شيء، باستثناء الموضوع المطروح للمناقشة، ويعتقد أنّه مهم، يرغب في التعالي على الآخرين إلّا أنّه في حقيقته أضعف ممّا يبدو للمحيطين به، يقع في أخطاء عديدة، واسع الخيال.

كيفية التعامل معه:

مقاطعته في منتصف حديثه مذكّرًا إيّاه بابتعاده عن الموضوع المتّفق عليه، يجب تحديد وقت معيّن للمُكث معه مظهرًا أهمية استثمار الوقت.

١٠- الشّخصية البطيئة الباردة: هي شخصية تبدو هادئة الطباع أو رزينة، ولكنّها شخصية قد يكون بها نوع من الاضطراب، عندما يصل هذا الهدوء إلى البرود المرضي.

يتميز صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية بصعوبة التّفاهم معه، وبقدرة عالية من الإصغاء وبتفهّم المعلومات، لا يرغب في الاعتراض على الأفكار المعروضة لأنه ليس عدوانيًّا، يزن الأمور بالتفكير البطئ، يتهرّب من الإجابة على الأسئلة الموجّهة إليه، لا يميل للآخرين فهو غير عاطفي، قابل للتعديل ولكنّه يأخذ وقتًا للتغيير.

كيفية التعامل معه:

معاملتُه بأسلوبه البطيء من خلال الإصغاء الجيد له، وطرح عليه الأسئلة المفتوحة التي تحتاج إلى إجابات مطوّلة، استخدام الصمت لدفعه إلى الإجابة عن الأسئلة والتجاوب في الحديث، عدم التعجّل في الحصول منه على المراد، إظهار الاحترام والودّ له لأنّه أحيانًا لا يكون له قدرة على التحكّم في بطئه، ولكنّه في نفس الوقت لا يجب مدحه وإعطاؤه إحساسًا بالرضا على هذا البطء.

١١- الشّخصية الخجولة: هي شخصية منكمشة منطوية تخاف من ملاقاة الآخرين.

صاحبُها (أو صاحبتها) يفتقد الثّقة في نفسه، يسهل إرباكه وإحراجه، يحاول الاختباء خلف آخرين، لا يحبّ الظهور، لا يميل للقيادة ولا يصلح لها، كثيرًا ما يفشل في حياته العامة والخاصّة حيث يتنازل عن الكثير من حقوقه نتيجة الخجل وضعف الثقة بالنفس.

كيفية التعامل معه:

إشراكه في الحـوارات، وانتظاره ليقدّم آراءه، ويعطَى الفرص ويشجّع على الاستمرار، دفعه لأداء مهامّ سهلة مضمونٌ نجاحه فيها لتزداد ثقته في نفسه، وإفهامه بالأقوال والمواقف أنّ الآخرين لا يستحقّون هذا القدر من الخوف منهم، لا توضع أمامه عدّة خيارات حتى لا يزداد خوفه وارتباكه وتردّده.

١٢- الشّخصية مُدّعية المعرفة: هي شخصية تضافرَ فيها الجهلُ مع الغرور، فهي لا تعلم وتدّعي أنها تعلم.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية لا يصدق على كلام الآخرين بسهولة، ويبدي دائماً اعتراضه، مُتعال، يحبّ السيطرة الكلامية، يميل إلى السخرية من الآخرين، عنيد، رافض، متمسّك برأيه، يفتخر بنفسه،ويتحدّث عنها طيلة الوقت، كثير الشكّ والريب بدوافع الآخرين وآرائهم، يحاول أنْ يعلم الآخرين من علمِه الغزير ما لم يعلموا، حتّى أنّه يريد أنْ يسهم في تعليم أهل التخصّص تخصصاتهم.

كيفية التعامل معه:

التحكّم في الأعصاب، والمحافظة على الهدوء، وهذا شأن مَن يجادل الجاهل الذي يعتقد أنّه عالم، قبول تعليقاته دون قدح أو مدح، مع اللجوء أحيانًا إلى المديح، المثابرة على عرض وجهة النّظرً عليه، اختيار الوقت المناسب لمقاطعته عند الحاجة، الواقعية في التعامل معه، فتح باب له للخروج منه حينما يقع في مأزق، إعطاؤه بعض الاهتمام الذي يبحث عنه، استعمال أسلوب: نعم..، ولكن..؛ للتّخفيف من غروره، وإشعاره- ولو قليلًا- بأن فوق كلّ ذي علم عليم.

(٢) شخصياتٌ مزعجة:

١- الشّخصية المتعالية: هي شخصية مُصابة بالغرور، وتدعي القوّة والتماسك أمام الآخرين بينما هي داخليًّا خاوية. وهي شخصية

أعمق غرورًا وتعاليًا من الشخصية المدّعية المعرفة التي ينحصر تعاليها في إيهام الآخرين بثراء علمها وغزارة ثقافتها.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية يعتقد أنّ مكانته أرقى ممّا هو فيها، وأنه لم ينل أبدًا المكانة التي يستحقّها، لا يشعر بسعادة أبدًا لأنّه لا يقنع بما كتبه الله تعالى له، يحاول تصيّد سلبيات الآخرين، يشعِر مَن حوله أنّ رأيهم لا يمثّل عنده أيّة قيمة، يسعى لوضع الآخرين في مواقف مُحرجة ليحقّق ذاته، يعامل الآخرين بتعالٍ لاعتقاده أنّه فوقهم جميعًا.

كيفية التعامل معه:

عدم توجيه السؤال المفتوح إليه، فهو يستغلّه ليحاول إثبات أنّ لديه المعلومات المتخصّصة حول الموضوع المطروح أكثر بكثير ممّا لدى الآخرين، وأنّه حلّال المشاكل، استعمال أسلوب: نعم..، ولكن..، لإرجاعه للصّواب والحق.

٢- الشّخصية المعارضة دائمًا: هي شخصية روتينيّة عنيدة، تحب أنْ تفرض سيطرتها وآراءها على غيرها، ولا تحترم فكر الآخر.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية لا يبالي بالآخرين، يفتقر إلى الثّقة فيهم، سلبي في طرح وجهات نظره، تقليدي، لا تغريه الأفكارُ الجديدة، ويصعب حثّه على التجديد، لا مكان للخيال عنده لأنّه شخصية غير مجدّدة، عنيد، صلب، يعترض كثيرًا دون أنْ تكون لديه مبرّرات منطقية، يشهر إفلاسه فينبشُ في ماضية ليضخّم أحداثًا قديمة

ولو كانت غير مُجدية ليعتقد السامعون أنّه ذو خبرة عريقة عريضة، يلتزم باللوائح والأنظمة نصًّا لا روحًا، لا يميل للمخاطرة خوفًا من الفشل.

كيفية التعامل معه:

محاولة التعرّف على وجهات نظره، تدعيم وجهة النظر المخالفة له بالأدلة والبراهين التي تؤيّدها، عدم إعطائه الفرصة للمقاطعة، عرض الأفكار الجديدة عليه بالتدريج، يجب التحلّي بالصّبر حين التعامل معه، استعمال أسلوب: نعم..، ولكن..، لأنّه الأسلوب الذي سيحدّ من اعتراضاته المستمرّة المنهمرة.

٣- الشّخصية كثيرة المطالب: هي شخصية استغلالية مرهِقة لَمن حولها.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية صعبُ المراس، ولكنه ليس من الشاكين أو الغاضبين، يحاول دائمًا التودّد حتّى يحصل على أكبر قدرٍ من المنفعة، يصعب التعامل معه لكثرة مطالبه، لحوحٌ فيحرج الآخرين من كثرة وكثافة إلحاحه.

كيفية التعامل معه:

يعامل بالمصارحة والوضوح في إمكانية تلبية مطالبه من عدمه، مطالبته بالصبر وإمهال الآخرين وقتًا للتفكير والتقرير.

٤ الشّخصية كثيرة الشكوى: هي شخصية بارعة في إظهار أنّها مظلومة، وأنّ ما تعاني منه لا يعانيه أحد من العالمين.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية يتّهم مَن يقدّم له النصيحة بعدم فهمه واستيعاب مشاكله، يجترّ ما هو مؤلم بقصّة حياته كلّها إذا

سئل فقط عن صحّته أو حاله اليوم، لا يتحدث عما يسعده قدرَ ما يتحدّث عمّا يتعسه، قد ينزع إلى المثالية التي لا يمكن إدراكها فيصيبه عدم الرضا على الدوام.

كيفية التعامل معه:

الإصغاءُ الجيد له، المصادقة على صحّة مشاعره وليس على صحة أقواله حتى يستريح، ومن ثمّ يستجيب للنّصح، يجب إشغاله بمعالي الأمور، الحديث معه عن المستقبل.

٥- الشّخصية المتصيدة للأخطاء: هي شخصية حذرةٌ ناقدة لوّامة، تلبس النّظارة السوداء فترى كلّ الامور حالكة قاتمة.

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية يتعامل مع الآخرين بحذر شديد، نهجه الهجوم خير وسيلة للدّفاع، ماهرٌ في تصيد الأخطاء والبحث عنها، يسعد بوجود أخطاء للآخرين، لديه دائماً مجموعة من الأسئلة لمواجهة أيّ أحد، ليس لديه احترام لمشاعر الآخرين، بل يتلذذ بوضعهم في مواقف محرجة.

كيفية التعامل معه:

التحكّم في الأعصاب أثناء التعامل معه، لا يُفتح له الباب كاملًا ليقول كلّ ما عنده، ولا يعطى الفرصةَ للسيطرة الكلامية، يجب الإصغاء إليه جيدًا، إفهامه أنّ لكلّ إنسان حدود يجب أنْ يلتزم بها، وأنّ عليه احترام الآخر كما يحبّ أنْ يحترمه الآخر، استعمال أسلوب نعم..، ولكن....

٦- الشّخصية العنيدة: هي شخصية بها إصرار على مخالفة ما تتلقّاه من أوامرَ ونواهٍ وإرشادات.

يتجاهل صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية وجهة نظر الآخرين، ولا يرغب في الاستماع إليها، لا يحب الرّضوخ لأوامر وتوجيهات وآراء الآخرين، قد يرفض الحقائق الثابتة، متصلب في رأيه، قاسٍ في حكمه وتعامله، لا يقدّم الاحترام للآخرين بل على العكس يحاول النيْل منهم والتحقير من شأنهم.

كيفية التعامل معه:

إشراك الآخرين لتوحيد الرأي ضدّ وجهة نظره، مطالبته بقبول وجهة نظر الآخرين لمدّة قصيرة لكي يتمّ التوصّل إلى اتّفاق، وليعتاد على أنْ يسمع غيره، بذل الوعود له بدراسة وجهة نظره في وقت لاحق، التّقليل من فرص تنمية العناد لديه عند الحوار والمواقف الحياتية المختلفة بتحاشي الصّدام معه، استعمال أسلوب: نعم..، ولكن..، للتخفيف من حدة عناده.

٧- الشّخصية الخشنة: هي شخصية صعبة المراس، قاسية، عدوانية.

يتّسم صاحب هذه الشخصية بأنّه قاس في تعامله مع الناس، وأحيانًا يقسو على نفسه أيضًا، لا يحاول تفهّم مشاعر الآخرين لأنّه لا يثق بهم، يكثر من مقاطعة حديث الآخرين بطريقة تظهر تصلّبه برأيه، يحاول أنْ يترك لدى الآخرين انطباعًا بأهميته، مغرور ولذا ينفُر منه

الآخرون، لديه مقدرةٌ كبيرة على المناقشة والجدال، يرى نفسه أنّه بخير ولكن الآخرين ليسوا بخير.

كيفية التعامل معه:

ضبطُ الأعصاب والمحافظة على الهدوء أثناءَ التعامل معه، الإصغاء إليه جيدًا، تجنّب مقاطعة حديثه وإثارته، بل يجب مجادلته بالتي هي أحسن، استخدام معلوماته وأفكاره هو في محاولات إقناعه لأنّ فرض أفكار الغير وآرائهم ستجد منه صدودًا، الحزم عند تقديم وجهة النظر إليه، إفهامه أنّ الإنسان يُحتَرم على قدرِ احترامه للآخرين، تذكرته بحسن التعامل والترفق مع الناس، استعمال أَسلوب: نعم..، ولكن....ف«نعم» تجلب الهدوء والاستقرار، و«لكن» اعتراض لطيف قد يجعله يتقبّل ما يقال له.

ثانيًا: الشّخصيات غير السويّة:

بعضُ الناس يعانون من اضطرابات في الشخصية، والتي تسبّب إرهاق وضيق وغضبَ مَن يتعامل معهم. مِن هذه الشخصيات ما يمكن التّعامل معه بمشقة ومنها ما يصعب أو قد يستحيل التعامل معه.

وتتعدّد أسباب اضطرابات الشخصيّة، فمنها ما سببُه العوامل الوراثية والتربوية والخبرات الحياتية المتنوعة. وبعضٌ مِن هذه الاضطرابات الشخصية يمكن أنْ يفيد فيها العلاج النفسي طويل الأمد كعلاج تصحيحي، وأيضًا بعض العلاجات الدّوائية، ومنها من لا أمل إلّا في التقليل ولو قليلًا من مظاهر اضطراباتها.

هذه الشخصيات المضطربة تعاني من مشاكل كثيرة متشابكة، ولم تلقَ التربية والعناية الواجبة لاستئصالها منذ الصغر؛ فنمت وترسّخت، وأصبحت بعد ذلك سمتًا ظاهرًا وباطنًا، لا يشعر صاحبه بأنه غير سويّ، وأنّه في أمسّ الحاجة إلى العرض على أطباء نفسانيّين لتقرير العلاج المناسب سواء بتناول العقاقير أو بتعديل سلوك أو بكليهما معًا، وأنه متأكّد في الغالب أنه شخصيّة طبيعية سوية لا نقصَ بها ولا عيب، وأنّ مَن حوله هم الذين في حاجة إلى العرض على الأطباء، وهُم الأجدرُ بتناول الدواء!!

[أ] شخصيّات مضطربة يصعب التعامل معها:

من أهمها ما يلي:

١- الشخصية الوسواسية (المدقّق - العنيد - البخيل):

يلتزم الشّخص الوسواسيّ التزامًا صارمًا بالدقّة الشديدة والنّظام الحَرفي في كلّ شيء، يهتمّ بالتّفاصيل الصغيرة، ولا يدع أيّ شيء دون مناقشته وبحثه بشكل مرهق، عنيد لا يتنازل عن شيء ولا يتسامح في شيء، حريص ويصل حرصه أحيانًا لدرجة البخل، عقلاني لا يولي المشاعر اهتمامًا.

وعلاماتُه في فترة الخطوبة أنّه يسأل عن كلّ التفاصيل، يعمل لكلّ شيء ألف حساب، ممسكٌ جدًّا في الإنفاق وفي الهدايا، مشغولٌ بحساب كلّ شيء. وبخل الوسواسي لايتوقّف عند المال فقط، بل

يمتدّ بخله ليشمل النواحي العاطفية أيضًا، فهو لا يعبّر عن مشاعره ولا يدثر شريك حياته بعواطفه، فالحياة عنده ومعه جافّة وعقلانيه ومحسوبه بدقة.

والوسواسي على الرّغم من صفاته السابقة إنسان منظّم، دقيق، ذو ضمير حيّ يحاسبه على كلّ صغيرة وكبيرة، لديه شعور عال بالمسئولية، يعتني بعمله عناية فائقة، وينجح فيه نجاحًا واضحًا لتفانيه فيه، يهتمّ بقضاء الاحتياجات الأساسية والمادية لأسرته في حدود رؤيته لهذه الاحتياجات، حريص على استمرارية الأسرة وبقائها لأنّه لا يميل للتغيير كثيرًا، لا يهتمّ بإقامة علاقات عاطفية خارج إطار الزّواج، فهو زوج محترم، ومسئول، على الرغم من بخله وجفاف عواطفه.

يجب التّفرقة بين مريض الوسواس القهري والإنسان ذي الشخصية الوسواسية. فمريض الوسواس كان شخصًا طبيعيًّا ثمّ طرأ عليه المرض وتدهورت حالته سريعًا بشكل أعاق حياته الاجتماعية والعملية، وهو يستجيب بنجاح للعلاج بالعقاقير حتى يشفى تمامًا بإذن الله. أمّا الشخصيّة الوسواسية فهي صفة مزمنة ملازمة للشخص ظلّت تتنامى معه حتّى ترسخت بعدما بلغ من العمر ١٨ سنة، وأمست نهجَ حياة لا يجدي معها عقاقير.

٢- الشّخصية الاعتمادية (ابن أمّه أو بنت أمّها):

هذه الشخصية لا تستطيع اتّخاذ قرار أو عمل أي شيء بمفردها، بل تحتاج دائماً للآخرين في كلّ شيء، فليست لديها القدرة على المبادرة أو القدرة على التنفيذ، وإنّما هي تعمل فقط بتوجيه من الآخرين، وأحياناً لا تعمل على الإطلاق، تنتظر من الآخرين العون والمساندة طوال الوقت دون بذل مجهود يُذكر، وتهتمّ بمعرفة الناس الذين من المُمكن أنْ يقدّموا لها المساعدات حال الاحتياج إليهم.

وهو إنْ كان شابًّا نجده يصطحب أمّه لتخطب له وتتحدّث نيابة عنه طوال الوقت، وفي زياراته التالية لا يستطيع البتّ في أي شيء دون الرجوع لأمّه أو أبيه أو أخيه الأكبر؛ فلا بدّ من وجود أحد في حياته يعتمد عليه. وإن كانت فتاةً نجد أمّها تحرّكها كما تشاء وتسيطر على علاقتها بخطيبها أو زوجها فتتدخّل في كلّ شيء بحياتها، وهي معها مسلوبة الإرادة فاقدة الرأي.

وهذا الشخص في حالة كوْنه زوجًا يحتاج مِن زوجته أنْ تقوم بكلّ شيء، وتتحمّل عنه مسئولية الأسرة، ويصبح هو في خلفيّة الصورة دائماً، وهذا بالطبع يشكّل عبئًا ثقيلًا على زوجته، إضافة إلى إحساسها المؤلم بضعف شخصيّة زوجها وسلبيته، ومع هذا نجد أنّ هذا الزوج

بهذه الشّخصية مطلوب جدًّا من المرأة المسترجلة قويّة الشخصية لأنّها تميل إلى أنْ تكون هي السيد في العلاقة الزوجية.

أمّا إنْ كانت امرأة فتراها تذهب وتجيء إلى بيت أمّها وتحادثها تليفونيًّا طويلًا وتستشيرها في أدقّ تفاصيل حياتها ليشعر زوجها أنه تزوّج من حماته، وأنّه يعيش مع حماته، وأنّه يرى بصمات حماتِه على لسان زوجته وفكرها وذهنها وحركتها.

٣- الشّخصية الاكتئابية (الحزين المهزوم اليائس):

هي شخصية كئيبة، لا ترى في الحياة إلّا الآلام والدّموع والبؤس والشقاء والمشاكل، وترى نفسها سيئة، والحياة سيئة، والمستقبل مظلمًا.

> **صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية نجده دائمًا ما يتحدّث عن المصاعب والمشكلات والمعوّقات والمآسى، سريع اليأس، غير قادرٍ على المبادرة أو المثابرة، بل ينهزم سريعًا أمام أية عقبات.**

وتنتقل هذه المشاعر الكئيبة اليائسة إلى مَن يتعامل معه، فيشعر مَن معه بهذا البؤس واليأس، ويعيشان معًا في جوّ من الكآبة والهزيمة والتشاؤم. وفى هذا المناخ لا نتوقّع إنجازات كبيرة ذات قيمة؛ لأنّ الشخصية الاكتئابية تعيش حالةً من العدمية التي لا تسمح كثيرًا بالنجاح والتميز.

٤- الشّخصية النوابية (تقلبات المزاج الدورية):

يظلّ صاحب هذه الشّخصية لعدّة أيام أو أسابيع أو حتّى شهور مرحًا منطلقًا نشيطًا ومليئًا بالحيوية والأفكار، ثمّ يتبع ذلك بفترةٍ ينقلب فيها حزينًا منطويًا يائسًا ومتردّدًا. وهكذا تستمر حياته بين تقلّبات المرح والاكتئاب.

هذه الشخصية منتشرة بين المُبدعين والمفكرين، وهي شخصية ثرية وساحرة ومتعدّدة الألوان والمستويات، ولكنّها تحتاج من الطرف الآخر جهدًا كبيرًا لمواكبة هذه التغيرات النوابية المتنقلة من النّقيض إلى النقيض.

٥- الشّخصية الفصامية (غريب الأطوار والأفكار):

لصاحب (أو صاحبة) هذه الشخصية ملابسُ وأفكار وكلماتٌ وسلوكيات غريبة غير متوافقة مع المجتمع الذي يعيش فيه، ولهذا يصفه النّاس بأنه غريب الأطوار، فنجده مثلًا يهتمّ بشيء هامشي ويعتبره قضيّة محورية مثل ثقب الأوزون أو مثلث برمودا أو أنواع معينة من الكائنات أو الأطباق الطائرة أو الظواهر الخارقة للعادة، وكثيرًا ما ينسب أغلب ما يدور من حوله إلى قوى خفيّة كالسحر والجن.

من السّهل التعرّف عليه في فترة الخطوبة من خلال آرائه الغريبه واهتماماته الهامشية وملابسه وكلامه وجلسته، وميله إلى العزلة حيث يعيش عالمًا خاصًّا به يشكله من أفكاره وتخيلاته الذّاتية، ومع هذا لا يفقد صلته تمامًا بالواقع فهو يتّصل به على قدر حاجته الضرورية منه.

[ب]: شخصيّاتٌ مضطربة يكاد يستحيلُ التعامل معها:

١- الشخصيّة الاضطهادية البارنوية (الشّكّاك المتعالي):

محورُ هذه الشخصية الشكّ في كلّ الناس، وسوءُ الظّن بهم، وتوقّع العداء والإيذاء منهم، فكلّ النّاس في نظر هذه الشخصية أشرار متآمرون. إنّه شخص لا يعرف الحبّ أو الرحمة أو التسامح، دائمُ الشعور بالاضطهاد والخيانة والغدر ممّن حوله، وهذا الشعور يولّد لديه كراهية وميولًا عدوانيّة ناحية كلّ مَن يتعامل معهم. ويتّخذ عدوانه صورًا كثيرة منها النّقد اللاذع والمستمر للآخرين، أو السّخرية الجارحة منهم، وفي نفس الوقت لا يتحمّل أي نقدٍ مِن أحد فهو في نظر نفسه لا يخطئ أبدًا، شديد الحساسية لأي أمر يخصّه.

إنّه لا يغيّر رأيه بالحوار أو النقاش، فلديه ثوابتُ لا تتغير، ولذلك فالكلام معه مجهد للغاية ولا طائل من ورائه، وهو يسيء تأويل كلّ كلمة، ويبحث فيما بين ثنايا الكلمات والعبارات عن النوايا السيئة.

هذا الشخص دائمُ الاتّهام لغيره، ومهْما حاول الطّرف الآخر إثبات براءته فلن ينجح، بل سيزيد من شكوكه وسوء ظنّه، ويردّ بقسوة على مَن يهاجمه، وإنّ محاولات التودّد والتقرب من الآخرين تجاهه تقلقه، وتزيد من ريبته وتفاقم شكوكه.

إنّه يسعى لامتلاك القوّة كامتلاك المال أو امتلاك المناصب أو غيرها، فإذا استقرّت أوضاعه المالية والاجتماعية ووصل الى ما يريده فإنّه يشعر بالاستعلاء والفخر والعظمة ويتعالى على الآخرين وينظر إليهم باحتقار، ولذا كانت علاقاته الاجتماعية محدودة.

كيف نكتشف هذه الشخصية في فترة التعارف أو أثناء فترة الخطوبة؟

إذا كان رجلًا فسنجده كثيرَ الشّك في نوايا خطيبته، يسألها كثيرًا: «أين ذهبت؟ مع مَن تكلّمت؟ ماذا تقصدين بكلامك؟ أقسمي بالله أنّك لم تفعلي كذا وكذا»..ويجعلها دائمًا في موقف المتّهمة المدافعة عن نفسها، ينقّب وراءها ويتجسّس على مكالماتها ويتعقّب سجل محادثتها بالمحمول وتواصلاتها بالإنترنت، وهو شديد الحساسية تجاه أي نقد، في حين أنه يتهكّم ويسخر من الآخرين بشكل لاذع.

وإذا كانت فتاة نجدها شديدةَ الغيرة بشكل مزعج حتّى من أقرب الناس إليها، شديدة الحساسية لأي كلمة أو موقف، كثيرة الشّك بلا مبرر، وخطيبها في نظرها كذّاب ومخادع وخائن، تعبث في أرقام الهاتف لتعرف مَن يتصلون به، وتتنصّت على مكالماته، وتعبث في أوراقه أو أجنداته أو درج مكتبه للبحث عن دلائل الخيانة.

والسّمات البارانوية ربّما نجدها بشكلٍ ما في العوانس والمطلّقين والمطلّقات، وفي الأشخاص ذوي الميول المتطرفة.

والحياة الزوجية مع هذه الشخصية بهذه المواصفات تكون أمرًا صعبًا للغاية، وفي أحيان كثيرة تكون مستحيلة، فلن يجد الطرفُ الآخر أيّ فرصة معها للسعادة، فالوقت كلّه مستنزف في تحقيقات واتّهامات ودفاعات وطلب دلائل براءة ودلائل وفاء....إلخ.

٢- الشّخصية النرجسية (الطاووس المتفرد):

النّرجسي شخص معجَب بنفسه أشدّ الإعجاب، يرى نفسه أجمل وأذكى وأروع البشر، يعتقد أنّه شخصية استثنائية وتتفرّد بكلّ صفات التفوّق، وبالتالي من حقّه أنْ يكون محورَ الكون، والكلّ ينبغي أنْ يدور حوله يؤدّون له واجبات الولاء والطاعة، ويهيّئون له فرص النجاح والتفوق ويمتدحون صفاته الفريدة.

صاحب (أو صاحبة) هذه الشخصية شديدُ الاهتمام بمظهره وبصحّته وبشياكته، يتحدث عن نفسه كثيرًا، وعن إنجازاته وطموحاته، مغرورٌ إلى درجة كبيرة، لا يرى أحدًا بجواره، يستخدم الآخرين لصالحه وخدمة أهدافه، ثمّ يلقي بهم بعد ذلك في سلّة المهملات، ليس لديه مساحة للحبّ، فهو لا يحبّ إلّا نفسه، وإذا اضطرّ للتظاهر بالحبّ فإنّ حبّه يخلو من أي عمق وأي دفء، وهو حسودٌ، ويظن أنّ الآخرين يحسدونه دائمًا، متعجْرف في سلوكه

وكلامه، ويميل كثيرًا للتباهي والشّهرة والظهور، ويهتمّ بمظهر الأشياء أكثر من اهتمامه بجوهرها.

ربّما يستطيع من خلال تقديره العالي لذاته أنْ يحقّق نجاحات شكليّة ظاهرية تدعم لديه شعوره بالتّميز، ولكنّ الحياة معه تكون غاية في الصّعوبة؛ فهو غير قادرٍ على منح شريك حياته أي قدر من الحبّ؛ بل هو يستغلّ هذا الشريك لصعود نجمه وتألّقه ثمّ يلقيه بعد ذلك جانبًا إذا وجد أنه استنفذ أغراضه.

٣- الشّخصية الحديّة (المتقلّب في مشاعره وعلاقاته وقراراته وعمله):

صاحبُ (أو صاحبة) هذه الشخصية شديدُ التقلّب في مشاعره، يتقلب بين المشاعر المختلفة بشكلٍ عنيف في لحظات قصيرة، يغضب بسرعة ويهدأ بسرعة ويفرح بسرعةٍ، يصفه الناس بأنّه سريع الانفعال ولكنّه يمكن أنْ يهدأ سريعًا فهو ذو «قلب طيب».

تتميّز هذه الشخصية باضطراب هويّتها وصورتها عن ذاتها، فهي لا تعرف مَن تكون؟ أو ماذا تريد؟ لديها إحساسٌ بالفراغ والملل، تغيّر من اهتماماتها وخططها بشكل مضطرب، اندفاعية، ولا تتحكّم في نفسها عندما لا تعطَى الاهتمامَ الذي تريد، تنتهج سلوكيات مؤذية لنفسها مثل السلوك الجنسي غير المقبول أو تجربة المواد الإدمانية أو الشّره الطعامي أو القيادة المتهورة للسيارة، أو..، أو..، تتّسم بعدم الاتّزان الانفعالي، ولها ردود فعل انفعاليّة شديدة، وتبدي غضبًا شديدًا لا يتناسب مع أسبابه، ولا تتحكّم

بسَوَراته، أو قد تكون غاضبة باستمرار، وتشعر بالخواء الداخلي المزمن، والخوف الشديد من أنْ تكون منبوذةً متروكة فتسعى سعيًا محمومًا لتجنّب ذلك، وظهور أفكار شكّ عابرة مرتبطة بضغوطٍ نفسية أو حالات من التفكّك المؤقت للذاكرة أو الانفعالات أو الشّخصية.

هذه الشخصية تدمّر أشياء كثيرة مهمّة في حياتها أثناء لحظات غضبها، ولذلك يمكن أنْ تخسر صديقًا عزيزًا أو زوجًا مخلصًا أو عملًا مهمًّا في أيّ وقت، ولأتفه الأسباب، وهذا يجعل علاقاتها مع الآخرين لا تستمرّ كثيرًا، وتراها تنتقل من عملٍ لآخر ولا تستقرّ على أمر، وهذه علامات يمكن معرفتها من تاريخها الشّخصي، ويمكن أيضًا رصدُها في فترة الخطوبة.

وصاحبُ أو صاحبة هذه الشخصية يمرّ كثيرًا بفترات اكتئاب ويمكن أنْ تراوده أفكار انتحاريّة أو إلحاق الأذى بجسمه، وبعضهم يلجأ لتعاطي المخدّرات في محاولة للسيطرة على تقلّباته الانفعالية واضطراب علاقاته الإنسانية واختلال مسارات عمله.

٤- الشّخصية السّيكوباتية (النصّاب المحتال المخادع الساحر):

يتّصف السيكوباتي بأنّه كذاب، مخادع، محتال، نصّاب، عذب الحديث، يبذل وعودًا كثيرة ولا يفي بأيّ منها، لا يحترم القوانين أو

الأعراف أو التقاليد، وليس لديه ولاءٌ لأحد، فكلّ ولائه لملذّاته وشهواته، ويجيد تسخير الجميع للاستفادة منهم واستغلالهم، وأحيانًا ابتزازهم.

لا يتعلّم من أخطائه، ولا يشعر بالذّنب تجاه أحد، ولا يعرف الحبّ، ولكنّه بارع في الإيقاع بضحاياه حيث يوهمهم به ويُغريهم بالوعود الزائفة، ويعرف ضعفهم ويستغلّهم. عند مقابلته ربما تنبهرُ بلطفه وقدرته على استيعاب مَن يحادثه، وبمرونته في التعامل، وشهامته الظاهرية المؤقتة، ووعوده البرّاقة، ولكن حين التّعامل معه لفترةٍ كافية أو سؤال أحد المقرّبين منه عن تاريخه تجد حياته شديدة الاضطراب ومليئةً بتجارب الفشل والتخبّط والأفعال اللاأخلاقية، وربّما يكون قد تعرّض للفصل من دراسته أو من عمله أو دخل السجن بسبب قضايا نصب أو احتيال أو انتحال شخصيّات أو تعاطي مخدّرات.

وهذا النّموذج يعرفه أصحابُ الخبرة في الحياة، ولكن تنخدع به الفتيات الصغيرات، فهو ينصبُ الفخّ لفتاة قد تكون قليلة الحظّ من الجمال ويوهمها بالحبّ، ومن خلال هذا الوهم يبتزّها ويستنزفها ماديًّا أو جنسيًّا، ويدفعها للصّراع مع أهلها لإرغامهم على الموافقة على الزواج منه، وإذا حاولوا أنْ ينصحوها بالابتعاد عنه لَما يعرفونه عنه من انحرافٍ تزداد هي عنادًا وتمسكًا به، وإذا وافق الأهلُ مضطرّين تحت ضغط ابنتهم المخدوعة وإلحاحها وتمسّكها به فإنه سرعان ما يتهرّب منها ويغدر بها، وإذا حدث وتزوّجها فإنه يذيقها الأمرّيْن بسبب نزواته وانحرافاته وفشله وعدم تقديره للمسئولية.

٥- الشّخصية الهيستيرية (الدرامية الاستعراضية الزائفة):

هذه الشخصيّة نجدها أكثر بين الفتيات والنساء، وهي شخصية مثيرة للجدل ومحيّرة، وتشكّل هي والشخصية السّيكوباتية أهمّ الشخصيات التي كتبتْ فيهنّ الأشعار وعنهنّ الروايات. فهي شخصيّة تضع مَن يتعامل معها في حيرة وتناقض.

تراها غالبًا شخصية جميلة أو جذّابة، تغري بالحبّ ولا تعطيه، تغوي ولا تشبع، تعد ولا تفي، تظهر حرارةً عاطفية شديدة في حين أنها باردة، تبدي الفتاة إغواءً جنسيًّا يهتزّ له الرجال، في حين أنّها في الحقيقة تعاني من البرود الجنسي، وتكره العلاقة الجنسية وتنفر منها.

تعرفها مِن اهتمامها المفرط بمظهرها، فهي تلبس ملابس ذات ألوان زاهية صارخة تجذب الأنظار، يفتقر كلامُها للتفاصيل والدقّة، وتتحدّث بشكل دراميّ وكأنّها على المسرح، وتبالغ في كلّ شيء لتجذب اهتمام مستمعيها، ولها علاقات متعدّدة، تبدو حميمية في ظاهرها ولكنها على غير حقيقتها، قادرة على التلويح بالحبّ وبالصّداقة، ولكنّها غير قادرة على أي منها.

وفي بدايات العلاقة تراها شديدةَ الحماس وترفع الطّرف الآخر في السماء، ولكن وبعد وقت قصير يفتُر حماسها وتنطفئ عواطفها الوقتيّة الزائفة وتهبط بمَن أحبّته إلى الأرض.

وهي أنانية لا تهتمّ إلّا بنفسها، ولا تستطيع الاهتمام بزوجها أو بيتها أو أبنائها، لذلك فهي زوجة فاشلة وأمّ فاشلة، تقضي معظم الوقت في شراء الملابس والمجوهرات والإكسسوارات، وفي التزيّن ورؤية نفسها في المرآة، واستعراض كلّ هذا في المناسبات والحفلات.

إنّها شخصية هشّة غير ناصجة، عندما تواجه أيّ ضغط خارجيّ لا تتحمّله فيحدث لها أعـراضٌ هستيرية (إغماء، تشنّج، شلل هستيري، فقد النطق، أو ذلك) بهدف جذب التعاطف والاهتمام ممّن حولها، وإذا لم تجد ذلك فهي تهدّد بالانتحار بطريقة درامية، وربّما تحاوله بعد أنْ تكتب خطابًا رومانسيًّا أو تهديديًّا، كلّ هذا بهدف جذب الاهتمام بها.

يتعلّق بها الكثيرون لجَمالها وشياكتها، وأحيانًا لجاذبيتها وإغرائها، ولأنّها غير قادرة على حبّ حقيقي، وكوْنها متقلّبة وسطحية وخادعة ومخدوعة في نفس الوقت تصير الحياة الزوجية معها في غاية الصعوبة.

٦- الشّخصية الإدمانية (الباحث عن اللذّة):

هذا الشّخص وكأنّ لديه قرون استشعار يبحث بها عن اللذّة في أي شيء، وفي أيّ موقف وعند أي فرصة، فالحصول على اللذة هو الدافع الأساسي لسلوكه وحركته، ولذلك نراه يجرب سائرَ أنواع العلاقات

العاطفية والجنسية بحثًا عن تلك الأكثر لذّة والأكثر متعة، متعلّق بكثير من المشروبات أو المأكولات، متيّم بالتّدخين وبفنجان القهوة وبسيجارة الحشيش أو البانجو، وكثير التعاطي للمهدّئات والمسكّنات والمنشّطات، ويجرّب سائر أنواع المخدرات والمسكرات ويفاضل بينها وينشغل بها. فهو أولًا وأخيرًا ذوّاقة للأشياء وللجنس الآخر وربّما لذات الجنس، ولا يعرف الوفاء لأي شيء، ولا لأي شخص، والمرأة بالنسبة له لا تعدو كونها موضوعًا جنسيًّا استمتاعيًّا مثل أيّ شيء يستمتع به ثمّ يلقيه بعيدًا بعد فراغه منها واستهلاكه لها، ولا يشعر بالمسئولية الدائمة تجاه أحد، حياته شديدة التقلّب شديدة الاضطراب، وبالتالي لا تدوم معه الحياة.

وهو رغم ذلك عذبُ الحديث وجذّاب بالنسبة للجنس الآخر، ويوهمه بأنّه عازم على ترك إدمانه، وأنّ الحبّ هو الدّواء العظيم له، وتنخدع الضّحية، وتعتقد أنّها ستقوم بدور سحري في علاجِ وهداية هذا الشابّ الطيّب الذي ظلمته الحياة، وظلمه الناس ولم يتفهّموه، وتصرّ على إتمام الخطوبة والزّواج منه رغم معارضة أهلها لما يعرفونه عنه من سلوكٍ إدماني، وبعد ذلك تحدث الكارثة وتكتشف المخدوعة أنّ الإدمان في دمِه وليس في يده، وأنّ ترك الإدمان هو وهْمٌ باللسان يُقال، ولن يكون واقعًا تترجمه الأفعال.

وعلاماتُ هذه الشخصية التي يمكن أنْ تظهر في فترة التعارف أو الخطوبة غير ثابتة ولا واضحة، ولكن هناك مؤشراتٌ توقظ الإحساس

بالتخوّف منه مثل التّدخين بشراهة، استعمال أنواع متعدّدة من المخدرات والمسكرات، وليس شرطًا أنْ يكون مدمنًا لها جميعًا، وتعدّد علاقاته العاطفية والجنسية، واضطراب مسار عمله.

.. وماذا بعد؟..

إنّها استشارة الأهل وذوي الخبرة واستخارة الله العلي العليم..

أهميّة الاستشارة:

إنّ زواج الشباب والفتيات ليس بالحدث المتكرّر في حياة الإنسان، فمن الطبيعي ألّا تتوافر خبراتُ التزويج لدى الشباب والفتيات، وأيضًا لدى العديد من الآباء والأمّهات، ولذا كان من الضّروري اتباع ما يلي:

١) إدارة نقاشاتٍ وحوارات داخل الأسرة وبين أفرادها جميعًا حول مَن اختارها الابن عروسًا له، ومن تقدّم للابنة طالبًا خطبتها. وقد تتمخّض هذه المناقشات والحوارات عن خيار من أربعة:

١. رضى جميع الأطراف بالعروسة التي يرغبها الابن الشابّ أو بالعريس المتقدم للابنة الفتاة، حينئذ يُمكن المضيّ على بركة الله في مشوار الخطوبة.

٢. رفض جميع الأطراف أو أحدهم للعروسة التي يرغبها الابن الشابّ أو للعريس المتقدم للابنة الفتاة، فيجب التوقّف عن المضي في استكمال إجراءات الخطوبة.

ولأنّ الزواج هو علاقة بين أسرتيْن وليس علاقة بين رجل وامرأة وفقط؛ كان قرار زواج شابّ بفتاة يجب اتّخاذه بصورةٍ جماعية يوافق عليها جميع أفراد الأسرتين، وليس فقط الشابّ والفتاة.

إنّ حقّ الاعتراض مكفولٌ لجميع أفراد أسرتيِ الشابّ والفتاة من أب وأمّ وأخ كبير وأخت كبرى، فإذا رفض أيّ طرف منهم إتمام الزواج وذلك بعد المناقشات والحوارات الهادفة الودودة فمِن الأفضل ألّا يتم هذا الارتباط.

فالشابّ عندما يرغب في الزواج من فتاة بعينها ثمّ تلقى هذه الرّغبة اعتراضًا من أحد والديه أو كلاهما أو أحد أفراد أسرته الكبار بعد استنفاد مراحل النقاش والحوار؛ فيجب عليه عندئذ إعادة النّظر في إتمام هذه الزّيجة، وألّا يقف الشابّ من أسرته موقفًا عنيدًا، فهُم قد يرون ما لا يراه ويقدّرون أمورًا لا يضعها في اعتباره.

والفتاة التي رفضت أسرتُها مَن تقدّم لها بعدما بذلت لإقناعهم كلّ المحاولات اللينة الحسنة كابنة بارّة لآباء يرون مصلحتها في غير ما ترى، فلا يجب أنْ تقف منهم موقف المُصِرّ العصيّ الذي يهجر ويتبرّم، ويرفض ويتمرّد، فهم في الغالب يرون مصلحتها من وجهة نظرهم من منظورٍ آخر ربما يكون أكثر شمولًا.

٣. رفض الشابّ أو الفتاة للارتباط بينما يريدُ أهليهما إتمامَ هذا الارتباط: إنّه من الصعب الضّغط على الشابّ ليتزوّج رغم أنفه بمَن لا يرغبها، ولكن الفتاة تحت إلحاح وقليل من ضغط قد تستجيب للزّواج بمَن لم يملأ قلبها بعدُ بالعواطفً.

وإنّه لا يليق أبدًا إكراهُ الفتاة على الزواج بمَن لا ترغبه أو الضغط عليها ضغطًا لا تستطيع الفِكاك منه إلّا بتنفيذ رغبة مَن يضغط عليها، ولها الحقّ كلّ الحقّ شرعًا في فسخ عقد زواج أكْرهت عليه، ففي الحديث الذي رواه ابن ماجة أنْ جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إنّ أبي زوّجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته (ليقضي دينه). قال: فجعل الأمرَ إليها، فقالت: «قد أجزْتُ ما صنعَ أبي، ولكن أردتُ أنْ تعلم النساء أنْ ليس إلى الآباء مِن أمرهنّ شيء».

٤. رفض أهل الشابّ أو الفتاة الارتباطَ بينهما يصرّ العريس والعروس عليه: قد لا يوجد حلّ للتّعامل مع الإصرار الشّديد من الشابّ أو الفتاة على الزّواج على غير رغبة أهليهما بعد بذلِ كلّ محاولاتِ الإقناع المُمْكنة غير ترك الشابّ أو الفتاة لخوض التّجربة بنفسه أو بنفسها. ويستحبّ آنذاك إطالةُ فترة التّعارف أو الخطوبة لتتاح الفرص لتتكشّف عيوب الطرف الآخر الواحدة تلوَ الأخرى، وعندها فقط يمكن أنْ يفيء الشابّ أو الفتاة إلى الرشد، ويتمّ التراجع عن المضيّ في إتمام مشوار الزواج.

إنّ مغبّات إصرار الشابّ على الزّواج من فتاةٍ لا يرغبها والداه أو أحدهما كثيرةٌ كبيرة، منها ما يلي:

- حرَمَ الشابُّ نفسه من مباركة أبويْه لزواجه، فمن علامات الزواج المبارك كما قال النبي (صلّى الله عليه وسلم): «..مَن تزوج ليصل رحمه..»، فالزوجة المباركة هي التي تقرّب زوجها من أمّه وأبيه،

وليست التي تباعد بينه وبينهما. أنّ الحرمان من البركة ينذر ببداية ملتهبة لعلاقة زوجيّة تحمل معها أسباب شقائها وشقوتها.

- حرَمَ عروسَه من التمتّع بحما وحماةٍ تحبّهما ويحبونها، وقلّص من فرص حسن العلاقة وهدوئها بين أبويه وعروسه.

- حرَمَ أطفاله بالمستقبل من المُكث بجوار جدّهم وجدّتهم وأعمامهم وعمّاتهم مكثًا طبيعيًّا لا ضيقَ فيه ولا ضيم، ولا حزن به ولا توتر.

وكذلك بالمثل توابعُ إصرار الفتاة على الزّواج بشابّ معيّن رغم رفض أبويها أو أحدهما له، بالإضافة إلى حرمانها من تدخّلهما لمساندتها حال وجود مشكلة بينها وبين زوجها تدخلًا طبيعيًّا، فقد تزوّجته رغمًا عنهما بقرارٍ منها وحدها فستتحمّل في الغالب وحدها نتيجة زواجها منه، فهذا اختيارُها وقرارها، وستسمعهما يردّدان ويلومان ويؤنّبان: «هذا اختيارك»، «لمّا نشوفك حتعملي إيه»، «مش ده اللّي انتِ جايباه»....إلخ.

إنّها سلسلة مريرة من الحرمان تصيب كلّ الأطراف.

كما لا يجب أنْ يستبدّ الأهل بالرأي وصمّ الأذن عن الاستماع إلى نبضات قلب الشابّ والفتاة، وتغليب النّظرة المادية أو الرّياء الاجتماعي أو المفاخرات الجاهلية بالأنساب والأحساب، فذلك أمرٌ ليس وراءه في النّهاية إلّا تعاسة الأبناء والبنات، أو دفعهم ودفعهنّ إلى التمرّد على الكبار، ورفض بعض التّقاليد والأعراف العريقة الجميلة التي حافظت في السابق على تماسك الأسرة وسعادة الزوجين، واعتبارها تقاليد وأعراف تجاوزها الزّمن وغدت من مخلفات عصور الانحطاط.

٢) أنْ يوضع رأيُ أمّ العروس في الاعتبار حيث أنّها من المفترض قربها من ابنتها القرب الذي يتيح مناخًا مناسبًا للمناقشة والحوار، كما أنّ الأمّ تحظى في الغالب بمعرفة أعمق لابنتها، ودرايةٍ أوثق بحالها ومزاجها، فعنِ ابن عمر (رضي الله عنه) أنّه خطب إلى نسيب له ابنته قال: فكانَ هوى أمّ المرأة في ابن عمر، وكان هوى أبيها في يتيم له، قال: فزوّجها الأب يتيمَه ذلك، فجاءت إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم فذكرتْ ذلك له، فقال النبي (صلّى الله عليه وسلم): «أمروا النساء في بناتهن».

٣) استشارة الصّالحين وأهل الخير والأقرباء الحريصين على مصلحة الشابّ والفتاة.

٤) قد يحبّذ في بعض الأحيان استشارة متخصّص في الإرشاد الأسري ليحدّد قدر الوفاق بناءً على استقراءِ طبيعة الشّخصيّتين وإمكانيّاتهما وظروف حياتهما، خاصّة إذا بدت بوادر اختلاف في الرّؤى بين أفراد الأسرة.

مفاهيمُ تضيء طريقَ الاستقرار على قرار:

(١) المكانةُ عند أهل شريك الحياة:

يجبُ أنْ تدرك الفتاة أنّ مكانةَ عريسها وقيمته عند أهله ستكون هي نفس مكانتها وقيمتها عندهم، فإنْ كان عريسُها يتمتّع بوضع متميّز عند أهله فسيمنحونها وضعًا متميزًا، وإن كان ضعيفَ الشّأن قليلَ القيمة فستكتسي مكانتها عندهم بضعف الشّأن وقلة القيمة.

وإذا كان العريس يتحمّل مسئوليات أهله الماديّة والنفسية فيجب أنْ تضع العروس في اعتبارِها أنّه سيصرف من وقته وينفق من ماله عليهم قدرًا قلّ أو كثر، ولن يكون خالصًا لها كما قد تتصوّر، وأنّها ستتحمّل في الغالب معه جانبًا قد يكون كبيرًا من تلك المسئوليات.

لقد كان كذلك قبل ارتباطِه بها، ضعيف الشأن، قليل القيمة، أو متحمّلًا مسئوليات أهله المادية والنّفسية، لقد كان كذلك سنوات طوال منذ نشأته حتّى تزوجته، ثمّ دخلت هي حياته بعدما يبس الغصنُ واستقرّ الحال على هذا الوضع، وعليها عندئذ أنْ تتقبّله كما هو وتتكيّف عليه راضية راغبة، أو.. تعيش معه وهي رافضة راغمة، عندئذ ستصبح هي الجسمَ الغريب غير المرغوب فيه ولا المرحوب به، وتبدأ المشاكل في التّوالد والأزمات في الاستعار.

وكذلك الحال بالنسبة لمكانة العريس بين أهل عروسه فستكون مكانته عندهم كمكانتها لديهم، سواء بسواء.

مكانتُك عند أهل شريك حياتِك كمكانةِ شريك حياتك عندهم

لقد ارتضاها لنفسه عروسًا، وهي قبلتْ به عريسًا، فليتحمّلا ما هو قائم منذ عقود سابقة وأوضاع تليدة لن تتغيّر بسهولة، فمحاولة تغييرها خلال أوقات وجيزةٍ ضربٌ من ضروب الخيال ومِن دواعي جلب المشكلات وتحْفيز التّوترات، فعملية التغيير تستلزم وقتًا طويلًا

وعملًا دؤوبًا وصبرًا جميلًا وإحسانًا مستمرًّا حتّى يتزحزح الوضع عن مكانه قليلًا أو كثيرًا.

الصّبرُ الطويل والإحسانُ الجميل هما جناحَا الوصول إلى المكانة المنشودة عند أهل شريك الحياة

في بعضِ الأحيان تكنْ مكانة وقيمةُ العريس عند أهله غاليةً عالية ولكنّ أهله لا يمنحون عروسَه ذات المكانة والقيمة التي يمنحونها لابنهم العريس، ربّما نتيجة الغيرة التي يشعر بها أهل العريس تجاه العروس التي «خطفت» ابنَهم الغالي، إنها طبيعة النفوس البشرية التي تعجّ بالأهواء المكتظّة بالأوباء.

ولتقليص مساوئ هذا الصّنف من العوجِ هناك أمورٌ على العريس وأخرى على العروس يجب أداؤها، منها ما يلي:

- يأخذ العريسُ بزمام الأمور دون إملاءٍ من عروسه عمّا ينبغي عليه أنْ يفعله، وألّا يكتفي ب «تصبير» عروسه وفقط، كما ليس عليه أنْ يتجاهل أهله ويزدري ما يفعلونه معها، فالتوازن مطلوبٌ بدءًا من محاولات التقريب إلى كامل التفريق.

- أنْ تعي العروس تمامًا أنّها هي الدّخيلة على عريسها في حياته، فقد عاش مع أهله عقودًا قبل أنْ يعرفها ويرتبط بها، وأنّها الدخيلة أيضًا على أهله فقد وفدتْ إليهم عروسًا منذ قليل، فإذا تصرّفت تصرّفَ الأصيلة

التي لها الحقّ في الرفض والنقد والتوجيه والتوبيخ فسينبذونها ويلفظونها مِن بينهم وسيعاملونها وهي بينهم كدخيلةٍ عليهم طوال الوقت، أمّا إذا تصرّفت تصرف الدّخيلة الراضية السعيدة المحبّة الودودة فسينسجمون معها وكأنّهم يعرفونها منذ أمد بعيد، ويعاملونها وكأنّها أصيلة عاشت معهم العمر كلّه، وسيمنحونها ما تصبو إليه من مشاعر وقرب.

أيّتها العروس..
إذا تصرّفت تـصرف الأصيلة مع أهـل زوجك فسيعاملونك كالدخيلة..
أمّا إذا تصرّفت تصرّف الدّخيلة فسيعاملونك ولو بعد حين كالأصيلة.

(٢) تماثلُ واختلاف الطّباع، مزايا وعيوب:

قد يتماثل العروسان في بعض الطّباع، سواء كانت حسنة أو سيئة. إنّ هذا التماثل قد يجلب للعروسين استقرارًا زوجيًّا، أو قد يؤدّي إلى العكس من ذلك تمامًا..

.. فمثلًا،

إذا تماثل العروسان في بعض الصّفات السيئة كعصبيّة المزاج فسيمسي البيت في صخب وثورةٍ باستمرار، أمّا إذا تماثلا في البخل والإمساك في الإنفاق فسيسعدا طالما كان الرّصيد البنكي في ازدياد، مع

ملاحظة أنّ صفتي عصبيّة المزاج والبخل صفتان مرذولتان.

تماثلُ العروسين في الطّباع السيئة قد يجلب لهما استقرارًا زوجيًّا، ولكنّه سيحدث خللًا في تربية الأبناء.

.. فمثلًا،

إن كان الوالدان انطوائيّين أو بخيلَيْن فسينسجمان، ولكنّ هذا الانطواء وذاك البخل سيصبّ في غير مصلحة تربية الأبناء.

كما أنّ تباين طباع العروسين قد يسبّب نوعًا من التوتر في العلاقة الزوجية إنْ لم يحسنا تفهّمه وإدارته، أمّا إذا تمّت الاستفادة من هذا التباين لتتكامل الأدوار فسيهيئ ذلك مجالًا رحبًا لتربية الأبناء وقضاء مصالح البيت.

... فمثلَا،

إذا كان أحدُ الزوجين متساهلَا في أخذ حقوق أهل بيته متغافلًا عنها، أمّا الآخر فعلى النقيض من ذلك حريصًا عليها مستميتًا في الدّفاع عنها؛ فسيصبّ هذا في صالح أهل البيت من زوجين وأبناء، رغم أنّه قد يكون له انعكاسٌ سلبي على العلاقة الزوجية.

وهناك تباينٌ في الطّباع بين الزّوجين يستجلب دومًا ضيقًا وحنقًا وتوتّرات تعكّر كثيرًا من صفو الحياة الزوجية.

... فمثلًا..

هو منظّم للغاية، وهي مهرجلة جدًّا، فستراه باستمرار يعلّق تعليقات سلبية ويصدر توجيهات ويأمرُ وينهى، ويرغد ويزبد على

كلّ شيء طوال الوقت، ولا يرضى بما تبذله زوجته مهما أضْناها محاولاتها العديدة لتنفيذ ما يريد. إنّ الشخصية المنظّمة ترى ما لا تراه الشخصية المهرجلة.

> **ليستْ كلّ الطباع المتماثلة غنيمة، ولا كلّ الطباع المتباينة أليمة**

(٣) لا يلزم مَن ليسَ له كبير:

لا تخلو حياةٌ زوجية من المشاكل والخلافات، وعندما تحتدم وتتكاثر هذه المشاكل وتلك الخلافات يمسي من الضّروري أنْ يتدخّل مِن أهل الزوجين مَن يقوم بالإصلاح بينهما، قال تعالى: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها إنْ يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما إنّ الله كان عليمًا خبيرًا) (النساء: ٣٥).

ولنْ يكون لَمن يتدخّل أثر يُذكر ما لم يكنْ ثاقب الرأي مسموعَ الكلمة، يدين له الزوجان بالسّمع والطاعة، ويعتبرانه كبيرهما ومرجعهما. والمقصودُ بالكبير هو رجل يحكم ويأمر فيستجيب الشابّ لحُكمه استجابة كاملة، وترضخ الفتاة لأمره رضوخًا تامًّا، ولن يكون الكبير كبيرًا إذا لم يكبراه ويجعلان له سلطانًا عليهما، فلا أحد يملك أحدًا ما لم يدِنْ له بالطاعة.

إنّ الذي لا كبيرَ له يرى نفسه كبيرًا وفكرَه صحيحًا ورأيَه صائبًا، قد يطغى ويظلم ولا رادع له يوقفه عن طغيانه ويمنعه من ظلمه.

فلا يجب أنْ تقبل الفتاة بشابّ لا يُعرف له كبير، يتقدّم لخطبتها وحده دون أنْ يكون معه أحد مِن أهله، ويتحدّث ويتّفق مع أهلها دون إذنٍ أو تفويض صريح من والده أو كبير بعائلته، ويتجنّب كبار عائلته أو يجنّبهم من التدخّل في شئونه التي لا تقضى إلّا في وجود كبير، إنّ حياة زوجية مع هذا الشابّ لا تؤتَمن عواقبها.

وبالمثل أيضًا لا يجب أنْ يتقدّم الشابّ لخطبة فتاة تشعر أنّها كبيرة نفسها، ولا تطيع أحدًا إلّا ما يُمليه عليها تفكيرها، متجنّبة أهلها في أمرها الذي يعدّ من اختصاصات وليها، والطاعة عندها مرهونة بمزاجها وتخضع لتقديرها، إنّ الحياة مع مثل هذه الفتاة لحياةٌ ممتلئة بالتوترات دائمة المنازعات.

لا حاجةَ للفتاة في شابٍّ ليس له كبير، ولا حاجة للشابّ في فتاةٍ ليس لها كبير

(٤) مقارناتٌ ظالمة:

لا تقارن العروس اللبيبةُ بين عريسها وآخرين، بين عريسها ومَن سبق وأحبّها أو خطبها، بين عريسها وعرسان صديقاتها أو قريباتها.

وكذا العريس اللبيب أيضًا لا يعقد مقارناتٍ بين عروسه وأخريات سبق وأنْ تعرّف عليهن أو خطبهنّ.

إنّ هذا النوع من المقارنات لا يأتي أبدًا بخير، إنّها المقارنات التي تتمّ بين ما هو عيب في القريب الحبيب بما هو مزيّة في البعيد الغريب، فيميل

القلب والعقل شيئًا فشيئًا للغريب ويبتعد رويدًا رويدًا عن الحبيب.

إنّ هذا النوع من المقارنات بابٌ من أبواب جهنم يلجُ منه الشيطان ليعكّر ويدمّر الحياة الزّوجية الحلال بخيالات من الحرام.

ضرورةُ الاستخارة:

مهْما بذل الإنسان من جهدٍ في التفكير والتّدبير والرؤية والعلم والاستشارة فستتبقى جوانب مستترةٌ في شريك الحياة المنتظر لا يعلمها إلّا الله تعالى الذي أحاط بكلّ شيء علمًا، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، ولهذا وجب اللّجوء إليه مستخيرين كما أمرنا ليوفّقنا إلى ما فيه الخير.

والاستخارة هي استلهامُ الهدى والتّوفيق من الله تعالى بعد بذل الجهد البشري المُمكن، وهي تعطي الإنسان سندًا معنويًّا هائلًا، وتحميه من الشّعور بالندم بعد ذلك. فقد روى البخاري أنّ جابر رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعلّمنا الاستخارة في الأمور كُلّها، كما يعلمنا السّورة من القرآن، يقول صلى الله عليه وسلم: «إذا همّ أحدُكم بالأمر فليركعْ ركعتين من غير الفريضة، ثمّ ليقل «اللّهم إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقُدرتك، وأسألك مِن فضلك العظيم، فإنّك تَقْدِر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب، اللّهم إنْ كنتَ تعلمُ أنّ هذا الأمر (ويذكرُ الأمر الذي يستخير فيه، وهو هنا زواجي من فلانٍ أو فلانة) خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري

(أو قال: عاجل أمري وآجله)، فاقْدُرْه لي، ويَسِّرْه لي، ثمّ باركْ لي فيه، وإنْ كنت تعلم أنّ هذا الأمر (ويذكر الأمر الذي يستخير فيه)، ، وهو زواجي من فلانٍ أو فلانة) شرّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري (أو قال: عاجل أمري وآجله)، فاصرفْه عنّي، واصرفْني عنه، واقْدُرْ لِيَ الخير حيث كان، ثمّ ارضني به».

وقد تلوح نتيجةُ الاستخارة بالإيجاب عندما يشعر المُستخير بعد الاستخارة براحةٍ نفسية وانشراح صدر، وإحساس بالسهولة واليُسر في اتّجاه السير قدمًا في مشروع الخطوبة، أو على العكْس من ذلك تكون نتيجةُ الاستخارة سلبيةً عندما يحلّ على المستخير ضيق بلا سبب وجيه أو ينتابه نفورٌ من هذا الأمر بلا مبرّر واضح، أو يستبدّ به شعورٌ بصدود النفس عنه كلّما جال بالخَاطر. وليست نتيجةُ الاستخارة كما يعتقدُ الكثيرون تبدو في رؤية حلم به بشرى تبعث على الرّاحة، أو إنذار يبثّ الضيق في النّفس أو ظهورُ شيء أخضر أو أبيض بحلم أثناء نوم.

وفي أحيانَ كثيرة تتمّ الاستخارة، ويشعر المُستخير بالرّاحة والتوفيق، فإذا ما قطع في أمره شوطًا لقي العقبات والمعوّقات حتّى تعثر الأمر وتدْهور، ثمّ انتهى، فهل يعني هذا أنّ الاستخارة لا تفيد، أو أنّها غيرُ ضرورية، أو أنّها كانت غير صادقة؟

إنّ قطعك شوطًا في أمر ما استخرت فيه، وشعرت بعد الاستخارة بالتّيسير والراحة سيعرفك أمورًا لم تكنْ تعرفها، ويعلمك أخرى لن تتعلّمها إلّا بالخوض فيها، وانتهاء الموضوع على غير ما شعرتْ به في البدءِ من يُسرٍ وراحة شيء وتعلمك من خوضك فيه شيء آخر، لقد تعلمت، وهذه كانت فائدة الخوْض في هذا الموضوع الذي لم ينته على الوجهة التي بدتْ في أوّل الأمر، فكان الخيرُ ليس في انتهاء الأمر وفقًا لَمَا شعرت به في البدء، ولكن في تعلّمك ما لم تكن تعلم.

وأخيرًا، اتّخاذ القرار بالاستمرار أو الإدبار:

تمّ اللقاء الأوّل أو اللقاءات الأولى وعرف كلّ مِن الشابّ والفتاة عن الآخر ماذا لديه، وأجابَ عن أسئلته التي تهمّه، وأخبره بما يريد ويرغب، وعرف عن أنماط شخصيته ما عرف، ثمّ تمّت الاستشارة واتّبعت بالاستخارة، وأنّ أوان أخذ القرار بالاستمرار أو الإدبار.

فإنْ كان القرار من الطّرفين هو الاستمرار في مشوار الخطوبة فعلى بركة الله تعالى.

وفي حالة رفضِ الفتاة لعريسها فعليْها إخبار وليّها بعدم رغبتها في الزواج من هذا الشابّ فيصارح وليّها الشابّ بالرفض.

أمّا في حالة رفض الشابّ للزّواج من الفتاة، فعليه أو مَن ينوب عنه مصارحة أهل الفتاة بهذا الرفض.

وفي كلتا الحالتيْن يجب أنْ تكون عباراتُ الرّفض صريحة مختصرة، لا تردّد فيها ولا تجريح، ولا لوْم ولا عتاب، ولا تحقيق ولا حساب، ودون الدّخول في أيّة تفاصيل أو استعراض أيّ أسباب، كان يقول: «أنت وأهلك من أفاضل النّاس، ولكن مفيش نصيب»، وكفى، فالولوج في التّفاصيل يجرح ويؤلم، ويثير الضّيق والحزن، بلا داعي أو طائل.

البابُ الثّاني

الفصلُ الأوّل

الخطوبة

بعدما استقرّ قلبُ وعقل الشابّ والفتاة على الارتباط انتقلا إلى المرحلة التالية وهي الخطوبة، والتي لا تعدو أنْ تكون طلب الزواج ووعد به، واتّفاق مبدئي عليه، وتقدّمة لحدوثه، وتمهيدًا لإتمامه.

إنّها فترةُ تعارفٍ وتقارب بين الشابّ وخطيبته، وبينه وبين أهلها، وبين الفتاة وأهل خطيبها، فترة تهيئ مناخًا مناسبًا تتآلف فيه القلوب، وتتقارب به النفوس، وتتيح نوعًا من الاقتراب الذي يمنح الطّرفين الفرصة لأنْ يتّخذا القرارَ المناسب إمّا باستكمال مسيرة الزواج أو التراجع عنها.

هناك معلوماتٌ عن الطّرف الآخر يمكن معرفتها جيدًا كالهيئة الخارجية والشكل العام والمستوى الاجتماعي والدّراسي والاقتصادي وفارق السنّ والقدرة على التفهّم والاستيعاب.

وهناك معلوماتٌ أخرى يُمكن معرفتها بنسبٍ مُتفاوتة مثل قدر التديّن والصّدق والكرم واللياقة العامّة والمرونة وبعضِ الهوايات،... إلخ.

وهناك معلوماتٌ لا يمكن التعرّف عليها إلّا بعد الزفاف والمضيّ بالحياة الزوجية أعوامًا تلو أخرى، كتلك التي حول الطبائع الشخصية وأغلب العادات وكثير من القناعات.

ومن معوّقات التّعارف الوافي الوثيق ما يلي:

- تجمّل كلّ طرف للآخر ومحاولة الظّهور بصورة قد تكون بعيدة عن الواقع.
- كلّ مِن الشابّ والفتاة لا يمتلكان القدرةَ على استكشاف نفسيّة الآخر بدقة، ولا لديه الخبرة الحياتيّة الكافية للإلمام بمعرفة خبايا شخصيته.
- لا يمكن تجاهل وجود العواطف وأثرها في الحكم على الطرف الآخر.
- هناك صفات وسجايا لا تكفيها فترة الخطوبة القصيرة ولا أساليب التواصل أثناء هذه الفترة، ولن تتمّ معرفتها إلّا بالعشرة الطويلة والمرور بسلسلة مديدة من المعايشة أثناء فترات السّعادة والحزن، والفقر والغنى، والصّحة والمرض، وتحمّل المسئوليات وتخطي العقبات وحلّ المشكلات،... إلخ.

ومن أجل ذلك:

لن يستوفي التّعارف أثناءَ فترة الخطوبة جزئيّاتِه كاملة

متى يبدأ الاتفاق؟:

يتمّ اتّفاق الأسرتين على كلّ ما يتعلّق بالخطوبة والشّبكة والمهر وميعاد العقد والزفاف وتوزيع تكاليف تأثيث وتجهيز بيت الزّوجية ومصروفات حفلات الخطوبة والعقد والزفاف وغيرها إمّا منذ الجلسة الأولى بعد قبول الارتباط بين العروسين أو بعدما يتمّ تعميق التآلف وترسيخ التفاهم بينهما.

لكلّ وقت مزاياه، فاتّفاق الجلسة الأولى يضع النّقاط على الحروف منذ البداية، ويفضي إلى اتّخاذ قرار مبكّر إمّا باستمرار الارتباط أو عدمه قبل أنْ تتولّد أو تتصاعد العواطف بين العروسين، ولذا حينما لا يحدث ارتباطٌ لا يصاب العروسين بآلام عاطفية ذات بال، وإن وجدت فسرعان ما تزول.

أمّا اتّفاق ما بعد تآلف وتفاهم العروسين فيكون أيسرَ حالًا، فقد ارتبط العروسَان ببعضهما عاطفيًّا، وبات النّزوع إلى استكمال مشوار الخطوبة والزّواج هو الأقرب حدوثًا، فكان التنازل والتّساهل، فإذا ما تعرقلت الخطوبة أحدثت- ولا شكّ- آلامًا عاطفية عميقة الأثر.

إنّ الفتاة التي ملك عريسُها قلبها، واستحوذ على مشاعرها ستخفّف كثيرًا من طلباتها، وغالبًا ما ستتنازل عن بعضٍ من حقوقها،

فهي ليست بحاجة لتتأكّد من مشاعره نحوها وقدر مكانتها عنده، وإنّما ستصبو لأنْ تكون معه تحتَ سقف واحد في أسرع وقت ممكن، فقد أيقنت أنّه يحبّها، وسوف يصونها، ويملأ عليها حياتها، ويمنحها أمانًا كان حلمها.

اتّقاد العواطف بين العروسين يسهّل الاتّفاق وييسّره

وعلى العكس من ذلك تكون الفتاةُ التي لم تمتلئ عاطفيًّا من خطيبها، فهي قد تعمد إلى إرهاقه بالمطالب، وقد تكبّده ما يفوق طاقته، وتطلب منه «لبن العصفور» الذي لا وجود له، لتتأكّد من حبّه لها ورغبته فيها ومشاعرِه الإيجابية نحوها، كما أنّها قد تتّخذ أيّة ذريعة لإطالة فترة ما قبل الزّفاف، حتى تتثبّت من قدر مكانتها عنده، وتتأكّد من توافر ما يجعلها تعيش معه آمنة مطمئنة، وهي لن تألوا جهدًا في النّفخ في كلّ خلافٍ صغير وطلبٍ بسيط ليصبح مشكلة كبيرة أو طلب عسير واضعة بذلك العقبات الكئود أمام إتمام الزواج لتنظر ماذا سيفعل؟

فإذا أردتَ أيّها الشابّ أنْ تتمّ الاتفاقيات في سهولة ويُسر فعليك أنْ تحرص كلّ الحرص على أنْ تحبّك مَن تودّ خطبتها، كما يجب أنْ تعلم أيضًا أنّ كثرة الطلبات العسرة من الفتاة التي تريدها زوجة قد تكون دليلًا على أنّها لم تمتلئ منك عاطفيًّا بعد.

أسسُ الاتّفاق:

يقوم الاتّفاق الجيد على أسس من الوضوح والصراحة والإخلاص والتشاور والتناصح والتّيسير والاحترام دونَ إرهاق أو تعسير أو استغلال أو مناورة أو محاولة أيّ طرف انتهاب قدر ما يستطيع من الطرف الآخر.

مع مَن يكون الاتفاق:

والأصل هو أنْ يتّفق الشابّ أو مَن ينوب عنه من كبار عائلته مع وليّ أمر العروس على تفاصيل توزيع المسئوليات والنّفقات طبقًا للأعراف السائدة.

ولا يجب أنْ تحضر الفتاة مراسمَ الاتّفاقيات حتّى لا تشعر أنّها تباع وتشترى، فالرجال حينما يتفاوضون يستخدمون المنطقَ دون العاطفة فيبدون وكأنّهم في سوق يبيعون فيه ويشترون، الأمر الذي سيؤلم الفتاة إنْ شهدت هذه الاتفاقيات. وإنّما مكان الفتاة دومًا في أمر تزويجها يجبُ أنْ يكون خلفَ وليّ أمرها وليس أمامه، تتشاور معه، وتتفهّم وجهات نظره، وتنعم بحصاد خبرته وتسعد بتصدّره لأمر زواجها.

في بعض الظّروف يغيب عن الأسرة ربُّها بوفاةٍ أو سفر أو طلاق، ولا يتوافر رجلٌ آخر كبديل عنه من عمّ أو خال أو أخ أكبر، فيضطرّ الشابّ المتقدّم لخطبة فتاة أنْ يتّفق مع أمّها على تفاصيل قيمة الشّبكة والمهر وإعداد بيت الزوجية وحفلات الخطوبة والزفاف وغير ذلك من لوازم الخطوبة والزواج.

والواقع يخبرنا أنّه من الصّعوبة إبرامُ اتّفاق مستقرّ مستمرّ مع أمّ العريس أو غيرها من النساء لكوْنها كطبيعة النساء الجميلة تغلب النّواحي العاطفية على المنطقية، وربّما النظرة العاجلة على الآجلة، إلّا في حالات قليلة. فإذا ما كانت أمّها على انسجام مع عريس ابنتها فستسهل الاتفاق وتيسّره وتقوم بتنفيذ ما عليها حسب الاتّفاق، بل وقد تتكرّم وتتفضّل بأكثر ممّا هو مطلوب منها، أمّا إذا غضبت عليه برهة وهذا ما قد يحدث عادة فستصعّب من الاتفاق وتعسره وستتنصّل ممّا وعدتْ به، وتسوّف وتماطل، ثمّ تنكر وتتنكّر، ثمّ إذا عاودت رضاها عنه تارة أخرى سهّلت الاتفاق ويسّرته ثانية.

إنّ هذا أمرٌ طبيعي، فالعواطف عند النساء تتأرجح بين صعود وهبوط فستكون الاتفاقيات معهنّ متأرجحة أيضًا صاعدة هابطة، فتتذبذب الاتفاقيات وتضعف وتتهتك وتتقلص حتى تتبخر وكأنّها لم تكن. إنّها العاطفة الجميلة المطلوبة في المرأة، التي لا تصلح في هذا الموضع.

إنّ النساء يحذقن تعريف الشباب بالفتيات المقبلين والمقبلات على الزواج ولكن عند إبرام اتّفاقيات الخطوبة والزواج لا بدّ من أنْ تتنحى النساء جانبًا ويتصدّر لها الرجال.

ولا شكّ أنّ هناك نساءً حكيمات يفقنَ في حكمتهنّ الرجال، ولكن لا تعد هذه الحالات من الشّيوع بحيث يقاس عليها.

ولذا ينبغي أنْ يتجنّب العريس- قدر الجهد- إبرام أيّ اتفاق مع والدة مَن اختارها شريكة لحياته، أو أيّ امرأة من طرف عروسه.

أيّها الشاب، اتّفق في أمر خطوبتك وزواجك مع رجلٍ مثلك وليس مع امرأة

أعرافُ أهل العروس أمْ أهل العريس هي الأوْلى بالاتّباع:

لم تشهد حياة البشر قدرًا من التباينات مثل تلك المرتبطة بعادات وأعراف الزواج، فكلّ بلد به أنماطٌ من هذه العادات والأعراف التي يجب أنْ تحترم وتوضع في الاعتبار، ما لم تتعارض مع الشرع.

ولأنّ هذا العصر اتّسم بسهولة فائقة في التّواصل والتنقل فباتَ من اليسير أنْ يتزوّج شاب من فتاة وهما ينتميان إلى بلديْن مختلفين بنفس القطر أو حتى إلى قطرين مختلفين، ولكلّ بلدٍ أو قطر عاداته وأعرافه المختلفة عن بعضها.

فلزم للشابّ أنْ يعرف عادات وأعراف الزواج بالبلد أو القطر الذي تنتمي إليه مَن يودّ خطبتها حتّى يتقدّم ليخطبها من أهلها بالأعراف التي درجوا عليها وليس بأعرافه هو.

مثال:

مِن عادات بلد أهل العروس أنّ الرؤية الأولى للشاب والفتاة تتمّ في بيت العروس وهي وسط أهلها (أي بنمط زواج الصّالونات)، فإذا ما رأى العريس عروسه وارتضاها زوجة لنفسه أخرج لها قطعةً ذهبية أو نقودًا كهدية، فذاك يدلّ على رغبته في الزواج منها، ولكن عندما لا تعجبه لا يقدّم شيئًا، فذاك معناه أنّه لا يرغبها زوجة، وتنتهي الجلسة وتنفض ويذهب كلّ إلى حال سبيله.

ولكنّ عادات الزواج ببلد العريس تختلف عن ذلك كلية، فرغبة العريس في الزواج من الفتاة تتمّ بالكلمات الصريحة الواضحة وليس بالهدايا ذات المغزى.

فإذا ما تقدّم هذا الشابّ إلى هذه الفتاة ورآها في بيتها ثمّ أعجبته وأرادها زوجة له ولكنّه لم يقدّم لها الهدية سواء كانت ذهبية أو نقودًا فستصل الرسالة إلى أهل الفتاة أنه فيها زاهد غير راغب، على غير ما كان يقصد ويتمنّى.

إنّ عادات وأعراف أهل العروس أحرى بأنْ تتبع، ولكن، لا مانع أثناء عقد الاتفاقيات من أنْ يطرح العريس عادات وأعراف بلده على أهل العروس فلربما يوافق عليها أهل العروس، أو يتمّ التّوافق بينه وبينهم على اتفاقيات وسطٍ تجمع بين كلتا العادات والأعراف لأهلي العروسين.

أعرافُ أهل العروس في الزّواج أحْرى بالاتّباع، وكلّ شيء قابل للتفاوض

على أيّ الأمور نتفق؟

عند بدء الاتّفاق يستحسن ألّا تذكر التّفاصيل الدقيقة والجزئيات الفرعية بل هي خطوط عامّة وما تعارف عليه الناس.

وتدور الاتفاقيات حول التزامات مالية ومواعيد وقتية:

أوّلًا: الالتزامات المالية:

مِن دعائم الاتفاق على الالتزامات المالية هو الوضوح في الاتفاقيات الذي لا يقبل تأويلًا، والتّيسير عند التكليفات الذي لا يرتضي تعسيرًا والوفاء بالتعهّدات الذي لا يخالط تأجيلًا.

هذه الدّعائم قد لا تحتاج إلى مزيد إيضاح فهي شارحة لنفسها، ولكن التيسير في الالتزامات الماليّة يحتاج وقفة.

إنّ المرأة عندما تعيش حياة زوجية تعسةً بها من الخلافات والمشاكل ما بها فستبدأ في التنقيب عن أسباب هذه التعاسة التي ألمت بحياتها الزوجية، وستعود بذاكرتها إلى الوراء يوم أنْ تقدّم إليها زوجها ليخطبها وكيف أنّ وليّ أمرها قد يسّر له كلّ شيء وأزال من أمامه كلّ العقبات المادية لإتمام زواجها منه، فسيستبدّ بها الشعور بأنّ سبب ما هي فيه من تعاسة إنّما مرجعه إلى أنّ ولي أمرها تساهل في حقّها و«باعها رخيصة» إلى عريسها، وهذا تعليلٌ عليلٌ وبعيدٌ عن الصواب بُعْد المشرق عن المغرب.

فهناك أسبابٌ أخرى لهذه التعاسة التي نكبت حياتها الزوجية غير أنّها «بيعت رخيصة» من وليّ أمرها، أسباب أخرى يجب التعرف عليها لمعالجتها أو تجاوزها، فليس تيسير زواجها هو الشّماعة التي تعلق عليها تعاستها الزوجية.

... وعلى النقيض من ذلك..

قد يمارس أحدُ الطرفين ضغوطًا على الطرف الآخر لنيل بعض «المكتسبات» أو لتجنّب المزيد من الطلبات، وقد يفلح الضغط أحيانًا في الحصول على المراد بعض الوقت.

... ولكن،

لا يمكن للضّغط المستمرّ أنْ يدوم طوال الوقت دون أنْ ينتهي بانفجار ودمار، ثم، أي حياة هذه التي تمارس تحت ضغوط، إنّها حياة أشبه بمعركة قتالية يمارس طرفاها ما يحطم الآخر، وبذا لن يدوم صفاؤها ولن يستمر بقاؤها.

إنّ الجدير بالعروسين وأهليهما أنْ يكونا داعمين لبعضهما البعض، ولا يصح أبدًا أنْ يكون أحدُهما مصدر ضغطٍ على الآخر لنيل بعض «المكاسب» أو تجنب بعض الطلبات.

فالسّعادة الزوجية كهدف يجب أنْ يتضاءل أمامه حفنة من مكاسب وقليل من بضع طلبات، فالسعادة الزوجية في ذاتها هي المكسب الواقعي والطلب المنشود.

شقّة الزوجية:

إنّ من مسئوليات العريس الرئيسية هي توفير شقّة الزوجية على حال يحظى برضى الطرف الآخر وقبوله، سواء كانت تمليكًا أو إيجارًا، مسدّدة الثمن أو مازال عليها أقساط، معلومة المكان والمساحة، في بيت عائلة أو بعيدًا عنه،... إلخ.

في عصرنا الحالي يعدّ حصول شابٍّ على شقة ليتزوّج فيها أحد أهمّ العقبات التي قد تعرقل وتؤخّر زواجه لما تستلزمه من أموال أو ما تخضع له شقة الزوجية من مواصفات واشتراطات وموقع تمليه عليه العروس أو أهلها.

كما تتّسم بعض العائلات باليسر المادي ممّا دعاها لتوفير شقة تصلح كسكن زوجية للفتاة تخوّفًا على مستقبلها الزواجي أو لترغيب الشباب في الزواج منها أو رغبة أهل العروس في جوارها، وغير ذلك من الأسباب.

فاجتمع عجز الشّباب عن الحصول على شقة زوجية وتوافر هذه الشقة لدى الفتيات، فتزوّج شابّ لا يملك شقة زوجية بفتاة عندها هذه الشقة.

وبعد الزواج..

دبّ الخلاف بينهما كما هو طبيعي بين الأزواج فذكرت الزوجة أثناء خلاف عادي أن: «هذه شقتي، مش مرتاح معايا اخرجْ منها»، فطردت زوجها من شقتها في معرض المشاجرة، إنها لا تدري أنّها طعنته طعنة نجلاء لا تندمل بسهولة، لقد ارتكبت ما لا يطيقه الغالبية العظمى من

الرّجال، وهي لا تقصد ذلك، ولكنّها فعلت، أنّ الحياة لن تصفو أبدًا بمثل هذه الأقوال التي تمنّ فيها المرأة على زوجها أنّها ضَوَتْه في بيتها.

إنّ من تمام قوامة الرجل على زوجته أنْ يحتويها في شقته، فإذا ما عجز عن أنْ يضمّها في شقته، وقنع بأن توفر هي- أو والدها- شقة الزوجية فليتوقّع منها ذكر تفضلها عليه بشقتها عند خلافها معه يومًا ما، لقد تنازل كثيرًا يوم أنْ وافق علي- أو سعد- بهذه «المنحة»، فلا يلومن إلّا نفسه إنْ جرحته يومًا وذكرت ذلك أثناء أي خلاف عادي.

وللفتاة التي ستتزوّج في شقتها احذري من أنْ تمنّي على زوجك جَدًّا أو هزلًا بأنّ هذه الشقة شقتك أنت، فذاك يُحدث في حياتكما الزّوجية مزقًا لا يرتق وشرخًا لا يترمم، وستفتحين على نفسك فوّهة بركان سيظلّ يقذف بالحمم ما دامت الحياة بينكما قائمة.

أيّها الشاب، تجنّب قدر جهدك الزواجَ في شقّة عروستك حفاظًا على استمرار قوامتك واستقرار بيتك

الشّبكة:

جرى العرف على أنْ يقدِّم الرجل «شبكة» لِمَن يرغب خطبتها، تقديرًا لها، وتقربًا منها، وتعبيرًا عن مشاعره الطيبة نحوها، وقد تكون هذه الشّبكة في صورة ذهب أو غيره ممّا غلا ثمنه. وتعتبر الشبكة هدية أو جزءًا من المهر تبعًا لاتّفاق الزوجين.

ولا مانع من أنْ يقدِّم الشابّ الشبكة لَمن يريد الزواج بها في حضور أهله وأهلها، في حفل خطوبةٍ صغير، يتعارّف فيه أهل العروسين ويتقاربان، وتتوطّد العلاقات بينهما، على أنْ يلتزم الجميع في هذا اللقاء بالآداب الشرعية الخاصَّة بالاختلاط والزِّي.

وكثيرًا ما نرى الخاطب يقوم بإلباس الشّبكة لخطيبته في حفل الخطوبة، وفي هذا مخالفة شرعيّة، حيث إنّه لا يجوز للخاطب أنْ يلمس خطيبته، ويمكن أنْ تقوم أمّه أو أخته بإلباسها شبكتها، أو يكتفي بتقديمها فقط، ثمّ يُلبسها لها بنفسه بعد إتمام العقد عليها. وفي بعض الأحيان تُقدَّم الشبكة بعد العقد، ولا مانع حينئذ من أنْ يقوم العريس بإلباس عروسه شبكتها.

المهْر:

هو حقّ ماليّ للمرأة على الرجل الذي يريد أنْ يتزوجها، ليس لأبيها ولا لأقرب الناس إليها أنْ يأخذَ منه شيئًا إلّا بإذنها ورضاها، قال تعالى: (وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة....) (النساء: ٤)، وقال تعالى: (.... فانكحوهنّ بإذن أهلهنّ وآتوهنّ أجورهنّ بالمعروف....) (النساء: ٢٥). وللمرأة أنْ تأخذ مهرَها كاملًا، أو تأخذ بعضَه وتعفو عن البعض الآخر، أو تعفو عنه كلّه.

ويجوز تأخير جزءٍ من المهر بما يسمّى بمؤخّر الصداق، لا يستحقّ سداده إلّا عند الطلاق أو وفاةِ الزّوج. ويعتبر مؤخّر الصّداق دينًا على الزوج لزوجته يجب سداده، فإنْ توفّيت الزوجة وجبَ على الزّوج سداده لورثتِها الشرعيّين إلّا إذا تنازلت هي له عنه أثناء حياتها.

إنّ الاتّفاق على قيمة مؤخّر الصّداق منذ البداية ضروري، ولا ينبغي تأجيل الاتفاق عليه لحين كتابة العقد، فكثيرًا ما يسكت أهل العريس عن هذا الموضوع ظنًّا أنّ ولي أمر العروس لن يطلبه ما دام لم يتحدّث عنه، فيفاجأ العريس وأهله بمطالبه وليّ أمر العروس به أثناء العقد، فيتعكّر ما كان رائقًا، ويتلوّث ما كان صافيًا، خاصّة إذا رأوه مغال فيه، وكم من زيجات انصرف عنها المأذون دون أنْ يتمّ العقد بسبب ذلك.

والمهرُ مع كونه واجبًا فإنّه لا يعدّ ركنًا من أركان العقد ولا شرطًا من شروطه، بل هو أثر من آثار العقد.

والمهرُ لا حدَّ لأقلّه كما لا حدَّ لأكثره، والمعيار في ذلك قدرة الرجل واستطاعته، والحالة الاجتماعية، والمستوى الماديّ للأسرتين، ومعاملة البنت بمثيلاتها اللائي تزوّجن قبلها.

ولقد رغّب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في قلّة المهر فربط بين الخيرية للمرأة ويسّر المهر، فقال في الحديث الذي رواه ابنُ

حبّان والطبري: «خيرهنّ أيسرهنّ مهرًا». واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أكثر النساء يُمنًا وبركةً أقلّهنّ مهرًا، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن حبان: «مِن يُمن المرأة تسهيل أمرها وقلّة صداقها». ولحرصِ النبي صلى الله عليه وسلم على تخفيف المهور زوّج رجلًا لا يملك من حُطام الدنيا شيئًا ولو خاتمًا من حديد بما يحفظه من القرآن الكريم، كما ورد في حديث شريف سبق ذكره.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرغب دائمًا في تخفيف المهور على الرّاغبين في الزواج، فقال: لا تغالوا في صداق النّساء، فإنّها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله، كان أولاكم وأحقكم بها محمد صلى الله عليه وسلم، ما أصْدَقَ امرأةً من نسائه، ولا أُصْدِقَتْ امرأةٌ من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية (الأوقية: عشرون درهمًا).

وأمّ سليم رضي الله عنها رضيتْ بإسلام زوجها مهرًا لها، فعن أنس رضي الله عنه أنّ أبا طلحة خطب أُمَّ سُلَيْم - رضي الله عنها - فقالت: والله ما مثلك يُرَدّ، ولكنّك كافر وأنا مسلمة، ولا يحلّ لي أنْ أتزوّجَك، فإن تُسْلِم فذلك مَهْرِي، ولا أسألك غيره، فأسلم، فكان ذلك مهرَها، وكان ذلك أغلى مهر عرفته الإنسانية.

ولأنّ الشّرع لم يضعْ حدًّا لأقلّ مهرٍ وأكثره، فيجوزُ للرّجل أنْ يجعل مهرَ زوجته قنطارًا من ذهب، ولعلّ هذا ما أشارت إليه الآيةُ الكريمة على وجْه الإباحة، فقال تعالى: (وإنْ أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهنّ قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا) (النساء: ٢٠).

ولأنّ الشّرع لم يضعْ حدًّا لأقلّ مهرٍ وأكثره، فكان عظيماً أنْ تراجع امرأة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قراره بوضع حدّ أعلى للمهور، وكان عظيماً أيضًا أنْ يتقبّل أمير المؤمنين هذه المراجعة بإلغاء قراره فورًا بعدما تبيّن له الحقّ، فذات يوم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الناس خطيبًا، فقال رضي الله عنه: لا تزيدوا في مهور النّساء على أربعين أوقية من فضّة، فمَن زاد أوقية جعلت الزّيادة في بيت المال. فقالت امرأة: ما ذاك لك. قال: ولِمَ؟ فقالت: لأنّ الله تعالى يقول: (...وآتيتم إحداهنّ قنطارًا...) (النساء: ٢٠) فقال عمر رضي الله عنه: اللّهم عفوًا، كلّ الناس أفقه من عمر.

والحقيقة أنّ المغالاة في المهور لها عواقبُ وخيمة، فهي تـؤدِّي لتصعيب الحـلال وتسهيل الحرام والإثقال بالدّيون ووضع العراقيل أمام الإعفاف والإسهام في انتشار العنوسة وتأخّر سن الزّواج للشّباب والفتيات على حدّ سواء، وما ينجم عن ذلك كلّه من مشاكل اجتماعية ونفسية وإنسانية ودينية، وما يستشري في المجتمع من انحلال الأخلاق وانتشار الفساد.

إنّ المهر في تصوّري هو دليلٌ مادي على وجود إرادة في بناء حياة زوجية كريمة بين رجلٍ يحبّ وينفق وزوجة تقدر وتطيع..

وهو إقرارٌ عملي من الرجل بحقّ الزوجة في الانفاق المادي عليها..

وهو اعترافٌ بحقّ الزوجة في أنْ يكفلها زوجها نفسيًّا وماديًّا..

وهو إعلانٌ عن بدء استلامِها من أبيها الذي أكرمها وآمنها، وأنفق عليها لزوج سيكرمها ويشعرها بالأمان، ويدثرها بجوده وعطائه ما استطاع لذلك سبيلًا، وأيّ راحة أكثر من تلك الراحة التي تنتاب الفتاة آنذاك إذا ملأها شعورٌ بانتقالها بين أيدي أمناء كرام.

تأثيثُ البيت:

العريسُ هو المسئول عن إعداد بيتِ الزوجية وتجهيزه بالأثاث المناسب، ولأهل العروس أنْ يتعاونوا مع العريس في تحمّل بعض النفقات، ولكنّه ليس ذلك واجبًا مفروضًا عليهم، وإنما هو إعلانٌ عن حبّهم له وتمسّكهم به وتخفيفًا عنه، وكسبًا لمودّته، فعن علي رضي الله عنه قال: «جهَّز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل (ثوب له وبرٌ كالقطيفة)، وقِرْبَة، ووسادة حَشْوُها إذْخَر (نبات طيِّب الرائحة).

وفي بعض الحالات يدفع العريسُ المهرَ لأهل العروس ليقوموا بتجهيز منزل الزوجية من هذا المهْر، مع ما يضيفونه إليه من مالهم الخاصّ، وبهذا يكون الجهاز مِلْكًا للعروس وحدها، وإنما يستعمله العريس بإذنها. فإذا دفع العريسُ المهرَ للعروس، ثمّ قام بإعداد منزل الزوجية وتأثيثه، فإنّ الجهاز يكون ملْكًا له، فإنِ اشترك كلٌّ من الزوجين في إعداده؛ كانا شريكين في ملكيته على قدْرِ مشاركة كلّ منهما.

وفي بعض المجتمعات، يتّفق الشابّ مع وليّ أمر الفتاة على تأثيث بيت الزوجية بشرط ألّا يدفع لها مهرًا مقابلَ تجهيزه لبيتها، وكأنّه قدّم لها المهر في صورة أثاث وأجهزة للبيت، وفي هذه الحالة يكون أثاث البيت مِلْكًا للفتاة، عِوَضًا عن المهر.

وفي بعض الحالات تقسّم المسئوليات عند الزواج بتوزيع النّفقات على الطرفين، وهذا ليس واجبًا على الفتاة وأهلها، أمّا إنْ تمّ بالتراضي فلا بأس.

قائمةُ الجهاز:

من المُتعارف عليه في بعض المجتمعات أنْ يطلب وليّ أمر العروس من العريس أنْ يوقّع على قائمةٍ بما تمّ تجهيزه في بيته من متاع وأثاث وأجهزة وأدوات، حيث يعدّ هذا الجهاز هو قيمة مهْر العروس الذي لم تقبضه، وهو موجودٌ ببيت الزوجية، ويعتبر ملكًا للزوجة وأمانة عند الزوج ما دامت الحياة الزوجية قائمة.

وقد يكتب بالقائمة تفصيلًا أو إجمالًا كلّ شيء تمّ إحضاره أو يضاف إليه ما لم يتمّ إحضاره أو ما تمّ الوعد به، أو ما أحضرته العروس بالفعل، أو ما يساوي المهر المتّفق عليه بينهما، كلّ ذلك يجبُ الاتّفاق عليه بكلّ شفافية ووضوح مع قدر من التراضي كبير.

ولا يجبُ للعريس أنْ يلوم وليَّ أمر العروس أو يضجر منه وينفر حينما يقدّم له قائمة الجهاز ليوقّع عليها، وإنّما عليه أنْ يدرك أنّ وليّها لا

يطلب شيئًا لنفسه، بل هو بتصرّفه هذا يظنّ أنه يحفظ للفتاة بعضًا من حقوقها، فالأيّام في تقلّب، وليتحلى العريس بحسن الظنّ وسعة الصدر وأنْ يقدّم ما يطيق من ضمانات حتّى تستقرّ القلوب وتستريح النفوس.

فالزّواج عِشرة بين شخصيْن قد تثمر آخرين وقد تطول أبدَ العمر، ولن تستطيع قوّة أنْ تجبر زوجًا أنْ يُبقي في عصمتِه على زوجته التي كرهها من أجل مؤخّر صداق أو قائمة بعض من مفروشات وقليلٍ من أجهزة كهربائية، لن تستطيع قوّة أنْ تحافظ على بيت مُنهار غير متماسك، لا يرغبُ طرفاه أو أحدهما في بقائه قائمًا، وإنْ نجحت القائمة في منع الطّلاق أو تأخيره فلن تنجح في جلْب أيّ صورة من صور السّعادة والاطمئنان والاستقرار والأمان.

تكاليفُ حفلات الخطوبة والعقد والزفاف:

في العادة تكون تكاليف حفلة الخطوبة على أهل العروس، أمّا حفلتي العقد والزفاف فيتكفّل بنفقاتِهما العريس. وحتّى لا تكثر الحفلات قد يقتصر العقد على إقامته في المسجد أو بيت العروس، أو يضمّ العقد والزفاف حفل واحد.

ولكنْ أعرافُ الناس تختلف، وكلّ شيء خاضع للاتفاق والتفاهم.

ثانيًا: المواعيدُ الوقتية:

من المُسْتحسن أنْ يطرح العريس على أهل العروس المواعيد المقترحة للخطوبة والعقد والزّفاف، ويدور حول ذلك حوارٌ معهم للتّشاور

والاستقرار على هذه المواعيد ولو على وجه التّقريب، فذلك أمر يستتبعه القيام بعددٍ من الحسابات والترتيبات ورسم الأدوار والنفقات.

وهناك مِن الناس مَن يفضّل أسلوب الخطوة خطوة، فيتّفق ابتداءً على ميعاد الخطوبة، فلمّا تتمّ وتنقضي يشرعُ في الاتفاق على ميعاد العقد ثمّ ميعاد الزفاف.

الإعرابُ عن المشاعر أثناء فترة الخطوبة:

قد يطول أو يقصر طريقُ الزواج بدءًا من الخطوبة ثمّ العقد وانتهاءً بالزفاف، فلا ضير ألبتة من أنْ يغمر العروسين أثناء هذا الطريق مشاعرُ الحبّ التي تبدو في كلماتٍ رقيقة لا ترخّص فيها، وبسمات بسيطة لا ابتذالَ بها تبعث على الودّ والقرب، كما يتخلّله تبادل الرأي والتعاون في إعدادِ بيت الزوجية السعيد. على أنّ مشاعر الحبّ النبيل قبل عقد الزواج تأنف من اللمسة الحرام والخلوة الحرام، وتظلّ مشاعر الحبّ بين العروسين متّقدة حيّة كعاطفة نقية تعبر عن حياة تقيّة.

ما يترتّب على الخطوبة:

لا يترتّب على الخطوبة أيّة حقوقٍ للخاطب سوى حجز الفتاة المخطوبة له، وإعلان أنّه يحظر على الغير أنْ يتقدّم للزواج منها لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «.... ولا يخطب الرجلُ على خطبة أخيه....».

إنّ الأسلوب الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في تعامل الشابّ مع خطيبته وأهلها يكون بزيارتها في بيت أهلها في وجود محرم وهي ملتزمة بزيّها الشرعي، وأنْ يتحدّثا معًا بما يحقّق الودّ والطمأنينة دونَ خوض في الأسرار، أو كشفٍ للعورات، وأنْ يهديها بعض الهدايا، وأنْ يسأل عنها ويطمئنّ عليها، وأنْ يزور أهلها ويصلهم، وأنْ يقبل دعوة أهلها إلى الطعام.

وهناك قائمةٌ من الممنوعات بين الفتاة وخطيبها كأيّ رجل غريب لأنّها مازالت أجنبية عنه، فلا يحلّ له أنْ يرى منها غيرَ ما أحلّه الله تعالى، ولا يجوز للمخطوبة إبداء زينتها، أو إظهار شيء من جسدها للخاطب، ولا أنْ يجلس معها في خلوةٍ سواء داخل البيت أو خارجه، ولا يحلّ له أنْ يمسّ جسدها، أو أنْ يمسك يدها، لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الطّبراني والبيهقي «لأنْ يطْعنَ في رأس أحدكم بمخيطٍ من حديد خيرٌ له من أنْ يمسَّ امرأة لا تحلّ له». ولكن يحقّ له رؤيتها والتحدّث إليها والخروج معها إلى المطاعم والمحالّ في وجود أحد من محارمها، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلّا مع ذي محْرم»، فمن حقّ المخطوبين التمتّع بقدر من الحوار للتّفاهم وتبادل الآراء، بحيث لا يخرج الحوار عن دائرة الشّرع، وأنْ يخلو من الخضوع بالقول أو ميوعة الكلمات، لقوله تعالى: (....فلا تخضعنّ بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض....) (الأحزاب: ٣٢)، كما لا يجوز أنْ يتدنّى بالكلام الفاحش ذي الإيحاءات الجنسية.

من النّاس مَن يترخّص في علاقاتهم في هذه الفترة ممّا يوقعهم في الحرام، كإباحة دخول الخاطب بيت خطيبته، كأنّه فردٌ من أفراده بمجرّد الخطوبة، واختلائه بها في بيتها أو غيره من الأماكن، وخروجها معه للتنزّه، أو الذهاب إلى بيته، وأنْ يتمّ تبادل الرسائل الغرامية والصّور المكشوفة، وغير ذلك.

مراحلُ الارتباط النفسيّة من الخطوبةِ إلى عقد الزواج:

للخطوبة مراحلُ تمتدّ في حياة كلّ المخطوبين من يوم الرّؤية الأولى إلى أنْ يتمّ العقد، وهي كالتالي:

المرحلةُ الأولى: الجاذبيّة:

تبدأ هذه المرحلة عند الشابّ قبل- أو بعد- استقراره على عروسٍ بعينها، وعند الفتاة قبل- أو بعد- الموافقة على الخاطب. وتتّسم هذه المرحلة بانجذابِ كلّ طرف إلى شخصية الطرف الآخر.

فالذي يجذب الفتاةَ للشّاب هو تديّنه وأمانته وصدقه وحسن أخلاقه وكلماته الرومانسية اللطيفة ومواقفه الرّقيقة الحانية وهداياه المُتعاقبة، وتشجيعها على التحدّث معه، ثمّ إحسان الاستماع إليها، ومجاملتها، والتلطّف معها، ومحاولة تفهّم مشاعرها، والاهتمام بمظهره وأناقته ووسامته ورقّة حديثه، إنّ الذي يجذب الفتاةَ للشّاب هي رجولته، وما تحمله من صفاتٍ وقدرات تمنح الأمان، وتبشّر بحياة هادئة مستقرّة.

إنّ ما يجذب فتاةً لشابّ يختلف من فتاةٍ لأخرى، فالجواذب مختلفة باختلاف الفتيات.

أمّا ما يجذب الشابّ للفتاة هو تديّنها وأنوثتها وجمالها وحياؤها وأدبها وتركيزها على الجوانب المشرقة في حياتِه وحياتها، وأنْ يكون حديثها معه عذبًا خفيفًا شيّقًا جذابًا خال من الخوض في المشكلات التي تواجهها، وتعبيرها عن مشاعرها الإيجابية ليشعر خطيبُها بأنها سهلة الإرضاء والإسعاد، إنّ ما يجذب الشابّ هو بعضُ الصّفات التي تتناسب مع ثقافته وإدراكه وذوقه وتوجّهه.

إنّ ما يجذب شابّ قد لا يجذبُ شابًا آخر، فالجواذب متباينة بتباين الشّباب.

المرحلةُ الثّانية: الشّك:

حينما تتوثّق أواصر العلاقة بين الخطيبين يرغب كلٌّ منهما في معرفة الآخر أكثر فأكثر، وقد يتسلّل إلى داخل كلّ منهما لا إراديًا شعورٌ خفي بالشكّ في صدق وعمق مشاعر الآخر، وهل هذا الارتباط بالفعل صائب أم لا؟

وقد يفشل معظمُ الخاطبين والمخطوبات في إدراك أنّ هذا الإحساس عادي رغم أنّه سلبي، وأنّه لا يعدو أنْ يكون مرحلة من مراحل الخطوبة، وأنّ وجوده يدفع أحد العروسين لأنْ يشعر بأنّ الآخر ليس بالشخص المناسب.

إنّها مرحلة مراجعة أخيرة في مشروع الزّواج، يخفت فيها الإعجاب، وتبرز خلالها العيوب والسّلبيات، ويخيّم عليها تكذيب القلب والشكّ في الآخر، وكأنّها مرحلة اختبار متانة العلاقة وتجذّرها في النفس.

بالنّسبة للشابّ فإنّه يعتقد بأنّه إذا لم يكن واثقًا من اختياره مائة بالمائة فعليه أنْ يتوقف قليلًا، ويعيد النّظرَ في مشروع الخطوبة من أساسه، وفي أحوالٍ نادرة قد يشرع في البحث من جديد على فتاةٍ أخرى تناسبه أكثر أو يسترجع من ذاكرته مَن كان يحبّها بالماضي ويبدأ في عقد المقارنات بين مَن أحبّها سابقًا وخطيبته الحالية والتي من شأنها عرقلة استمرار خطوبته أو تعكير نقائها. إنّه لم يفهم أنّ الحبّ قد يطرأ عليه تذبذبٌ بين ارتفاع وانخفاض من حين لآخر، أو أنه يظنّ أنّه عاجز عن إسعاد خطيبته.

أمّا الفتاة المخطوبة فتشعر خلال هذه الفترة أنّ خطيبها قد تغيّر، فقد كان شديد الارتباط بها كما لو كانت هي كلّ شيء في حياته، وهو الآن بدأ يبتعدُ عنها قليلًا، فأمست لا تستطيع أنْ تفهمه أو تتفهّم دوافعه، لذا ينتابها الخوف وتغزو أفكارها أسئلة كثيرة، مثل:

هل فعلت ما أغضبه؟

ألا يزال يحبّني ويريدني زوجة له؟

هل هناك امرأة أخرى دخلت حياته؟

هل أقوم بالأشياء التي ترضيه؟

لِمَ لمْ يعد يتّصل بي كعادته؟

ماذا أفعل لاستعادة حبّه واهتمامه بي؟

كلّ ذلك يدفع الفتاةَ إلى ملاحقة خطيبها والاتّصال به، وإظهار المزيد من الاهتمام به وحبّها له، وكلّها ردودُ فعلٍ بعيدة عن الصّواب، وستؤدّي إلى نتائج عكسية.

وإنّما على الفتاة إذا شعرت بخفوتِ عواطف خطيبها، وأنّه لم يعدْ يسعى للقائها والحديث معها كما كان يفعل من قبل؛ أنْ تقاوم رغبتَها العارمة في ملاحقته، وأنْ تكفّ عن محاولات معرفة ما الذي حدث له، وأنْ تستفيد من هذه المرحلة كفرصة للتأمّل والتفكير، وأنْ تستشير الخبراء والكبار، وألّا تتسرّع في الحكم على مستقبل مشروع الخطوبة.

المرحلةُ الثّالثة: الملكية:

وفيها يتأكّد كلّ من الشابّ والفتاة أنّ الآخر هو شريك الحياة المناسب، حيث يتنامى لدى كلّ منهما أنّ الطرف الآخر وصل إلى درجة من القرب بحيث صار ملكًا خاصًّا به، وأنه أضحى مقتصرًا عليه وحده، فينفتح قلبُ كلّ منهما للآخر متجاوزًا مرحلة الاختبارات والتساؤلات، وأصبح التفكير منصبًّا على إتمام الزواج.

ولهذه المرحلة سماتٌ وعيوب..

حينما يشعر الشابّ أنّه قد فاز بحب خطيبته وحظيَ بكسب ودّها وتمكّن من قلبها؛ ملأه الاطمئنانُ بأنّها صارت ملكه، واعتقدَ أنّه لا يمكن

أنْ يخسرها أبدًا، فإذا به يشرع في فعل كلّ ما يشعرها بانْطفاء مشاعره فجأة، فتراه يتوقّف عن بذل المزيد من «الجهد» من أجل أنْ يحتلّ المكانة اللائقة عندها فقد احتلّها وانتهى الأمر، وآنَ له أنْ «يستريح» تمامًا، فتراه يقلّل من الرومانسية ويقتصدُ في كلامه ولا يفصحُ كثيرًا عمّا يدور بذهنه، وهذا هو من أكبر أخطاء الرجال في حقّ زوجاتهم.

إنّ الشابّ لا يدرك أنّ اهتمامه بالرّومانسية وتنمية حبّه لخطيبته هو الذي يوقد ارتباطها به، وعليه أنْ يسعى دومًا ليبرهن لها أنّ الخطوبة ليس مشروعًا ناجحًا وفقط، بل إنّه مشروع ناجح ويتصاعد نجاحه يومًا بعد يوم.

أمّا الفتاة فترتكب أخطاءً فادحة إذا اعتقدت أنّ خطيبها قد صار ملكًا لها..

وإذا انتظرت منه أنْ يدرك وحده ما الذي تريده منه..

وإذا رأت أنّه يستطيع استجلاب كلّ ما ترغب فيه وفعل كلّ ما تريده منه، وكأنّه على كلّ شيء قدير!!

وإذا أرادت أنْ تشكّله كما تريد، وأنْ تغيّره كما تشاء..

وإذا أصرّت على أنْ يضعها عريسها على رأس أولويّاته ويجعلها محور حياته، وأنْ تسبق كلًّا من عمله وأصحابه وهواياته وأهله، فقد دخلت حياته فيجب أنْ ينحي جانبًا كلّ ما كان عليه في حياته السابقة من أجلها..

فإذا لم تظفرْ بكلّ ذلك سمحت للإحساس القاتل بالظّلم بأن يقود حياتها.

يجب على الفتاة أنْ تعي تمامًا ما يلي:

– مهْما بلغت علاقتها بخطيبها من القوّة والعمق والشفافية فلن تشعر أنها قادرة على أنْ تملكه، فالرجل يريد أنْ يشعر بالاستقلال، فإذا نسيت ذلك فسينسى أنها أنثى تريد الحبّ والاحترام، فيبدو منه التّجاهل والإعراض والإيذاء والإهمال.

– أنّ الرجلَ لا يقرأ الأفكار، ولا يملك حدسًا يدرك به ما تريده عروسه منه دون أنْ تخبره هي به، فلا يجب أنْ تكتم الفتاه المخطوبة التعبيرَ عمّا تريده من خطيبها على أمل أنْ يكتشف هو ذلك بنفسه، أو أنْ تقوم بالضّغط على مشاعرها بحجّة أنّ كبرياءها يمنعها من التعبير عمّا بداخلها، بل ما ينبغي عليها هو أنْ تعبّر عن احتياجاتها بصراحة، وتطلب منه الدّعم الذي تريد دون تردّد، وبالطّريقة المناسبة، وبالجرعة الملائمة، في إطار أنّها خطيبته وليست زوجته. وأمّا إذا صمتت عن إبداء ما تريد ظنّ هو أنّها ليست بحاجة إليه، وأنّ ما يعطيها إيّاه يكفيها.

– أنّ محاولاتِها المستمرةَ والمتكرّرة لتغيير خطيبها ستدفعه لتغيير قلبه بعيدًا عنها.

– ولأنّ الفتاة إذا حظيت بعريس فإنّها تضعه على رأس أولوياتها، وأهمّ مَن في حياتها، وأنّها تفضّل البقاء معه عن أيّ أمر آخر، فإنها تعتقد أنّه يجب عليه أنْ يكون هو أيضًا كذلك، فإنْ كان كما تريد وإلّا....، لقد

نسيت أنّ الرجل إنسانٌ له اهتمامات وأولويات وطموحات وملكات وقدرات وعادات وقناعات خاصّة به، فإذا نسيت أنّه إنسان فسينسى أنّها إنسانة، وسيتعامل معها أنها ليست بإنسانة، وتلك هي ثالثة الأثافي.

المرحلةُ الرّابعة: الحميمية:

خلالَ هذه المرحلة يرتبط الخطيبان على كافّة الأصعدة بعدّة روابط، منها ما يلي:

١- عاطفيّة تعمق بينهما المودّة والتآلف والثقة.

٢- جسديّة توقد فيهما الرغبة.

٣- عقليّة تجلب الاهتمام والانفتاح والقبول، وتيسّر كشف اللثام عن أسرار الشخصية.

٤- روحيّة توفّر وتنمي الحبّ والتقدير والاحترام.

المرحلةُ الخامسة: الالتزام:

في هذه المرحلة يتوصّل الخطيبان إلى قرارٍ نهائي وقطعي بشأنِ المضيّ قدمًا نحو الزواج، فقد تجسّد بالفعل ما ييسّر لهما على المستوى النفسي المسارعةَ في التحضير للزواج لدخول عشّ الزوجية.

وتجدرُ الإشارة أنّ الفترة من الخطوبة حتّى عقد الزواج ليست محكومة في كلّ الأحوال بهذه المراحل، وبذات الترتيب السابق، كما أنّها غير موقوتة بوقت معين، فبعضها يمرّ سريعًا وبعضها الآخر يمرّ بطيئًا،

فهناك مَن يعبر كلّ هذه المراحل في أقلّ من ساعة، وهناك مَن يحتاج إلى شهور وربّما سنوات حتى يقطعها وينهي مراحلها.

طولُ فترة الخطوبة:

ليس هناك وقتٌ محدّد لطول فترة الخطوبة، ولكن بصفة عامّة إذا ما استوفت هذه الفترة أهدافَها النّفسية من التآلف والتعارف والتفاهم بين الخاطبين وانتهت مراحلها واستكملت أثناءها الاستعدادت المادية التي تلزم للانتقال إلى المرحلة التي تليها؛ تكون عندئذ نهايتها.

ويفضّل ألّا تطول فترة الخطوبة عن ٣ سنوات بحدّ أقصى، وذلك لأنّ الحبّ الذي ينشأ بين الخاطبين هو من النّوع الرومانسي الذي من صفاته أنّه قصير الأجل، لا يتعدى عمره ٣ سنوات في أغلب الأحيان، وقد يصل إلى ٥ سنوات في أحوال نادرة كما سبق الذكر ويلزم أنْ يتطوّر هذا الحبّ الرومانسي إلى نوع جديد من الحبّ وهو حبّ الصّداقة والعشرة الطيبة، وهو صنف مِن الحبّ لا يولد إلّا حينما يدخل الشابّ والفتاة معًا بيت الزوجية ويظللهما سقفُه، ويُغلق عليهما بابُه ويبحرَا معًا عبابَ الحياة المائجة بالصّعوبات والتحديات معًا، فإذا طالت فترة الخطوبة أكثر من ٣ سنوات ولم يجتمع الشابّ والفتاة بعشّ الزوجية خبا الحبّ الرومانسي واختفى، ولم يتحْ لحبّ الصّداقة والعشرة الطيبة المناخُ الذي فيه يولد، فيزحف الجفاء وتتفكّك الروابط وتنشأ المشاكل.

كما لا ينبغي أنْ تكون فترةُ الخطوبة من القصر كبضع أيّام أو أسابيع قليلة بحيث لا يستطيع العروسان أنْ يتآلفا. وقد تحتاج الفتاة بالذات لوقتٍ أطول حتى تألف على عريسها وتطمئنّ نفسيًّا إليه. أمّا الشابّ فلا يكاد يتأثّر سلبًا بقصر فترة الخطوبة، فهو على استعدادٍ أنْ يتعرّف على الفتاة اليوم ويخطبها غدًا ويعقد عليها بعد غدٍ وتزفّ إليه في اليوم الذي يليه.

وكذلك الحال أيضًا إنْ كانت فترةُ الخطوبة طويلة، ولكن كان التقاء الخاطبين أثناءها قليلٌ جدًّا لظروفِ سفر أو غير ذلك، فقلّة الالتقاء تجلب الجفاء وتبعث على الملل.

تعجيلُ العقد:

كثيرٌ من الشباب والفتيات مَن يفضّل تعجيل العقد لأسبابٍ عديدة منها:

- تسهيل التّعارف وتيسير التفاهم بتوفير مجالات التحام أكثر وامتزاج أعمق.

-لمزيد ضمانٍ على أنّ مستقبل الخاطبين كزوجين قد تمّ حسمه إلى درجة كبيرة.

-لكسرِ حالة من رتابةِ وجمود فترة الخطوبة.

-لإتاحة الفرص لممارسات رومانسية أو جنسية أقوى دون الشعور بحرج شرعي، وهذا أخطرُ ما في الموضوع، ففي أحيان عديدة يستبيح أحدُ العروسين

أو كلاهما فعلَ بعض الممارسات الحميميّة أو الجنسية بعد عقد القرآن وقبلَ ليلة الزفاف، هذا إنْ لم يستبيحا ذلك أثناء فترة الخطوبة أو حتّى قبلها.

إنّ الذي يحول بين الخاطبين وبين هذه الممارسات كوْنها حرامًا يغضب الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، أمّا الذي يحول بين العاقدين وبين هذه الممارسات قبل زفافهما هو العرف والفضل والإحسان، هو الجهلُ بالمستقبل وعدم الاطّلاع على الغيب، فهل سيتمّ الزفاف أم لا؟

لا شكّ أنّ إتمام عقد الزواج يسمح للشاب والفتاه بمساحة أرحب للتعارف والجلوس معًا وللخروج معًا، والتنزّه بمفردهما، الأمرُ الذي قد يمهّد لهما طريقًا إلى التمادي في تعبيرات الحبّ الحسيّة وإظهار الرغبة الجنسية وما يصاحبها من أنواع الملامسة وما يعقبها من تقبيل واحتضان وربّما تمتدّ إلى ما هو أكثر من ذلك عمقًا، ومن هنا يفضّل كثيرٌ من الآباء أنْ يتمّ العقد مع الزفاف في ليلةٍ واحدة، أو أنّ الفترة الزمنية بين العقد والزفاف تكون من القصر بحيث لا تسمح بحدوث مثل هذه الأمور.

ولي هنا وقفة..

مِن الطّبيعة السويّة للمرأة أنها تثق فيمَن تحبّه ثقة قد تفوق ثقتها في أمّها وأبيها اللذيْن تولّياها بالرّعاية والعناية والاهتمام منذ ولادتها، وأنّها لا تهب نفسها وتمنح جسدها راضية إلّا لمَن أحبّته وتشعر أنّه يبادلها

الحبّ، فاستسلامها لرجل يعني عندها أنّها تحبّه.

وعلى هذا الوتر يلعبُ الشابّ سيئ النّية، الذي يريد أنْ يوقع بفتاة تحبّه فيقول لها: «إنْ كنتِ بتحبّيني تعالي معي»، «إنتِ مش واثقة فيَّ واللّا إيه»، إنّها بالفعل تحبّه ولذا فهي تثق به ثقة شبه عمياء فتستجيب له، فإذا راودها عن نفسها فسيصعب عليها أثناء غفلتها المعتمة ألّا تستجيب له، وقد يحدث بعد ذلك ما تندم عليه ندمًا يمزّقها وحدها تمزيقًا.

إنّ ما فعلته من ثقةٍ طائشة واستسلام أرعن لبرهانان على أنّها تحبّه من وجهة النظر الأنثوية، أمّا من وجهة النّظر الذّكورية التي لا تعرفها النساء أنّ الشابّ يسهل عليه الحصول على ثقة فتاة بمجرّد بضع كلمات معسولة ومواقف حانية، كما أنّه يطمع جنسيًّا فيمَن تَنقاد إليه وتستسلم له بسهولة، وسيشعر كمْ هي رخيصة أنْ نالها، ولن تزيد في نظره بعد ذلك عن كوْنها خليلة يتلهى بها ومعها وقْتما يشاء، وسيتهرّب بعد قليل منها، فلم تعدْ في نظره العروس اللائقة، فقد حصل منها على مُراده، وآنَ أوانُ إلقائها بعيدًا بجوار القمامة.

إنّ من أبرز عيوب الممارسات الجنسية قبل الزّفاف الاعتياد عليها، وعدم القدرة على الإقلاع عنها، وصعوبة التّقليل منها، فمن طبيعة الإنسان أنّه كلّما وصل إلى مستوى معين في أمر ما سعى في طلب الذي يفوقه ويليه.

كما أنّ الشابّ بالذّات يستطيع أنْ يغطي احتياجاته الجنسية إلى درجةٍ كبيرة بهذه الممارسات والمداعبات فيصبح غيرَ مدفوع لإتمام الزّفاف، ممّا يطيل فترة ما قبل الزفاف، بينما الفتاة بتأثير هذه الممارسات والمداعبات تتطلّع لإتمام الزفاف سريعًا؛ لأنّ هذا الوضع يسبّب لها قلقًا واضطرابًا، فتمسي الفتاة وكأنّها هي المتلهّفة أكثر من الشابّ على إتمام الزفاف، وهل هذا منظر يليق بالفتاة المحترمة؟!!

الممارساتُ الجنسية قبل الزفاف تحوّل المشهد كالتالي: هي متلهّفةٌ على الزفاف، هو غيرُ متعجّل على إتمام الزفاف

أضفْ إلى ذلك أنّ ممارساتِ ما قبل الزّفاف تخفت كثيرًا من بهجة العرس ورونق ليلة الزّفاف، فقد مارسا معًا في الظلّ قريبًا ممّا يحدث في هذه الليلة.

ولأنّ الحياة الزوجية لا بدّ وأنْ يعتريها لحظات ضيق وغضب وعتاب وشجار فقد يعاير الزّوج زوجته بلحظاتِ ضعفها التي أظهرتها أمامه قبل زواجه منها، وأنّها قد انقادت له واستسلمتْ وسلّمت نفسها يعبثُ بها كيف يشاء، وهو موقف غايةٌ في الألم لكلّ مَن هي سوية.

وقد لا تعلم الفتاة أنّه من الممكن أنْ تحمل جنينًا بمجرّد حدوث مداعبات خارجية والتي تنتهي بقذف الرّجل منيّه على السّطح الخارجي للأعضاء التناسلية أو حتّى على ملابس الفتاة الداخلية.

إنّها نهاية تفريط في قيم إسلامية ومبادئ إنسانية، بدأ هذا التفريط بسيطًا تافهًا، وأخذت الشهوة والنّزوة والغفلة والبعدُ عن الله الواحد الأحد تعمّقه وتجذّره، وظلّت تصعد به هاتكة سترًا وراء آخر حتّى صار الوضع متفاقمًا معلومَ النّهاية، أسى وحزن وخزي وألم.

وفي السياق نفسه أرى مِن المفيد استنساخ مع بعض التصرّف والزيادة ما كتبه الدكتور محمّد فتحي في كتابه «مباهج الزواج« تحت عنواني: «المرأة لا تشعر شعور الرجل، وخطرُ الملامسة السطحية»، وهي كالتالي:

«تسهل إثارة الرّجل بسرعة البرق الخاطف إذا سمع من المرأة صوتًا عذبًا أو كلمة خاصّة أو رأى شيئًا من جسدها، وغير ذلك، وهنا قد ينفلت العيار، ولا يستطيع التحكم في نفسه إلّا من كان تقيًّا، بينما تظنّ المرأة البريئة أنّها تستمتع بحبّ عذري بريء.

ولا يخطر ببال المرأة أنّ شعورَ الحبّ اللطيف الذي يحتويها يقابله في الرجل الذي تحبّه شعورٌ جنسي جارف. وهكذا يظنّ كلّ منهما أنّ صاحبه يشعر بما يشعر به، وهذا خطأ في التفكير والاستنتاج؛ لأنّ المرأة لا تشعر بما يشعر به الرجل، ولا تتأثّر بشدّة بما يزلزل كيان الرجل ورزانته وحكمته.

ويزداد الطّين بلّة عندما يظنّ الرّجل أنّ جسم المرأة يشتعل بالرغبة كما اشتعل جسمه بها، ويتوهّم أنّها مثله تريد نشاطًا جنسيًّا خالصًا، فيهمّ بها،

وتتعقد الأمور ويسوء الفهم بعدما تلمح المرأة في الرّجل مظاهرَ التحفّز البدني والتيقّظ العضوي الجنسي، وتراه حيوانًا بهيميًّا في تصرّفاته.

إنّ الفتاة التي يثيرها خطيبها أو مَن عقد عليها إثارة جنسية شديدة كاملة والتي تبلغ بها إلى ذروة لذّة الارتواء (الأورجازم) ولو بدونِ إيلاج لا تصبح كما كانت من قبل، بل تصبح امرأة من نوع جديد، وبالطبع لن تكون عذراءَ بالدّرجة التي كانت عليها قبل هذهً التجربة الجنسية العارمة، ولن تستطيع إعادةَ عقارب الزمن إلى الوراء أبدًا.

إنّها لم تفقد غشاءَ البكارة الذي يثبت أنّها عذراء، ولكنها فقدت براءة العذراء وطهرها ومشاعرها النقيّة الصافية. وإذا لم تتزوّج هذه المرأة بسرعة، أصبحت في مثل موقف الرجل تقريبًا، إذ تحنّ إلى تكرار الملامسات السطحية والعناق المثير وبلوغ ذروة اللذة.

يصفُ «دنلوب» شعورَ هذه المرأة التي فقدت مشاعرَ العذراء ولو ظلّت تحتفظ بغشاء البكارة قائلًا: «إذا أثيرت الفتاة إثارةً عنيفة عارمة تمتّعها وتبلغها ذروة اللذة، فإنّها تكون قد تطوّرت تطوّرًا نفسيًّا كبيرًا، وأصبحت شخصًا جديدًا، وإذا كانت مشاكلها الشخصية سهلة غير معقدة من قبل، فإنّها ستصبح بعد هذه التجربة معقّدة مثل مشاكل الرجال».

«فالمرأةُ التي تستسلم بدون زواج لمداعباتِ الرّجل وملامساته السطحية المثيرة تصبح في موقفٍ سيئ لا تُحسَد عليه، إذ تغدو فريسةً مستسلمة للقوى الجنسية العظيمة التي انطلقت في حياتها، وتغدو

فريسة سهلةً لعددٍ كبير من الذكور، يحاولون باستمرار اللعبَ على هذه الأوتار الحسّاسة في حياتها، ويستغلّون حاجتها إليهم بعد أنْ وقعت فريسة لغرائزها.

أمّا السلوك الذي يسلكه هؤلاء الرجال غالبًا نحو المرأة الغريرة فهو تحميلها وحدها تبعاتِ أعمالها وعواقبَ أفعالها. وحينما تسمح المرأة بملاعبتها جنسيًّا متصوّرة أنها ستنال ما يهنأ به ولو قليلًا باﻟﻬا فإذا بها ينقلب حالُها، فالمرأة لا تعرف غالبًا ما ينتظرها من عواقب وخيمة حين تغامر بالملاعبة الجنسية أو الملامسة السطحية.

يجب أنْ تعرف كلّ فتاة أنّها بمجرد دخولها نطاق المغامرة الجنسية الجديدة لن تستطيع العودة إلى اطمئنانها السّابق، ولا إلى ما كانت عليه من هدوء ودَعَة ومشاعر ساكنة. ويجب أنْ تعرف أنّ الحياة الجنسية الجديدة التي تحاول إقحامَ نفسها فيها بهذا الأسلوب؛ مفعمةٌ بالتعقيد والعقد بدرجة لا تستطيع تقديرها مقدّمًا بطريقة صحيحة.

ويجب أنْ تعرف كلّ فتاة أنّ تيقّظ رغبتها الجنسية يحدُث بتدرّج شديد وتعاقب غير ملحوظ، قد يأخذ أيّامًا أو أسابيع أو شهورًا، فهو يبدأ بتفاصيل خالية من الخطر في نظرها ثمّ يتدرج بخطواتٍ صغيرة وئيدة ثمّ يتطوّر إلى خطوات واسعة حثيثة، وينتهي بأداء فيه متعة عارمة

لا تستطيع فيها كبحَ جماح نفسها ولا التحكّم في ذاتها، ولا تستطيع أنْ تتنبّأ سلفًا باللحظات التي ستفقد فيها قدرتها على التحكم في نفسها.

أيّتها الفتاة، احذري أنْ تؤجّجي نيرانَ غرائزك الجنسية بملامسة أو مداعبة قبل الزفاف، إذ سيتعذّر عليك أنْ تعيدي الى القماقم العفاريت المتمرّدة التي انطلقت من مكامنها، وسيصعب عليك أنْ تتركي رغباتك متّقدة دون إطفاء وإرواء».. انتهت كلمات الدكتور محمد فتحي، ولا تعليق.

فسخُ الخطوبة:

ولأنّ فترة الخطوبة لا تعدو أنْ تكون وعدًا بالزواج بين طرفيْن وليست عقدًا ملزمًا، وأنّها فترةٌ يتمّ اختبار مقدار التّوافق والتفاهم والانسجام والوئام بين العروسين وأهليهما، فإنْ كان هناك توافقٌ وتفاهم وانسجام ووئام أكملَ الخطيبان المشوار، وإنْ كان الأمر غير ذلك لاحَ بالأفق أنّ إنهاء الخطوبة وفسخها هو أفضلُ السبل.

ورغم أنّ فترة الخطوبة هي أمتعُ فترات حياة الإنسان ففي بعض الأحيان تكثر بها المشاكل ويكتنفها الخلافات ويخيّم عليها عدم التفاهم وقلّة الثقة وعدم المقدرة على فهم الطرف الآخر واتّسام شخصيّته بالغموض، ممّا يستجلب أنواعًا من التوتر والتحسّس والتحسّب وسوء التقدير وسوء الظنّ وسوء القول وسوء الفعل.

كلّ ذلك يتسبّب في توتر العلاقة بين الخاطبين توترًا تتصاعد وتيرته مع الأيام، وتفشل محاولات حسم نقاط الخلاف، ولا تجدي التهدئة ولا الصلح، فيتأرجح مشوار الخطوبة بين يوم أبيض فالح يعقبه يومٌ أسود كالح، ثمّ يزداد الوضع قتامة لأحدهما أو كلاهما وتصبح فترات الابتعاد عن الآخر أكثرَ راحة من فترات الاقتراب منه، ويهبّ الضّيق ويحلّ الحزن بمجرد أنْ يجول بالخاطر هيئة الآخر ويتردّد بالأذن صوت الآخر.

... عندئذ،

أمسى فسخُ الخطوبة ضرورة، والفراقُ هو الأولى، وسيغني الله برحمته كلًّا من سعته.

وبالرّغم من أنّ الحياة بين الخاطبين بهذه الصّورة مريرة أليمة فقد لا يجسر أحد الخاطبين أو أفراد الأسرتين على فسخها خوفًا من اهتزاز الوضع الاجتماعي وعمل حسابٍ لكلام الناس، أو الخشية من خسارة ماديّة فادحة يصعب تعويضها، أو عدم الرغبة في التضحية بأعوام ذهبت في خطوبةٍ ذابلة أو أنّ العمر قد زحف وتقلّصت فرص خطوبة جديدة، أو غير ذلك.

ويتساءل أحدُ العروسين- أو كلاهما- في حيرة: هل أكمل مشوار الزواج أم أتحلّل من ارتباطي وأفسخ الخطوبة؟

إن الإجابة على هذا السؤال هي ذات الإجابة على السؤال التالي:

إذا تخيّلت أنّه قد تمّ فسخ الخطوبة الآن، هل ستشعر وكأنّ همًّا ثقيلًا قد انزاح من على صدرك؟ أم سيزداد الغمّ والضيق؟

إذا شعرت أيّها الشاب، أيّتها الفتاة، بأنّ همًّا ثقيلًا قد انزاح مِن على صدرك فبادر، أو بادري، بفسخِ الخطوبة دون أدنى تردّد، فقد بات فسخ الخطوبة هو الأصوب، أمّا إذا شعرت أنّ الغم قد ازداد، وانّ الضيق في اضطراد؛ فاحتفظ بخطيبتك واحتفظي بخطيبك، مع عملٍ ما بالوسْع لرأب الشّروخ والصدوع ورتْقِ الممزق والمقطوع.

إنّ التفريق بين الخاطبين مؤلمٌ ولا شكّ، ولكنّ آلامه لا تمثّل قطرة من حمم آلام فراق الزوج والزّوجة وانْهيار بيتٍ وتشتيت أبناء، ما دام الفراقُ آت آت، فلتأت آلامُه خفيفة سريعة الآن، وبأقلّ الخسائر والجراح بدلًا من أنْ تأتي ثقيلة بطيئة لتهدم بيتًا وتشتّت أطفالًا.

عند فسخ الخطوبة يجب مراعاةُ عدم التجريح وإفشاء الأسرار، والدّخول في التفاصيل، وهتك ستر الخصوصيّات، والحطّ من شأن الآخر، والتلفّظ بما يؤلم، وتجنّب التعالي والكذب وقطع الرحم...

فكما كان بالمعروف الارتباطُ، يكنْ بالمعروف الفراق

الفصلُ الثّاني

عقدُ الزّواج

شارفت فترةُ الخطوبة على الانتهاء، وأوشك فجرُ يوم كتابة عقد الزواج على البزوغ، وستصبح الفتاةُ زوجة، والشابّ زوجًا، مع وقف التنفيذ، وبذا تنتقل العلاقة بينهما إلى طور جديد، تزدادُ فيه الألفة وتتصاعد أثناءه العواطفُ، ويكتمل شراء ما يلزمهما لبيت الزوجية، وأجمل ما فيه أنّهما من المُمكن أنْ يكونا معًا دون حرج شرعي.

ولعقد الـزّواج ركنان أساسيّان يجب توافرهما لصحّته، وهما: الإيجاب والقبول. والإيجاب هو تعبيرُ الطّرف الأول عن رغبته في الزّواج، أمّا القبول فهو موافقة الطرف الآخر على هذا الزواج.

ولذا ينعقد الزّواج بلفظين: أحدُهما يعبّر عن الماضي، والآخر عن المستقبل، فالعريس يقول لوكيل عروسه: زوّجني ابنتك (موكلتك) فلانة، فيقول الولي: زوّجتك إيّاها، أو يقول الولي: زوّجتك ابنتي (موكّلتي) فلانة، فيقول العريس: قبلتُ زواجها.

ولأنّ الإسـلام ديـنٌ عالمي، يراعي كلّ البيئات والأجناس والأحوال، فإنّ العقد ينعقد بأيّة لغة مادام يفهمها كلّ مِن المتعاقدين والشهود. كما أنّ الذي لا يستطيع الكلام يمكنه الكتابة أو حتى التّعبير بالإشارة المفهومة.

وحفاظًا على طرفي العقد (العريس والعروس)، وحرصًا على حقوق كلّ منهما، فقد اشترطت الشّريعة الإسلامية بعض الشروط لصّحة عقد الزواج، هي:

١- وجود وليّ المرأة: وليّ المرأة هو مَن يتولّى شأنها وشان تزويجها، وقد يكون الوالد أو الأخ أو مَن في حكمهما مِن الأقارب من الرجال، ممّن يسعى لمصلحتها ويحرص على سعادتها. قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود: «لا نكاح إلّا بوليّ، وأيّما امرأة تزوّجتْ بغير إذن وليّها فنكاحها باطل، فإنْ لم يكنْ لها وليّ، فالسّلطان وليّ مَن لا ولي له».

ووجودُ الولي إعزازٌ للمرأة، وتقدير لها، وصوْن لحيائها عن مباشرة عقد الزواج بنفسها، وقد تحكِّم المرأة عاطفتها في أمر الزواج بمَن يعرض عليها الرّغبة في الزواج منها، أمّا الولي فإنه يفحص طالب الزواج، ويتحقّق من حاله، ويتأكّد من كفاءته لها، ولذلك فقد رأى بعض الفقهاء أنه يحقّ للولي أنْ ينقضَ عقد الزواج إذا زوّجت المرأة نفسها بغير كفء.

٢- رضا كلّ من الرّجل والمرأة بالزواج والارتباط: لا يصحّ العقد بإكراه العروسين أو أحدِهما على الزواج، ولذا فلا يجوز للوليّ أنْ يُكره الفتاةَ على الزواج، قال صلى الله عليه وسلم في حديث روته الجماعة: «لا

تنكح الأيّم حتى تُستأمر، ولا البكرُ حتّى تُستأذن. قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أنْ تسكتْ».

٣- الإشهادُ على الزواج: تتحقّق الشهادة على العقد برجلين مسلمين عاقلين بالغين يتصفان بالعدالة والأمانة، ولا تجوز شهادة النّساء عند بعض الفقهاء، وعلى الشاهدين أنْ يستمعا إلى كلام العاقدين، ويتحقّقا من صحته.

وفي الشّهادة تكريم للزواج، وتفرقةٌ بين الحلال والحرام، ودفع لمقالات السوء عن هذه الحياة الزّوجية الناشئة، وهذا نوعٌ من توثيق الحقوق وحفظها. أمّا كتابة عقد الزواج وتوثيقه فهذا ممّا استحدث لتأكيد حقوق الزّوجية، حتّى لا ينكر الزوج يومًا زواجه بها ويتنكر لأبنائه منها.

٤- أنْ تكون صيغة العقد مؤبّدة غير مؤقّتة بزمن وغير معلقة على شرط: تأبيد عقد الزواج فيه استقرارُ الحياة الزوجية وديمومتُها، أمّا تأقيتُ العقد فينزع الاستقرارَ ويهدّد الاستمرار، ولهذا فإنّ نكاح المتعة عند جمهور الفقهاء باطل ومحرّمٌ شرعًا لأنّه مؤقّت بزمن معين. كما يشترط في صيغة العقد أنْ تكون مُنجزة غير معلَّقة على شرطٍ يمنع انعقاد العقد، كأن يقول الولي: زوجتك ابنتي، فيقول الآخر: قبلت زواجها إذا تسلّمتُ وظيفتي، فذلك يبطل العقد.

٥- ألّا تكون المرأة مُحرّمة على الرّجل: كأنْ تكون أخته من الرضاعة أو عمّته أو خالته..، إلخ.

معرفةُ الحقوق والواجبات الزوجية:

فرضَ الإسلام لكلٍّ من الزوجين حقوقًا كما فرضَ على كلّ منهما واجبات، وإنّ ما هو حقّ لأحد الأطراف واجبٌ على الطرف الآخر، وما هو واجبٌ على طرف حقٌّ للطرف الآخر.

إنّ منحَ الحقوق والمطالبة بالواجبات يجب أنْ يتمّ في مناخ كلّه احترام وتقدير، ومسامحة حين التّقصير، فمَن ذا الذي يستطيع أنْ يعطي الآخر جميعَ حقوقه في الوقت المناسب وبالجرعة الملائمة كلّ الوقت، وفي ظلّ جميع الظروف؟

تنقسمُ الحقوق الزوجية إلى ثلاثةِ أقسام، هي كالتالي:

أوّلًا: الحقوقُ المتبادَلة بين الزوجين، وأهمّها ما يلي:

١- حسنُ العشرة:

وجبَ على كلّ من الزوجين أنْ يعاشر الآخرَ بالمعروف، فيخلص له في سرّه وعلانيته، ولا يتحدّث معه أو عنه بشيء يؤذيه ويغضبه، ويحاول إدخالَ السرور عليه، وأنْ يدعمه حينما يحتاج، وأنْ يسارع في تلبية احتياجاته والوفاء بالتزاماته، وأنْ يعيش معه في مناخ الاحترام والتقدير والودّ والحبّ والرحمة والسكينة والثقة والرعاية والاهتمام والقبول.

٢- ثبوتُ النسب:

من نتائج الزّواج إنجابُ الأولاد، وأنْ يصير الأزواج والزّوجات آباءً وأمّهات، وأنْ تتحقّق الأنسابُ وتثبت للآباء، وفي ذلك قيمةٌ دينية وإنسانية عميقة الأثر على حياة الإنسان.

٣- التّوريث:

يثبت حقّ التّوارث بين الزّوجين بعد إتمام العقد، فإذا اقتضتْ إرادة الله تعالى أنْ يُتوفّى أحدُ الزّوجين بعد العقد وقبل الزفاف ورثَه الآخر.

٤ الجِماع:

هو احتياجٌ فطري جسدى ونفسي، يصعب للغاية إغفاله وتجاهله. فغريزة حبّ البقاء التي وقرها الله تعالى في نفس الإنسان وكذا كلّ كائن حي ترجمتها شهوتان قويّتان غلّابتان لا قبل للإنسان بدفعهما أو تجاهلهما، هما شهوة البطنِ التي تضمن بقاءَ الإنسان حيًّا طوال فترة حياته التي كتبها الله له، وشهوة الفرج التي تضمن استمرارَ الحياة بعد موت الإنسان بإنجاب أجيال جديدة.

إنّ الجِماع من أوكد الحقوق الزوجية بالنسبة للرجل والمرأة على السواء، درءًا للفتنة وجلبًا لسكون النفس وسببًا لوجود الذرية.

والجِماع بالنّسبة للمرأة أعظمُ عند بعض العلماء من إطعامها، فمن حقّ المرأة أنْ يجامعها زوجُها بقدر حاجتها وقدرته كما يطعمها بقدر حاجتها وقدرته، ليعفّها ويغنيها عن التطلع إلى غيره.

والجِماع أيضًا من أوكد حقوق الرّجل، فيجب على المرأة أنْ تطيع زوجها إذا طلبها للفراش، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيخان: «إذا دعا الرّجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته، فبات غضبانًا عليها، لعنتْها الملائكة حتى تصبح».

فماذا يفعل الأشدّ حاجة للجِماع إذا أعرض عنه الأقلّ حاجة؟ أيرطم رأسه بالأرض أم يتّجه إلى الحرام ليرتوي؟

٥- التّزيّن والتجمّل والاهتمام بالنظافة الشخصية:

تزيّن المرأة يزيدُ من شعورها بأنوثتها وكيانها، فهي تتزيّن لنفسها أولًا، ثمّ لزوجها فتبدو في كلّ يوم له وكأنّها عروس في ليلة زفافها. وإذا تزيّنت الزوجة بنيّة إعفاف نفسها وإعفاف زوجها كانت زينتها عبادةً تتقرّب بها إلى الله تعالى.

كما يجب أنْ يهتمّ الرجل بالظهور في أبهى حالةٍ بجوار زوجته أنيقًا نظيفًا متعطرًا متجملًا، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يتطيّب لزوجته كما كانت تتطيّب له مرددًا الآية الكريمة: (...ولهنّ مثلُ الذي عليهنّ بالمعروف...) (البقرة: 228).

ولأنّ النظافة من الإيمان كانت النّظافة بصفة عامّة، والشخصيّة بصفة خاصّة؛ واجبًا تقع مسئوليتُه على الشخص نفسه.

فالنظافة الشخصية لا تمسّ صاحبها فقط، ولكن يعمّ أثرها على جميع المحيطين به، فلا يتصوّر مطلقًا أنْ يتقارب الزوجان ويتلامسان جسديًّا ومِن أحدهما تنبعث رائحةٌ تثير اشمئزاز الطّرف الآخر وتنفّره من مجالسته والقرب منه واحتضانه وتقبيله وتجنّب مضاجعته أو الاضطرار إليها على سبيل تلبية حاجة أو تأدية واجب.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمشّط شعره ويتطيّب ويتسوّك ويغتسل، وعندما شاهد صلى الله عليه وسلم رجلًا أشعث الشعر نهاه وأمَرَه بتهذيب شعْره، ووصفَ الرأسَ التي تكون على هذه الحالة وكأنّها رأس شيطان.

وقد دخل على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رجلٌ أشعث أغبر، ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا (أيْ خلّصني منه) يا أميرَ المؤمنين، فاستشف عمر (رضي الله عنه) سبب كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الرجلَ ليستحمّ ويؤخَذ من شعْر رأسه ويقلّم أظافره، فلمّا عاد أمره أنْ يقتربَ من زوجته، فلم تعرفه من الوهْلة الأولى واستغربته ونفرتْ منه، ثمّ بعد ذلك تعرّفت عليه واستراحت لهيئته الجديدة وقبلتْ به ورجعت عن دعواها بطلب فراقها عنه، فقال عمر: «وهكذا فاصنعوا لهنّ، فوالله إنهنّ ليحببن أنْ تتزيّنوا لهنّ كما تحبّون أنْ يتزيّنّ لكم».

إنذ تنفيذ برنامج النظافة الشخصية يجب أنْ يكون دائمًا وليس قاصرًا على أيام معينة أو مناسبات خاصّة أو ظروف قاهرة أو مواقف عابرة أو مرهونًا بالحالة المزاجية، إنما هي ثقافة تمارَس وتترجم إلى واقع دوري روتيني.

وتشتمل مفرداتُ النظافة الشخصية للرجل والمرأة على الاستحمام الدوري المنتظم وحين الحاجة، والاستنجاء، واتّباع سنن الفطرة من حفّ الشارب ونتف الإبط وحلق العانة وتقليم الأظافر، فسننُ الفطرة كلّها ترنو إلى النظافة الشخصية، فقد روى «أبو هريرة» رضي الله عنه في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «الفطرة خمس: الختان والاستحداد، ونتف الإبط وقصّ الشارب وتقليم الأظافر»، وكذلك الاهتمام بغسل اليدين قبل وبعدَ الأكل وغسل الأسنان قبل وبعدَ تناول الطّعام، والتسوّك بالسواك، والتطيّب بالعطور، واستخدام مستحضرات التجميل الحديثة التي تجعل البشرةَ نضرةً نظيفة مثل مزيلات العرق ومزيلات الرّؤوس السوداء...، إلخ.

ثانيًا: حقوقُ الزوجة:

للزّوجة حقوقٌ على زوجها يلزمه الوفاءُ بها، ولا يجوز له التقصير في أدائها ما دام عليها قادر، وأهمّ هذه الحقوق ما يلي:

١- الإنفاق عليها:

جعلَ الله عز وجل المرأة بموجب الشّريعة الإسلامية الغراء مكفولةَ النفقة من زوجها، فلا تتحمّل من نفقات بيتها شيئًا، حتى لو كانت ميسورةَ الحال وفي غير حاجةٍ إلى نفقة، فقد أوجبت الشريعة على الرّجل توفيرَ الطّعام والشراب والمسكن والملبس المناسب لزوجته بلا تقطير ولا إسراف، فقال تعالى: (لينفق ذو سعةٍ من سعته ومَن قدر عليه

رزقه فلينفق ممّا آتاه الله لا يكلف الله نفسًا إلّا ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسرًا) (الطلاق: ٧).

إنّ الرجل مُناطٌ به جلبُ الرزق بالسّعي الحلال والعمل الشريف خارج بيته مهْما كان شاقًّا، ثمّ الإنفاق على أهله وأولاده ممّا يتكسّبه بكلّ أريحية، إنّه يتكسب بصعوبة ولكنّه ينفق ما اكتسبه على أهل بيته بسهولة، وهذا عكس ما هو مُنتظر، فما يتمّ تكسّبه بصعوبة يتمّ إنفاقه أيضًا بصعوبة، ولكنّ الله الرّحمن الرحيم وقَرَ في نفس الرجل السويّ أنّه مهما كان العمل شاقًّا وجلب الرزق مضنيًا فإنّه ينفق على زوجته وأولاده بمنتهى اليُسر والرضا، حتّى يستقر البيت وتستمر الحياة.

والمرأة تأخذ من مال زوجها بسهولة ولكنّها تنفق بتدبير وصعوبة، وهذا عكس ما تعارف عليه الناس من منطق، فما يأتي بسهولة يذهب بسهولة، فاقتضت حكمة الله تعالى أنّ ما تأخذه المرأة السوية بسهولة تنفقه بصعوبة حتّى تمضي الحياة بالبيت مستقرّة محفوظة مستمرة.

لقد وقرَ الله الرحمن الرحيم في نفس المرأة إكرامًا لها سهولةَ أخذ المال من زوجها حتى لا تضطرّ إلى السعي خارج البيت والاحتكاك بمَن هُم خارجه باحثة عن قوتها، فتنال نصيبًا من التّعب والإجهاد، فتعود مكدودةً متعبة إلى بيتها فتقصّر رغمًا عنها في وظائفها الأساسية كزوجةٍ

لرجل وأمٍّ لصغار وملكةٍ لمنزل، وهي مهامّ جليلة عظيمة يصعب على غيرها القيام بها.

وللزّوجة أنْ تأخذ من مال زوجها – من غير إذنه- ما يكْفيها، إذا قصّر في الإنفاق عليها وعلى أولادها بشرط ألّا تُزيد ما تأخذه عن حدّ الكفاية. ففي الصّحيحين أنّ السيدة هند بنت عتبة – رضي الله عنها- سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلة: «يا رسول الله، إنّ أبا سفيان (زوجها) رجلٌ شحيح، وليس يُعطيني ما يكفيني وولدي إلّا ما أخذتُ منه وهو لا يعلم، فقال صلى الله عليه وسلم: خذي ما يكْفيك وولدك بالمعروف» (متفق عليه).

إنّ إنفاق الرّجل على زوجته ليس تفضّلًا منه ومِنّة، إنْ شاء أعطاها وإنْ شاء منعها، ولكنها فريضةٌ عليه، ولازمة من لوازم قوامته، ودعامةٌ أساسية من دعائم رجولته، وتعبير صادق لطبيعتة النفسية كرجل.

ويُحمَد للمرأة إنْ كان عندها فضلُ مال من إرثٍ أو عمل مهني معاونةُ زوجها في حال ضعف موارده أو كثرة متطلّبات أسرته، حتى تحقّق للأسرة السّعة وبحبوحة العيش. ويزداد ندب المرأة للإنفاق في حالة عجزِ الزّوج عن التكسّب، والمرأة بذلك تحقّق فضيلتين، فضيلة صلة القربى إلى جانب فضيلة البذل في سبيل الله.

ويجدرُ أنْ نشير إلى أنّ خروجَ المرأة للعمل يترتّب عليه استقطاعات من الوقت والجهد والأعصاب الذي مِن المفترض بذلهم لزوجها وأولادها وبيتها كما يؤدّي إلى زيادة في النفقات لشراء ملابس إضافيّة وأطعمة جاهزة واستضافة الأطفال بالحضانات ومصاريف المواصلات والتّنقلات وغير ذلك، ممّا يضيف على الزوج أعباءَ نفقات جديدة، فأمسى من الضروري على الزّوجة العاملة أنْ تساهم بجزءٍ من راتبها- قلّ أو أكثر- للمساهمة في تخفيف أثر هذه النفقات الزّائدة المرهقة.

كما يجب أنْ تحذرَ المرأة من أنْ تَمنَّ على زوجها مشاركتَها له في الإنفاق على بيتها، أو أنْ تستغلّ مالها في فرض أمورٍ معيّنة عليه، فذلك إساءة بليغة له كرجلٍ قد لا ينساها بسهولة، وقد تدفعه هذه المنّة دفعًا لتنْغيص عيشها وتكدير صفْوها، وعند تفاقم الأوضاع قد ينهي حياته معها.

٢- الاستقرارُ في البيت:

إن البيت هو مملكة المرأة التي تجد فيه نفسها، وإنّ استقرارها فيه يتناغم مع فطرتها التي تؤزّها لتجعل بيتها الذي يضمّ زوجها وأولادها يتربّع على قمّة أولوياتها واهتماماتها. ولقد أقرّ الإسلام للمرأة الاستقرارَ في البيت بإشارته الرّقيقة في قول المولى جلّ وعلا: (وقرنَ في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى.....) (الأحزاب: ٣٣).

إنّ القيام بشئون البيت وطلباتِ الزوج والأولاد عملٌ كما يعلم الناس شاقّ لا ينتهي، تزرع فيه المرأة لأسرتِها راحةَ الحاضر ولأمّتها عظمة الغد، وتحتضنُ فيه الأطفال، أغلى كنز على وجْه الأرض، ويا لها من مهمّة جليلة بعيدة الأثر. إنّ استقرار الزّوجة في بيتها يتيح لها تأدية هذا الدّور الحيوي بسهولة أكثر، وبكفاءة أعلى، في أغلب الحالات.

لم تكنِ المرأة يومًا في ظلّ الإسلام دفينة بيتها كسقطِ متاع كما يروّج البعض، وهي أيضًا لم تكنْ منطلقة على وجهها بلا حدود أو قيود كما يخطّط لها اليوم ويُراد.

إنّ للمرأة في ظلّ الإسلام أدوارًا كبيرة إلى جانب الرجل، ووظائف عديدة في مستوى وظائف الرّجل أهمية وخطورة، والشّواهد التاريخية التي تؤيد ذلك أكثر من أنْ تحصى.

إنّ هذا الدين لم يَحْرم المرأة من أنْ تزاول العمل، بل أباحَه لها وفق شروط وضوابط، حفظت لها كرامتها ومكانتها، وساندتها في تنمية أمومتها وإنسانيتها، وعضّدت من دورها في مجتمعها كمزارعة وصانعة ومعلّمة وطبيبة وعالمة وداعية، و....، و....، و......، وفي ذات الوقت صانت الأمّة والمجتمع ممّن تسوّل لها نفسها إيذاءَ الآخرين بتبرّج سافر أو تحرّر فاجر.

ثالثًا: حقوق الزّوج:

وكما أنّ للمرأة حقوقًا على زوجها، فإنّ له حقوقًا عليها. وقد سألت السيدة عائشة - رضي الله عنها- رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه الحاكم والبزّار فقالت: «أيّ الناس أعظم حقًّا على المرأة؟ قال: زوجها، فقالت: فأيّ الناس أعظم حقًّا على الرجل؟ قال: أمّه».

ومن حقوق الزّوج الواجبة على الزوجة ما يلي:

١- الطّاعة:

أوجب الإسلامُ على المرأة طاعة زوجها، ما لم يأمرها بمعصية الله تعالى، وفي مقابل ذلك أعدّ الله تعالى لها الجنة، ويا لها من مكافأة لا تُدانيها مكافأة، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد والطّبراني: «إذا صلّت المرأةُ خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي من أيّ أبواب الجنة شئت». فطاعةُ الزوجة لزوجها هو الباب الذي تلجُ منه المرأة إلى مرضاة ربّها سبحانه وتعالى ونيل جنته، وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا في حديث رواه ابن ماجه: «أيّما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة».

إنّ وزن طاعة الزّوج عند الله تعالى ثقيل، فوزنُها يعدل الجهادَ في سبيل الله والاستشهاد زودًا عن الدّين، فقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما- في الحديث الذي رواه البزّار والطبراني أنّه قال: جاءت امرأةٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسولَ الله، أنا وافدة النساء

إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإنْ يصيبوا أجروا، وإنْ قتلوا كانوا أحياءً عند ربهم يرزقون، ونحن - معشر النّساء- نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «أبلغي مَن لقيت من النساء أنّ طاعة الزوج، واعترافًا بحقّه يعدل ذلك، وقليلٌ منكنّ مَن يفعله».

وحتّى يعين الزوج زوجته على طاعته يجب أنْ يشعرها بدفء الأمان وروعة الاطمئنان وجَمال الرومانسية وبقيمتها الغالية وأهميّتها لديه، فالمرأة تنقاد لِمَن تحبّه وتشعر بجواره بالأمان والاطمئنان، ويسهل عليها كثيرًا طاعته، والاستمتاع بتبعيّتها له. فإذا أراد الرجل من زوجته طاعة فعليه أولًا أنْ يمنحها حبّه واهتمامه ورعايته وكرمَه، وأنْ يسبغ عليها شعورًا بالأمان.

٢- القوامة:

الأسرة ككيانٍ لا بدّ له من قائد، ولا بدّ للقائد من قوامة، ولا بدّ للقوامة من تبعات، ولا بدّ للتّبعات من التزام بالتكاليف المادية والرعاية النفسية. وإذا ما أخذنا في الاعتبار صفات الرجل الفطرية الغالبة من قدرته على تحمّل مشاقّ العمل خارج البيت وضبط العاطفة والحزم والحسم والتّخطيط والنظرة المنطقية وميله للعطاء المادي

وجرأته وقدرته على التصدي للمشاكل وأسلوبه في اتّخاذ القرار ونظرته المستقبلية، وإذا ما أضفنا نقيضَ ذلك بالمرأة من صفات يغلب عليها أنها ذات طبيعة مزاجيّة متقلبة وعاطفة جيّاشة وتبعية فطرية لزوجها الذي يحبّها وميلها للإنفاق عليها وضعفها ورقّتها وطريقتها في تكوين الرأي ونظرتها الآنيّة، استطعنا أنْ نقرّر وجوب أنْ تكون القوامة وبلا تردّد للرجل دون المرأة. ولقد حسم القرآن الكريم قضيّة القوامة في قوله سبحانه وتعالى: (الرّجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم....) (النساء: ٣٤).

ليس في هذا تقليلٌ من شأن المرأة، ولكن فيه مراعاةٌ لنفسيتها وتقديرٌ لطبيعتها من ناحية، ولاتّساقها تمامًا مع طبيعتها النفسية هي وطبيعة الرجل النفسية أيضًا من ناحية أخرى.

إنّها قوامة لا تعني استعلاءً على المرأة ولا إلغاءً لدورها وقيمتها، هي قوامة مسئولة، قوامة سيحاسب عليها الرجل يوم يقف أمام ربّه، ويا لها من وقفة، قوامة إذا ما انتفت قدرة الرجل عليها، كأنْ يكون سفيهًا أو ضعيفًا ينتفي منه القيام بها.

٣- حقّ الاستئذان:

ويجب على المرأة أنْ تستأذن زوجها عند الخروج من بيتها، وعندما تصوم متطوّعة في غير الفريضة، ولا يجوز لها أنْ تأذن لأحدٍ بالدخول إلى بيت زوجها إلّا بإذنه، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتّفق عليه:

«لا يحلّ لامرأة أنْ تصوم (صيام نفل وليس صيام فريضة) وزوجها شاهد (حاضر) إلّا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلّا بإذنه». وفي حديث رواه البيهقي والطبراني عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما أنّهما قالا: أتتِ امرأة من خثعم إلى الرّسول صلى الله عليه وسلم فقالت: إني امرأة أيِّم (لا زوج لي)، وأريد أنْ أتزوّج، فما حقّ الزّوج؟ قال صلى الله عليه وسلم: إنّ حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودَها وهي على ظهر بعير لا تمنعه، ومن حقّه ألّا تعطي شيئًا من بيته إلّا بإذنه، فإن فعلتْ كان الوزرُ عليها والأجرُ له، ومن حقّه ألّا تصوم تطوّعًا إلّا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يُتقبَّل منها، وإنْ خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتْها الملائكة حتّى ترجع إلى بيته، أو أنْ تتوب».

ولا يعني استئذانُ الزوجة من زوجها نوعًا من الإذلال لها، بل هو دليلٌ على تكريمها وصوْنها واحترامها لزوجها، فالاستئذان خلقُ الكرام، ومن لوازم مَن يُصان، وفيه تأصيل أنّ للمرأة كبيرًا يرعاها ويهتمّ بها ويُرجع إليه في أمورها، وكمْ من بلايا مُفْجعة تحدث للمرأة عندما تحرم من راعٍ لها، وكمْ من راحة وخيرٍ عندما يكون للمرأة كبير يحبّها ويحفظها ويحيطها بحمايته ورعايته.

٤- المحافظةُ على عرضه وماله:

يجب على المرأة أنْ تحافظ على عرضها، وأنْ تصونه من مواطن الشّبهات، كما يجب عليها أنْ تحفظ مالَ زوجها للإنفاق منه في مصارفه الشّرعية بتدبير وتنظيم، فحُسن التدبير نصف المعيشة، إنّ ذلك اعتراف منها بجهده الذي يبذله وتقديرٌ منها لسعْيه الذي يتعبه ويضنيه، فتحظى منه بالمكانة اللائقة بها، ويزداد بذله ويكثر عطاؤه.

كما أنّ حسن تصرّف المرأة في مالِ زوجها يعود عليها- وعليه- بالأجر، فعنْ عائشة - رضي الله عنها- قالت: «إذا أنفقتِ المرأة من طعام بيتها غير مُفسدة كان لها أجرُها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسبَ». (رواه مسلم).

٥- القيامُ بخدمته:

تقوم المرأة بخدمة زوجها وبيتها وأولادها وهي راضية مجبورة، فالبيت هو ميدان المرأة الأساسي، وخدمةُ الزوج والأبناء عبادةٌ تبتغي بها المرأة رضا الله سبحانه وتعالى، وليس في ذلك دونية للمرأة كما يصوّرها أعداء المرأة، فزوجُها يعمل ويكدّ ليوفّر لها ولأسرته سبلَ العيش الكريم، أي أنه يقوم على خدمتها ولكنْ بطريقة مختلفة، وهكذا تتكامل الأدوار وتتوزّع؛ لتستمرّ الحياة.

وتنقل لنا السيرةُ النبوية العطرة وصيّةَ الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته الحبيبة فاطمة رضي الله عنها في حديثٍ شريف رواه الشيخان عن

علي رضي الله عنه قال لابن أعبد: ألا أحدّثك عنّي وعن فاطمة رضي الله عنها بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت من أحبّ أهله إليه وكانت عندي؟ قلت: بلى. قال: إنّها جرت (استخدمت) بالرّحى (آلة بدائية من الحجر تستخدم لطحْن الحبوب) حتّى أثّرت في يدها، واستقت بالقِربة حتّى أثّرت في نحرها (أعلى الصدر)، وكنستِ البيت حتّى اغبرّت ثيابها. فأتي النبيَ صلى الله عليه وسلم خدمٌ فقلت: لو أتيتِ أباك فسألته خادمًا (طلبت منه أنْ يعطيك خادمًا). فأتته، فوجدت عنده حداثًا (رجالًا يتحدّثون)، فرجعت، فأتاها صلى الله عليه وسلم من الغدِ فقال: ما كان حاجتُك؟ فسكتت، فقلت: أنا أحدّثك يا رسولَ الله، جرّت بالرحى حتّى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتّى أثرت في نحرها، وكنست البيت حتّى اغبرّت ثيابها، فلمّا أنْ جاءك الخدم أمرتُها أنْ تأتيك فتستخدمك خادمًا (تطلب منك خادمًا) يقيها حرّ ما هي فيه. قال صلى الله عليه وسلم: اتّقي الله يا فاطمة، وأدّي فريضة ربّك، واعملي عملَ أهلك، وإذا أخذت مضجعَك فسبّحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي ثلاثًا وثلاثين، وكبّري أربعًا وثلاثين فتلك مائة، فهي خيرٌ لك من خادم. قالت: رضيتُ عن الله ورسوله. زاد في رواية «ولم يخدمها» (لم يعطِها خادمًا).

في هذا الحديث الشريف أوصى النّبي صلى الله عليه وسلم ابنته الزّهراء رضي الله عنها بأنْ تعمل عمل أهلِها (أي أنْ تعمل مثلَ باقي النساء) مِن إدارة الرّحى وسقاية الماء وكنس البيت كما كانت تفعل، ولو

كان الخيرُ في غير ذلك لأوصاها به أبوها صلى الله عليه وسلم، ولكن وصيّته هذه تؤكّد حبّه لها، لأنّها بهذا الفعل ستكون ربّة بيت مثالية، وتصبح قدوةً لجميع ربّات البيوت، وزوجة مثالية تؤدّي كلّ ما يرضي زوجها ويسعده.

هذه أهمّ الحقوق والواجبات التي بين الزوجين، وهي حقوق وواجبات لن تؤخذ أو تمنح إلّا عندما يدخل الزوجان بيت الزوجية ساعةَ زفافهما، فالعقد وحده لا يكفي لأخذ ومنح هذه الحقوق والواجبات. وإنّه من الخطأ أنْ يعتقد العريس أنّ حقوقه أصبحت واجبة الأخذ بإتمام العقد فقط، وكذلك العروس أيضًا.

يأخذُ العروسان حقوقَهما الزوجية كاملة ليس عند عقدِ الزّواج؛ ولكنْ عند دخولهما بيتهما في ليلة زفافهما

وفي الختام..

لا أميل كثيرًا إلى استخدام ألفاظِ حقوقٍ وواجبات الزّوجين كركائز ترسم العلاقة بينهما، فما بيْن الزّوجين أكثر بمراحل من مجرّد حقّ وواجب.

إنّ بين الزوجين أسرارًا عميقة دفينة وعوراتٍ جسدية مستباحة وأستارًا مزالة وخصوصيات مكشوفة؛ لا توجد بين اثنين مثلهما أبدًا، فالزّواج مؤسسة أكبر من أنْ تنظّمها وتحافظ عليها فقط بعضٌ من الحقوق

والواجبات. وإنّ البيوت لا يديرها حقّ وواجب وفقط، إنّ البيوت يديرها الفضل بين الزّوجين وليس العدل الذي يكون بين الشّريكين.

... كيف هذا؟

وما العدلُ، وما الفضل؟:

لأنّ العلاقة الزوجية تختلف تمامًا عن أيّة علاقة أخرى فهي أولى بأنْ يمنح كلّ زوج ما عليه من واجبات تجاه الآخر قبل أنْ يطلب منه ما له من حقوق، بل في كثير من الأحيان يكون الأوفق أنْ يمنحه حقوقه بغضّ النظر عن قيام الآخر بما عليه من واجبات.

إنّها طبيعة الحياة الزوجية الفريدة التي لا تبنى على العدل أبدًا، إنّما تبنى على الفضل.

فالعدلُ يتطلّب إنْ أحسن أحدُ الزّوجين فيجب على الآخر أنْ يحسن إليه، وإذا أساء فينبغي أنْ تُردّ عليه إساءته بإساءة مثلها، أي أنّ الإحسان يقابل بإحسان والإساءة تقابل بإساءة.

إنّ العدل يجعله يشتري لها ملابسَ جديدة لأنّها أطاعته وأراحته، وأنْ يمنعها عن زيارة أمّها حينما تعرض عنه وتعصيه، وإنّها تريحه وتطيعه عندما يشملها بكرمه ويلبّي لها طلبها، ثمّ ترفض أنْ تطهو له الطعام أو تغسل له الثّياب لأنه أساء إليها أمام أمّه.

فالتّعامل يكون طبقًا للقول الدّارج «واحدة بواحدة، والبادئ أظلم»، فذاك هو العدل، وهو لا يصلح لاستقرار بيت ولا استمرار زواج.

أمّا الفضل فغيرُ ذلك، وهو إنْ أحسن شريكُ الحياة أو أساء فيجبُ معاملته بالإحسان على كلّ حال، ولا تردّ إساءته بإساءة أبدًا، وإنّما تردّ الإساءة بالمسامحة والتغافر.

إنّ الفضل يدفعه ليشتري لها ملابس جديدة وعدم منعها من الذّهاب إلى أمّها سواءً أطاعته أم عصتْه، وإنّها ستطهو له طعامه وتغسل له ثيابه حتى إذا أساء لها أمام أمّه وأبيه والناس جميعًا،

فذاك هو الفضل، وهو الذي يصلح لاستمرار البيوت واستقرار الحياة ودوام العشرة.

مقابلة الإساءة بالإساءة تجعل الحياة جحيمًا لا يُطاق، وإنّما يجب معاملة الآخرين وأولهم شريك الحياة بالمعروف.

ولنا في شرع الله ما يبرز ذلك ويزكّيه، فالعدل يستلزم القصاص الذي يوفّر للإنسان الأمان خارج البيت (ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب لعلكم تتقون) (البقرة: ١٧٩)، فالسارق مثلًا تقطع يدُه لتحقيق الأمان المجتمعي. ولكن داخل البيت إذا سرق الولد من أبيه أو الزوجة من زوجها أو الأب من ولده لا تقطع يدُ السّارق؛ بل يكون هناك عقابٌ آخر أقلّ وطأة، حتى يخيم على البيوت نوعٌ آخر من الأمان هو الأمان الأسري.

فخارجَ البيت لا بدّ من العدل بقطع يدِ السّارق، أمّا داخل البيت فلا غناء عن الفضل فلا تقطع يدُ مَن يسرق.

... ما أروعَ الشّرع الحنيف وما أبعد رؤاه..

إنّ العدل يقيم الحياةَ خارجَ البيوت، بينما الفضل هو الذي يقيمها داخل البيوت

مفاهيمُ تضيء طريق الزواج الناجح:

كلّ من الشابّ والفتاة في أمسّ الحاجة لمعرفة المفاهيم الصحيحة التي تعينهم على المضي في الطّريق المناسب للزواج الموفق، مفاهيم تيسّر لهما استقراءَ مستقبلهما معًا وإزالة الشبهات وتقليص المفاجآت وتشذيب الأمنيات وضبط الإيقاعات، ومن هذه المفاهيم ما يلي:

(١) رجولةُ الرجل، وأنوثة المرأة:

هناك فارقٌ بين الذكورة والرّجولة، فالذكورة تشير إلى النّوع، وهو متوافر في كلّ المخلوقات النّباتية والحيوانية، أمّا الرجولة فتشير إلى النّوعية والصفات، وهي متوافرة في بعض ذكور الإنسان.

لقد ذكر الله تعالى الذكورةَ عندما تحدّث عن النوع ».. وليس الذكر كالأنثى...« (آل عمران: ٣٦)، »فاستجاب لهم ربّهم أني لا أضيع عملَ عامل منكم من ذكر وأنثى...« (آل عمران: ١٩٥)، »يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...« (الحجرات: ١٣).

ولكنْ حينما ذكر اللهُ تعالى الرجولةَ جعلها في مواضع العطاء في الدّعوة والعبادة والخشية من الله والجهاد في سبيله، فقال تعالى: (وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) (يس: ٢٠)، (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

يخافون يومًا تتقلّب فيه القلوب والأبصار﴾ (النور: ٣٧)، ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَن قضى نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدلوا تبديلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

إنّ الرجولة هي خصائصُ ومميزات إذا اكتسبها الذكرُ أصبح رجلًا يملؤه الجود والكرم والعطف والتقوى والرّحمة والفضل، وإلّا سيظلّ ذكرًا له حوافرُ ترفس وقرونٌ تنطح.

أيّتها الفتاة، اقبلي بالرّجل وليس بالذّكر، اقبلي بالنوعيّة وليس بالنوع فقط

إنّ أثمن ما يملكه الرجلُ السّوي هي رجولته ثمّ أبوّته، وقليلًا ما تسبق الأبوّة الرجولة عند عدد من الرجال الذين يتّسمون بالشخصية العاطفية. فالرجولة عند الرجل ذات مكانة فائقة في نفسه، والتي قد تعلو قيمتُها في أغلب الأحيان عن قيمة الزوجة والأبناء..

... ما الحكمة في ذلك؟

إذا علتْ قيمة الرجولة عند الرّجل على أيّ قيمة أخرى لديه فسيندفع إلى الزّود عن أهله وأبنائه إلى بذل أقصى جهده لخدمتهم والقيام على شئونهم، إلى الإنفاق عليهم وتلبية احتياجاتهم. فشعورُ الرجل برجولته ستظهرُه في أجمل صورة وأفضل أداء؛ ولذلك كان المستفيد الأوّل من وجود وإنماء رجولة الرّجل هي زوجته وأبناءه،

وعلى العكس كانت الزّوجة والأبناء هم الخاسر الأكبر عند خفوتِ وإهدار رجولة الزوج.

والمرأة يجب أنْ تلعب أدوارًا في إنماء رجولة زوجها كطاعتِه في غير معصية لله، وإعطاء كلماته وطلباته وأوامره ونواهيه الثقلَ الواجب، والقيام بخدمته، ومنحه الثقة، والكفّ عن لومه ونقده وتوجيهه ونصحه إلّا إذا طلب منها ذلك، والإعلاء من شأنه أمام الآخرين، والوفاء بحقه الشّرعي في الفراش.

ورغم أهميّة إنماء رجولة الزّوج بالنسبة لزوجته وأبنائه فإنّه كثيرًا ما تنتقص الزوجة من رجولة زوجها بعدم طاعته، والإساءة إليه، والتّقصير في القيام بخدمته، ولا تأخذ كلامه على محملٍ جادّ، وتنتقص من شأنه أمام الآخرين، ويعلو صوتُها عليه، وتقصّر في حقوقه الشرعية وتهين والديه،... إلخ، فمَن فعلت بعضَ أو كلّ ذلك كانت هي الخاسرة الكبرى.

وأيضًا، هناك فارق بين أنوثة اليوم وأنوثة الأمس..

فاليوم أُخرِجَت المرأة من بيتها لتعمل في كافّة ميادين العمل اللائقة بها وغير اللائقة، ودُفِعَت خارج بيتها لترتزقَ وتأكل خبزَها من عرق كدّها كالرجال، ولكنها لم تنسَ في ذات الوقت أنها امرأة مسئولة عن بيتٍ به زوج وأولاد، ويعجّ بالإعباء والواجبات، فاستهلكت خارج البيت كرجل وداخله كامرأة.

ففقدتِ المرأةُ العاملة هدوءَ بالها فورَ عودتها إلى بيتها، بل وظلّت مكدودة متعبة وحملت معها إلى بيتها الهمّ والعرق والرّهق، فبقيتْ طوالَ اليوم في كربٍ وعصبيّة وغضب وتوتر ينعكس على أدائها مع زوجها وأبنائها في صورِ صياح مستمرّ وتذمّر متصل.

مسكينة المرأةُ اليوم، فقد نسيت أنوثتها وهي أروع وأجمل ما فيها شطرًا من اليوم، ثمّ جاهدت لتأووب إلى أروعِ وأجْمل ما فيها الشّطرَ الثاني منه.

أمّا أثمن ما عند المرأة فأنوثتُها وأمومتها، فإذا تسامتِ الأنوثة سترى المرأة مبدعة في بيتها متجمّلة في نفسها مجدّدة في حياتها متفنّنة في إراحة زوجها وإروائه بحسنها ودلالها، ومن هنا كان المستفيد الأكبر من الارتقاء بأنوثة الزوجة هو زوجها.

ولا ترتقي أنوثةُ المرأة إلّا بجوار زوج يدثّرها بالرعاية والاحترام والرومانسية والإكرام، ويمنحها الحبّ والاهتمام، ولا يحمّلها مسئوليات الرّجال وأعباء الرجال، ولا يبخل عليها بالإنفاق ولا بالوفاق، ولا يصدرُ عنه تجريح ولا عقد مقارنات بأخريات، ولا يأتي منه ما يزلزل الأمان ويهزّ الاطمئنان، مثل تهديد بطلاق أو تعدّد زوجات أو كثرة مشاجرات،.... إلخ.

ورغم أنّ ارتقاء أنوثة المرأة ضروريّة لزوجها، فإنّه كثيرًا ما يهدّ الرجل في أنوثة زوجته هدًا بازدرائها وإهانتها، والتّهوين من قيمة ما تصنع، والتهويل من قليل ما تجنح، والدخول بها في دوّامات المنازعات

والمشاجرات، وقلّة الاهتمام بها، والبخل عليها ماديًّا ونفسيًّا، وحرمانها من الحنان الدّفيء والأمان الهنيء بتكرار التّهديد بالطلاق أو تعدد الزوجات حتى لو كان هازلًا غير جادّ، وبتكليفها ما هو فوق طاقتها حتى نسيت أنّها أنثى وتناست أنّ لها زوجًا.

... فذاك الرجل، وتلك الأنثى..

(٢) حماتي، أمّي الجديدة:

قد يكون هناك توجّس من أنْ تشتعل الغيرة بين العروس وحماتها. فالعروس قد تشعر أنّ عريسها قد صار ملكها، وعليه أنْ ينسى قليلًا أو كثيرًا أسرتَه القديمة طالما رزقه الله بأسرة جديدة. والحما قد تعاملُ عروس ابنها وكأنّها خاطفة لفلذة كبدها، وأنّها ستتسبب في ابتعاده عنها.

ولا شكّ أنّ هذه المشاعر السلبية إذا سيطرت على العلاقة بين المرأتين فستكون الحياة أليمة مقيتة، ونهايتها معروفة مقبوحة.

والواقع يسردُ لنا أنّ حداثة عمر العروس وقلّة خبرتها وتصوّراتها القاصرة عن الزواج وطبيعتها الشخصيّة المزعجة قد تتسبّب في إيذاء علاقتها بحماتها منذ أوّل لحظة.

كما يقصّ علينا الواقع أيضًا أنّ هناك بعضَ الحموات يصعب جدًّا التعامل معهن لدرجة تقرب من المستحيل لطبيعتهنّ وثقافتهنّ

وطموحاتهنّ الأليمة. حينئذ أمسى دور زوجة الابن هو الإحسان إلى حماتها والإحسان فقط، إحسانٌ رغم إساءات حماتها المستمرّة لها، إحسان ولو لم تتغيّر الحماة إلى الأفضل بالسّرعة المطلوبة، إحسان ولو تأخّر رضا حماتها عنها سنوات، فالإنسان أسير الإحسان، ولو بعد زمان.

وستتعاقب الأيام وتنقضي الشهورُ وتمضي السنوات، وستعلم هذه السيدة أنّ خيرَ مَن عرفتهم وتعاملت معهم هي زوجةُ ابنها، فأغلب مَن حولها عنها سينفضّ، وإنّ الأمراض ستتكالب عليها وتنقضّ، وستظلّ زوجة الابن البارّة بجوارها لرعايتها والاهتمام بها، هكذا تخبرنا الأيام وتؤكدها الوقائع وتثبتها الأحداث.

وقديمًا قال شاعرٌ حكيم:

ازرع جميلًا ولو في غير موضعه ... فلن يضيع جميل أينما زرع

إنّ الجميل وإنْ طال به الزمان ... فليس يحصده إلّا الـذي زرع

كما ينبئ الواقع أيضًا على أنّ كلّ عروس لن تظلّ عروسًا إلى الأبد، فسيأتي لها اليوم الذي تمسي فيه حماة لها زوجةُ ابن تعيد عليها ما صنعتْه هي في الماضي يوم أنْ كانت زوجة ابن.

أمّا الزوج فهو بمثابة رمّانة الميزان التي تضبط إيقاع العلاقة بين زوجته وأمّه، دوره هو إقامة توازن بين ما يريح الوالدة الكبيرة وما يريح الزّوجة الصغيرة بلا إفراط ولا تفريط، فحقّ أمّه عليه عظيم، وواجبه تجاه زوجته ثقيل.

ولأنّ أيّة مشكلة تتوالد بالبيت كمشكلةِ عدم التعامل الجيد مع الحماة يجب أنْ يعمل الزوجان على حلّها معًا أو يتجاوزاها معًا، أنْ يقفا صفًّا واحدًا بجبهة واحدة أمامها، لا أنْ يقفا في مواجهة بعضهما البعض وكأنّهما جبهتان متقاتلتان.

إنّ الوقوف معًا يعني أنّ قوتهما ستجتمعان معًا وتفكيرهما سيتحدان معًا، وأنّهما سيتحديان هذه المشكلة معًا، وسيحلّان هذه المشكلة معًا أو يتخطّياها معًا، فهي ليست مشكلة طرف دون آخر، أما وقوفهما أمام بعضهما سيجلبُ مشكلة جديدة هي خلافٌ زوجي جديد يضاف إلى المشكلة القديمة، فأمسى عندهما مشكلتان؛ القديمة التي أصبحت متأصّلة ولم تُحل، وتلك الوليدة الجديدة التي تبحث هي الأخرى عن حلّ.

وبناءً على ذلك استلزمت الوقاية من تحوّل العلاقة بين العروس وحماتها عن خطّها الصائب إلى تضافر جهد العروسين معًا، وأنْ يكون على العريس أدوارٌ وعلى العروس أدوار أخرى، منها ما يلي:

على العريس ألّا يفرض على عروسه ويكرّر عليها ضرورة اهتمامها بأمّه وأهمية زيارتها لها، فالعروس كامرأة لا ينبغي أنْ يملى عليها حبّ أحدٍ بالقوة، بل عليه أنْ يدع الأمور تجري بسلاسة بينهما دون تدخّل منه مع بعض التّوجيه الرقيق الرّفيق، وأنْ يحسن إلى حماته ليكون قدوة

لزوجته في معاملة أمّه، وأنْ يزداد قربًا من زوجته كلّما حسن تعاملها مع أمّه، وغير ذلك من الأساليب.

وعلى العروس أنْ تتّخذ من حماتها أمًّا جديدة بصدق، وأنْ تدين لها بالفضل في تربية عريسها ورعايته صغيرًا حتّى أوصلته إلى ما وصل إليه، وأن تنصت إلى نصائحها باهتمام فتأخذ منها المفيد وتدعَ غيره، وأنْ تتعلّم منها طهيَها للطّعام الذي يفضّله عريسها، وأنْ تطمئنّ عليها دومًا، وأن تتواصل معها كثيرًا في المناسبات وفي غيرها.

..ولكن،

كلّ ذلك لن يجدي فتيلًا إذا فعلت العروس ما سبق وأكثر بينما قلبُها ينبض بكره حماتها، فالنّساء لهنّ رادار يتعقّب ويستشعر تطابقَ أفعال الجوارح مع دقّات القلوب، فالتي تريد أنْ تخدع حماتها وتوهمَها أنّها تحبّها وهي على غير ذلك فسينكشف أمرُها إنْ عاجلًا أو آجلًا، والعكس أيضًا صحيح مع الحما التي تريد أنْ ترسم على وجهها علامات حبّ زوجة الابن وهي لا تتقبلها.

وما ينطبق على العروس وحماتها ينطبق أيضًا على العريس وحماته.

(٣) أسمع كلام مين، بابا أم خطيبي (أو من عقد عليَّ):

قد يعطي الشابّ الخاطب أو العاقد لنفسه حقوقًا على عروسه لم يأت بعد الوقت لنيلها، حقوقًا ستأتيه في حينها، حقوقًا حاول قطفها قبل أوانها، منها ما يلي:

- الحقّ في أنْ يملي على خطيبته ما يريد، «لا أحبّ أنْ تصاحبي بعد اليوم صديقتك فلانة»، «لا تزوري خالتك لأنّني لا أستريح لهذه السيدة»..

- حقّ المحاسبة والاستئذان والسّمع والطاعة، «أين كنت أمس عصرًا؟»، «لماذا ذهبتِ إلى جدّتك ولم تستأذني مني؟«

- تكليفها بعددٍ من الأعمال وفي قضاء بعض المصالح، «اذهبي إلى النجّار وأحضريه ليتمّ عمله»، «اشتري أنت السّتائر لأني مشغول شوية»

- محاولة إدارتها وهي مازالت في بيت أبيها، «لماذا لم تستيقظي مبكرًا لتنجزي ما عليك؟، لا تسهري كثيرًا أمام الفضائيات«

- يطلب منها ما يوقعها في مأزق مع أهلها، كأن:

يطلب منها ألّا تخرج مع أهلها لزيارة أقارب لهم أو أداء بعض الواجبات الاجتماعية، «لا تذهبي إلى فرح بنت عمّتك«

أو يكلّفها أنْ تنقل إليهم اعتراضًا على أمر يفعلونه أو كلامًا يقولونه، «قولي لأمّك تخفّ في طلباتها شوية»، «قولي لأبيك أنّ أسلوبه في الحديث معي سيئ«

أو تصلح منهم شئونًا عبر اقتراح أو توجيه، «أنتم فاتحين التليفزيون عمّال على بطّال كده ليه؟«

أو يكلّفها بأنْ تكون وسيطًا بينه وبين أهلها في نقل رغباته وطلباته واعتراضاته، «قولي لأبيك إنّه هو اللّي عليه شراء السجاجيد»..

وقد يكون ما يريده مُتعارضًا مع رغبه أهلها أو على غير ما درجت

عليه وتعوّدت أو لا يتوافق مع نظام بيت أهلها أو اتّفاقًا لا يبرم إلّا مع ولي أمرها مباشرة.

إنْ أردت أيّها الشابّ أنْ تخبر والدَها بأمر فأخبره أنت، وإن كنت تريد أنْ تنقل لأمّها رأيًا فانقله أنت، وإنْ كنت تريد توجيهًا لأمّها فأخبرها أنت، وإنْ كنت تريد إبرام اتّفاق مع أبيها فاتفق معه أنت، ولا تحمّل عروستك بمسئولياتك أنت، فمِن المروءة ألّا يزجّ الشابّ بعروسه لتكون طرفًا في مناقشات وحوارات قد تجلب توتّرات، وبالتالي دفعها لتكون طرفًا في الخلافات التي قد تقع بينه وبين أهلها أو تكليفها بأعمال فوق طاقتها.

- يتصرّف وكأنّه أصبح بينه وبين خطيبته أو مَن عقد عليها أسرارٌ لا ينبغي لأهلها معرفتها والاطّلاع عليها، فيكثرُ من قول «مش لازم حدّ يعرف من أهلك كذا وكذا»، «لا تقولي لأمّك كذا وكذا»

- يتصرّف وكأنّه يوفّر حماية أكثر للفتاة ممّا يوفّرها لها أهلها، وأنّه هو الذي يخاف عليها مِن دونهم، فيأمرها بألّا تذهب إلى أماكنَ معيّنة مع أهلها خوفًا عليها أو ينهاها عن التأخّر في العودة إلى بيتها مساءً، أو يعربُ عن عدم اطمئنانه عليها وهي مع بعض صديقاتها رغم موافقة أهلها على مصاحبتهن أو..، أو..

كلّ ذلك يحمّل الفتاة مسئوليات ليست عليها مطلقًا، ويوقعها في حيرة وحرج كبيرَيْن، أتنفذ رغبة خطيبها أو زوجها العاقد عليها أم رغبة أهلها الذين تعيش بينهم الآن؟

إنّ العريس الذي يفعل ذلك ظلمَ نفسه وظلم مَن يودّ الارتباط بها. إنّه يريد أنْ تكون تحت أمْرته هو، وهي لم تدخلْ بيته ولم ينفق عليها بعد، إنّها مازالت في بيت أبيها تخضع لقوانين أبيها الذي ينفق عليها ويرعاها ويحميها.

إنّ القضية محسومة، فمَن هي في بيته فعليها طاعته في غير معصية، إنّها الان في بيت أبيها سواء كانت مخطوبة أو معقودًا عليها فوجبت عليها طاعة أبيها وأهلها، ويوم أنْ تصبح في بيت زوجها ستجبُ عليها حينئذ طاعته.

(٤) القبولُ ثمّ محاولة التّغيير، تقريبٌ يتبعه تفريق:

إنّ الشابّ حينما يحبّ فتاة فإنّه يعلن عن رضاه بها على ما فيها من حسنات وسيئات، ويريدها أنْ تظلّ كما هي للأبد وألّا تتغير مطلقًا، يريدها أنْ تبقى رشيقة القوام جميلة الخلقة نضرة العافية ما بقيت على قيد الحياة، وهذا أمرٌ مستحيل لتعارضه مع سنن الله عز وجل في هذا الكون، فلا الرشيقة ستظلّ على رشاقتها، ولا الجميلة سيدوم جمالها، ولا الصّحة باقية على حالها.

وإذا بالله الرحمن الرحيم يوقر في قلب المرأة حبّ التزيّن والتحلّي وإنكار ما هو معلوم من عمرها بالضّرورة لتظلّ في عين زوجها عروسًا على الدوام.

وهو يريد أنْ يُعامل بنفس الطريقة أيضًا، يريد أنْ يقبل على ما به من حسنات وسيئات ويستاء من أيّ محاولة لرفضه وتغييره من قبل زوجته.

أمّا المرأة فهي على النّقيض من ذلك، فمنذ أنْ تقدّم لها زوجها خاطبًا إيّاها راغبًا فيها كشريكة لحياته وهي تخطّط لتغييره، وتضع البرامجَ لتطويره، صحيح أنها قبلتْه زوجًا ولكنّها وضعت في ذهنها تغييره، لماذا؟

إنّ الفتاة تحلم بعريسها منذ أنْ كانت طفلة صغيرة تمارس لعبتها المفضّلة «عروسة وعريس»، تحلم بعريسها الممشوق القوام الوسيم الثري الذي سيخطفها على حصانه الأبيض، لقد رسمتْ في خيالها عريسًا مثاليًّا يندرُ وجوده إلّا في الأفلام والمسلسلات والروايات، ولأنّها لا تختارُ عريسها بل هو الذي يختارها، فلن يتقدّم إليها في الغالب مَن كان حلمها والذي رسمته من قَبْل في خيالها، سيتقدّم لها مَن هو البدين أو غير المتأنّق أو مَن هو بائن القصر أو..، أو..، ومع ذلك تقبله على أمل فعل أمر من اثنين:

أوّلُهما: تغييره إنْ كانت صفاته قابلة للتّغيير: فهي تقبل الزّواج بمَن هو بدين واضعة في خططها إخضاعه لبرنامج حمية وتحسيس يقلّل من وزنه وينحف من جسده، وهي تقبل الزواج بغير المهندم وهي تضعُ الخطط لتجعله أنيقًا، وهذا كلّه قبول داخله رفض، أو رفض في ثوب قبول.

ثانيهما: التكيّف عليه إنْ كانت صفاته غير قابلة للتغيير: فهي تعطي لنفسها مبررات لتتزوج بقصير القامة الذي تقدّم لخطبتها، فتحدث نفسها قائلة:

«ابنة خالتي لها زوج قصير وتعيش معه سعيدة»

«زميلتي بالدراسة زوجها أقصر من هذا وهو فنان في إراحتها وإسعادها»

«سأرتدي حذاءً بغير كعب أثناء سيري بجواره»..

ولوْلا هذا ما تزوّجت فتاة أبدًا، لأنّه لن يأتيها العريس المثالي الذي ملك عليها خيالها سنوات طوال، فإذا هي تمنّي نفسها بتغييره أو تقنع نفسها بحالته، وإلّا لن تتزوّج أبدًا، وإذا لم تتزوج الفتيات فلن يتزوّج الشباب، وبالتالي لن يكون هناك زواج بين البشر.

هو اختارَها ويريدها ألّا تتغيّر أبدًا، وهي قبلتْه وفي ذهنها تغييره ما أمكن..

ولماذا تفشل المرأة غالبًا عندما تحاول تغيير زوجها كما تريد؟

قد يرجع فشلُ المرأة في تغيير زوجها إلى سببيْن رئيسيين هُما ما يلي:

١- أنّها تعامله كطفل صغير يحتاج وصيًّا راعيًا يتولّاه بالتوجية والوعظ ويحاصره بالنصحٍ والإرشاد، طفلٌ صغير يجبُ عليه تنفيذُ ما يملى عليه دون مناقشة، وفي هذا سحقٌ للاستقلال الذي يحتاج الرجل لأنْ يشعر به دومًا، ولذلك تقابل محاولاتُها لتغييره بالرفض والغضب، ويكتسب الرّجلُ مظهر العنيد وهو ليس كذلك، إنّما هي حاجته للاستقلال وبغضه للحصار.

٢- أنّها تعامله كما تعامل النّساء عند محاولة تغييرهنّ. فالمرأة إذا نجحت في أمر كرّرته، أمّا إذا فشلت في أمر غيّرته، والأمثلة على ذلك كثيرة، فالمرأة حينما يمتدح زوجها ارتداءها لفستان معيّن تظلّ ترتديه إلى ما شاء الله، وإذا أبدى عدمَ رضاه عن هذا الفستان خلعته وألقته بعيدًا، وإذا أعربَ ولدها عن إعجابه بطعام طهته أو حلوى صنعتها داومتْ على طهي هذا الطعام أو صناعة تلك الحلوى، أمّا إذا أظهر ضيقه من طعامها كفّت عن طهيه وتقديمه.

أمّا الرجل إذا ما نجح في أمر ولقي من ورائه القبول عمدَ إلى تغييره، أمّا إذا فشل فيه فسينزع لتكراره لمَا في طبيعته من إصرار على نيْل الرّضا والقبول، والأمثلة على ذلك عديدة، فالمهندس إذا ما نال ثناءً على مبنى شيّده تراه يبذل جهدًا آخر ليشيّد مبنى آخر بتصميم آخر وشكل آخر حتّى ينال ثناءً آخر، فالنّجاح يدفعه للتغيير، وإذا ما ارتدى الرّجل ملابس ولم يجد الاستحسان المُنتظر من زوجته فستراه يصرّ على ارتدائها حتّى ينال هذا الاستحسان، فيبدو وكأنّه مصرّ على ارتداء ما تضيق به زوجته.

إنّها اعتقدت بطريقتها الأنثوية في التّغيير أنّ رفض الفعل سيجعله يغيّره، ولكنها لا تعرف أنّ قبولَ الفعل هو الذي سيغيّره، وأنّ رفضها للفعل لن يزيده إلّا إصرارًا واستمساكًا به، إنّما يتغير الرّجل إذا شعر بأنّه مقبول، وأنّ فعله مرضي عنه.

الرّجلُ إذا نجح في أمرٍ غيّره، والمرأة إذا نجحت في أمر كرّرته

(٥) طلباتُ الرجل بالنسبة لزوجته تافهة، وطلباتُ المرأة بالنسبة لزوجها تافهة، فلم التّقصير؟

يسّر الله عزّ وجلّ للرجل والمرأة القدرةَ على تلبية طلبات شريك الحياة أيّما تيسير، فتزلّلت أسباب إراحة كلّ منهما للآخر. فطلباتُ الإنسان بالنسبة إلى شريك حياته في الغالب بسيطة للغاية، وقد تصل إلى درجة التّفاهة، وتتّسم بسهولة التنفيذ، كما أنّ طلبات الرجل يغلب عليها أنْ تكون مادية، أمّا طلبات المرأة فيغلب عليها أنْ تكون نفسية.

مثال:

هو: «أنا عايز آكل من يدك على الغداء شوية ملوخية»، طلب مادي.

هي: «أنا نفسي تقول لي إنّك بتحبّني»، طلب نفسي.

هل عمل الزوجة «شويّة ملوخية» لزوجها عملية شاقة متعبة، أم سهلة ميسرة؟ إنّ تناول «الملوخية» عند الزّوج في الغداء هامّ أو ربما يكون هامًّا جدًّا وإعدادها بالنسبة للزوجة من أيْسر الأمور، ولكنّها قد تتجاهلها أو تنشغل عن إعدادها بأي أمر.

وهل قول الزّوج لزوجته «أنا بحبّك» أمر شاقّ مضنٍ، أم يسير بسيط؟ إنه سيأخذ شهيقًا ثمّ أثناء إخراج الزفير سيقول «أنا بحبّك» مع قليل من حرارة في المشاعر، أيشقّ عليه فعل ذلك؟، إنّ سماع الزوجة

لهذه العبارة من زوجها أمرٌ في غاية الأهمية بالنسبة لها، وهو أمر لن يكبد الزوج أدنى عناء، ولكنه قلّما يفعل!!

ولذلك كثيرًا ما تعجب الزّوجة عندما يطلّقها زوجها لأسباب تراها هي تافهة لا تستدعي أبدًا الطّلاق، أو أنّ الزوج يتعجّب على الأسباب التافهة التي تريد زوجته بسببها عدم استكمال رحلة الحياة الزوجية معه.

لا بدّ من أنْ ينظر كلّ مِن الزّوج والزوجة إلى مكانة الطالب وليس إلى تفاهة المطلوب، فالطّالب هو الزوج أو الزوجة ذوو المكانة الغالية النفيسة التي لا تدانيها مكانة، والمطلوب مهما كان فهو بسيط، فكيف لا أعبأ بطلب الغالي النفيس وأتوقّف عند المطلوب البسيط، شوية ملوخية أو قولة «أنا بحبّك»!!

إنّ هذا هو خطأ إبليس اللّعين الذي أرداه إلى سواء الجحيم بعدما نال نقمة الله ولعنته بعصيانه واستكباره، ولله المثلُ الأعلى، فعندما أمر الله تعالى إبليس بالسجود لآدم أبى وعصى، ومنعه استكبارُه من النظر إلى عظمة الآمر وهو الله- عزّ وجلّ- وتوجّه فكره إلى الأمر بالسجود، وجادل في شأن لا يحقّ له مجرّد مناقشته وهو لَمن يسجد. لقد كان خطأه الفادح أنْ ركّز على الأمر ولم يعبأ بالآمر.

(٦) لا واقعيّة التوقّعات:

هناك اختلافاتٌ شاسعة بين تصوّرات معظم الشّباب والفتيات عن الزواج وبين ما يحصلون عليه بالفعل. إنّها تصوّرات غير واقعية حلّقت بهم وبهنّ في آفاق وهمية، وعندما لا يحصلون عليها لبُعدها عن الواقع أصابهم وأصابهنّ خيبة أمل، وبدلًا من ترشيد الشباب والفتيات لهذه التوقّعات والهبوط بها إلى أرض الواقع إذا بالغضب يُصبّ على الطرف الآخر غير المطابق للمواصفات والذي لا يحقّق هذه التوقعات.

والأمثلة على ذلك تملأ صفحاتٍ وصفحات، منها:

- انتظرت منه أنْ يأخذ من أخيها ما تراه حقًّا في إرث تركه لها أبوها بعد وفاته، ولكنه كان أضعفَ من أنْ يفعل ذلك، وحاولت بثّ القوّة فيه بكلّ ما تعرف من وسائل ولكنه لم يستطع فثارت، لقد توسّمت فيه ما ليس فيه، إنّه ضعيف وهذه طبيعتُه التي لن تستطيع تغييرها لمجرّد أنها تريد ذلك.

- انتظرَ منها أنْ تكون منظّمة في شئونها وإدارة بيتها ولكنّها كانت على غير ما يشتهي، وحاول تغييرها لتكون له الزّوجة المنظمة ولكنها لم تستقبل محاولاته باستجابة ترضيه، فانتظر منها ما ليس فيها، فلمّا لم يجدْ ثارت ثائرته، إنّ قدراتها وإمكانياتها وطبيعتها في هذا الشأن بسيطة محدودة.

- انتظرت منه أنْ ينتشلها من بيت أبيها المليء بالتوتر والمشاكل إلى فردوس جنّة بيتها الجديد، فإذا بعيشها معه به بعض التوتّرات والمشاكل كشأن أيّ حياة زوجية عادية، فثارت آلامها وتجدّدت أحزانها.

- انتظر منها أنْ تتطابق مع أمّه في تفانيها في رعاية بيتها واهتمامها بزوجها وأبنائها، انتظر منها أنْ تكون مثل أمّه في طهيها للطعام وذوقها في التّرتيب والنظام، فنسي أنّ زوجته كائن آخر غير أمّه، وأنّه متزوّج بغير أمّه، فلم تكن زوجته نموذجًا كأمّه، وهي ليس من المفترض أنْ تكون كأمّه، فليس هناك أحد يماثل أحدًا حتى لو كانا أشقاء.

الفصلُ الرّابع

الزّفاف

انتهتْ فترة العقد، وآن الأوان ليدخل العروسان عشّ الزوجية في ليلة زفافهما، إنّها أول ليلة تضمّ العروسين معًا، إنّها الحدّ الفاصل بين حياة العزوبة الآفلة والحياة الزوجية المقبلة.

يستقبل العريس والعروس ليلةَ زفافهما بمزيج من مشاعر متضاربة من سعادة وابتهاج ودهشة وترقّب وخوف وقلق وتوتر، يستقبلاها بخلفية حافلة بما سمعاها وما تناقلته الألسنة، وبما أسرّ به الأصدقاء والصّديقات، وبما باحت به بعض المجلّات والكتب وما تبثه الفضائيات من برامج وأفلام وينتشر بالمواقع الإلكترونية من معلومات، ثمّ بالخيال الخاصّ وطبيعة شخصية كلّ منهما في مواجهة الأمور، بعضها إيجابي وبعضها الآخر سلبي، وكلّها تسهم في صياغة تصور لسيناريو تلك الليلة، وما يتخلّلها من مشاعر وما يكتنفها من أحداث.

معلوماتٌ جنسيّة أولية

ولأنّ العريس والعروس مقْبلان على حياة زوجية من أساسياتها قيامهما بالجِماع فقد آنَ الأوان ليستكملا ثقافتهما الجنسية، وأنْ يعلما الكثيرَ حول هذه الثقافة حتى يتمّ الجماع المشبع القائم على الفهم الصحيح والإدراك الواعي.

إنّ الشّعور باللذّة الجنسية يتمّ عبر أعصاب تُستثار بشتى وسائل الاستثارة فترسل إلى المخ إشاراتها الذي يبدأ في التعامل معها لتتصاعد

الاستثارة حتّى يبلغ الإنسان ذروة لذته الجنسية. ولذلك كان الإلمام بالأعصاب المؤثّرة جنسيًّا من الأهمية بمكان.

أعصابُ الإحساس باللذّة الجنسية:

إنّ الأعضاء التناسلية وبعضَ الأماكن الأخرى بالجسم (خاصّة التي بجسم المرأة) ذات حساسية مختلفة الدّرجات بالنسبة إلى اللّمس والاحتكاك والضغط والجذب بسبب تغذيتها بنوعين أساسيّين من ألياف الإحساس العصبية، وهما:

١- كريات الإحساس لمؤثّرات اللمس:

وهي نوع من الألياف الدّقيقة لأعصاب اللمس، وكذلك النهايات الدقيقة لبعض الألياف العصبيّة التي تقع في الطبقة الجلدية السّطحية بمنطقة الأعضاء التناسلية، وبدرجات أقلّ في بعض من مناطق الجسم الأخرى. ولهذه الكريّات دور كبير في استقبال المؤثرات الجنسية من لمس واحتكاك، وفي نقل هذا الإحساس وتعميق الاستجابة له والشّعور باللذة.

٢- كريات باسيني:

وهي كريات عصبيّة توجد داخل الأنسجة والعضلات العميقة، وليس كالسابقة في طبقة الجلد السطحية، وهي تستجيب لمؤثّرات الضغط والشدّ والجذب في الأماكن الموجودة بها ممّا يؤدّي إلى الإحساس باللذة.

الجهازُ التّناسلي في الإنسان

يؤدّي الجهاز التناسلي في كلّ من الرجل والمرأة وظيفةً واحدة هي التكاثر الجنسي، ولا يستطيع أحدُهما القيام بها وحده، فلا بدّ من تكامل

دوريهما في أداء هذه الوظيفة الحيوية.

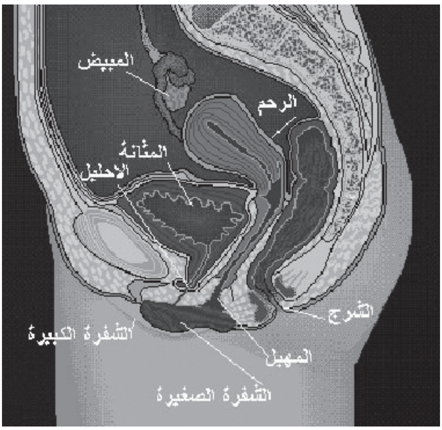
ولأنّهما جهازي التناسل الذكري والأنثوي متكاملان في الأداء فكانَ لا بدّ وأن يكونا مختلفيْن في التركيب، كالتالي:

أوّلًا: الجهاز التناسلي الأنثوي:

يشتمل الجهاز التناسلي للمرأة على أعضاء تناسليّة خارجية وأخرى داخلية، وتمثل الأخيرة القاسم الأكبر منه.

أ) الأعضاء التناسلية الخارجية للمرأة:

هي مجموعة أعضاء تحيط بفتحة المهبل (شكل:١)، وهي تختلف في الحجم والشّكل من امرأةٍ إلى أخرى كما تختلف وجوه الناس عن بعضها البعض، وهي تتكون من:



شكل (1): صورة توضيحية لأعضاء المرأة التناسلية.

١- مرتفع العانة أو مرتفع فينوس:

يقع مرتفع فينوس فوق عظمة العانة أعلى الأعضاء التناسلية من جهة البطن، ويتكوّن في الغالب من كتلةٍ من الأنسجة الدهنية التي ينمو عليها بعد البلوغ شعر العانة، وبه بعض كريات باسيني التي تستجيب للضغط، ولذلك كان الضغط على هذا المرتفع برفق عند المداعبة يستجلب الاستثارة الجنسية وشعورًا ببعض المتعة.

٢- الشفران الكبيران (الخارجيان):

هما ثنيّتان تشبهان الشّفتين على طول الفرج تمتدّان من الأمام والخلف، بهما كمية وافرة من الأنسجة الدّهنية وطبقة رقيقة من العضلات، وتحيطان بباقي أعضاء التناسل الخارجية من الشّفرين الصّغيرين والبظر وفتحة المهبل، وكذا فتحة البول.

والشّفران الكبيران يتّسمان بالنعومة أثناء مرحلة الطّفولة، ولكن بعد البلوغ يغطّيان بشعر يمتدّ من منطقة العانة.

يختلف حجمُ وشكل ولون الشّفرين الكبيرين من امرأةٍ إلى أخرى، كما يتغيّر حجمهما خلال المراحل العمرية المختلفة، ويختلفان في المرأة البدينة عنها في المرأة النحيفة.

وتحتوي الأشفار الكبيرة على قليل من كريّات الإحساس باللمس وكريات باسيني، ولذا كان لمسهما والضّغط عليهما برفق يساعدان جزئيًّا في استثارة المرأة.

٣- الشّفران الصّغيران (الدّاخليان):

هما ثنيّتان من نسيج إسفنجي مرن، يقعان إلى الدّاخل بين الشفرين الكبيرين وعلى التوازي معهما، وبهما تجاويف وأليافُ عصبية، وهما خاليتان من الدّهون ومن الشعر، ويتسمان بغنائهما بالشّعيرات الدّموية الكثيفة، وسطحهما ناعم الملمس، ويتمتّع بالرّطوبة والبلل دومًا.

يتنوّع الشفران الصّغيران من حيث الحجم والشّكل، فهناك أشفار صغيرة ذوات حجم صغير فلا تبدو بوضوح من الخارج بين الشّفرين الكبيرين، وهناك أشفار ذات الحجم كبير يبرز متدليًا بوضوح من بين الشّفرين الكبيرين (شكل: ٢).

ولأنّ الأشفار الصّغيرة لا تحتوي على عضلات ولا أربطة، فلا يمكن تحريكها إراديًّا، فكان من الطّبيعي خاصة كبيرة الحجم منها أنْ تكون متهدلة ومتدلّية.

كما قد تصطبغ حوافّ الأشفار الصّغيرة باللون القاتم، وسبب ذلك في الأساس وراثي، تمامًا مثل لون العين ولون الشعر.

وفي العادة يكون حجم الشّفرين الصّغيرين متماثلًا. ولكن في أحيان قليلة قد يكون أحد الشّفرين أكبر من الآخر (شكل: ٢).

يوضح شكل (٢) ستّة أشكال رئيسة من أشكال الأشفار الصغيرة.

تبدو الأشفار في المجموعة الأولى كما هي على طبيعتِها وفي المجموعة الثانية بعد مباعدة الأشفار الصغيرة بالأصابع لتبدو فتحتا مجرى البول والمهبل.

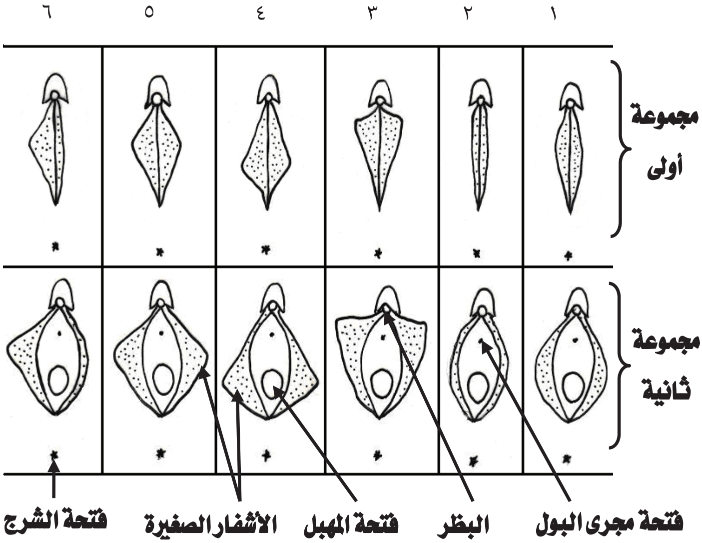
قد تستاء بعض الفتيات من منظر أشفارها الصّغيرة إنْ كانت كبيرة الحجم وبارزة خلال الأشفار الكبيرة، ممّا قد يجعلهنّ يفكّرن في إجراء جراحة تجميلية يبتر بها القسم البارز من الأشفار الصغيرة، الأمر الذي لا ينصح به بسهولة لأنّ الأشفار الصغيرة غنية بالنهايات العصبية الحسيّة التي تلعب دورًا كبيرًا في الإمتاع الجنسي، واستئصال جزء منها بلا ضرورة قد يقلّل من الشّعور بالمتعة الجنسية. كما أنّ الاشفار الصغيرة عندما تكون كبيرة الحجم تجلل القضيب أثناء الجماع وتزيد من مساحة منطقة التّلامس الممتعة جنسيًّا لكلا الزوجين.

والحقيقة التي قد لا تعرفها الفتاة أنّ ما تراه هي غير مستحبّ قد يراه زوجها شيئًا مثيرًا جذابًا.

عندما يكون حجم أحد أو كلا الشّفرين الصغيرين كبيرًا لدرجة تزعج الفتاة، كان يعلق بالملابس الداخلية، فيمكن إجراء جراحة تجميلية.

وتنتشر بالشّفرين الصغيرين كريات الإحساس باللمس وبعض من كريات باسيني، مما يجعلهما مصدرًا مهمًّا للذة الجنسية لدى الغالبية العظمى من النساء.

أثناء الاستثارة الجنسيّة يزداد توارد الدّم إلى تجاويف النسيج الإسفنجي للشّفرين الصغيرين فينتفشان ويتضخّمان ويزداد حجمها وينفردا للخارج فوق الشفرين الكبيرين، فيسهل الإيلاج، كما يزداد دفئهما وسخونتهما.



شكل (2) أشكال الأشفار الصغيرة الرئيسية

٤- البظر:

يحتلّ البظر نقطة الالتقاء بين طرفي الشّفرين الصغيرين من الأمام، وهو عضو عضلي مماثل لقضيب الرجل إلّا أنّه أقلّ منه في الحجم، إذ يبلغ طوله في المتوسط من ٢ إلى ٥ سم ونادرًا ما يتخطّى ال ٥،٧ سم.

وكما اختلف طول البظر بين الإناث اختلف أيضًا شكله. وتعود أسباب الاختلاف إلى عوامل وراثية وهرمونية وبيئية.

عند المداعبة والاستثارة الجنسية يزداد ورود الدّم إلى البظر، فتزداد حساسيته وانتفاخه، ويفرز سائلًا دهنيًّا له رائحة خاصّة. ومع اقتراب الوصول الى ذروة لذة الارتواء (الأورجازم) يبدأ جسم البظر في الانتصاب لما يحويه من نسيج اسفنجي انتصابي (نسيج يزداد حجمه

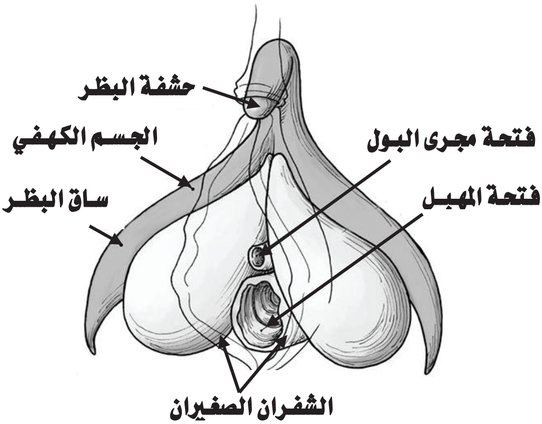
بازدياد ورود الدم إليه)، وهو نسيج ينتشر عميقًا تحت جذور البظر ويوجد بكثافة أقلّ في الشّفرين الصغيرين وعلى أرضية الفرج ويشكّل حلقة حول مدخل المهبل (شكل: ٣).

ورغم انتصاب البظر إلّا أنه لا يتصلب، بل يظلّ محتفظًا بطراوته، وسيعود الى حجمه وشكله الطبيعي بعد فترة قصيرة من الوصول الى ذروة لذة الارتواء.

يتركّز في البظر وبكثافة عالية كريات الإحساس باللمس خاصة في رأس البظر، كما تنتشر به وبكثافة كريات باسيني، ولذلك كان البظر مصدرًا مباشرًا وقويًّا لمتعة المرأة الجنسية، وله دور أساسيّ في استثارتها وتحريك الرغبة الجنسية لديها والوصول بها الى ذروة لذة الارتواء.

٥- فتحة مجرى البول:

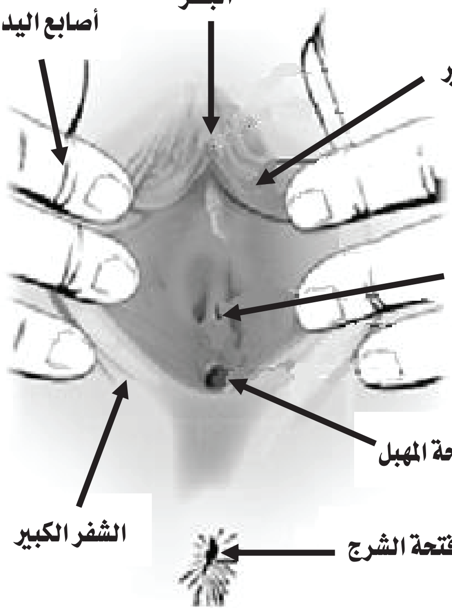
لا تعدّ بالطبع فتحة مجرى البول أحدَ أعضاء الجهاز التناسلي للمرأة، وهي تقع خلف البظر مباشرة، وأمام فتحة المهبل بين الشفرين الصغيرين.



شكل (3) الأجزاء تحت الجد لأعضاء المرأة التناسلية

٦- فتحة المهبل والنسيج المحيط بها:

فتحة المهبل هي فتحة التّزاوج والجماع لدى الأنثى، وهي المدخل إلى المهبل وبقية أعضائها التّناسلية الداخلية، وهي أيضًا المخرج لدم الحيض والإفرازات المهبلية، كما هي المخرج الذي يسلكه الوليد حين ولادته بالطريقة الطبيعية.



شكل (٤): رسم يبين ظهور فتحة المهبل وفتحة مجرى البول بعد المباعدة بين الشفرين الصغيرين بالأصابع

وفتحة المهبل في الوضع الطّبيعي لا تبدو كفتحة واضحة من الخارج حتى لو باعدت المرأة بين فخْذيها (شكل: ١)، ولكن يستلزم لرؤيتها المباعدة بين الأشفار الصغيرة بالأصابع (شكل: ٤)، كما أنّها تنفتح وتظهر حين المداعبة والإثارة الجنسية، وبإدخال العضو الذكري أو الأصبع أو آله طبية أو إيه أداة مماثلة فيها.

وفتحة المهبل تقبل التمدّد والاتساع، ويتحكّم في هذا عضلات إرادية في مدخل الحوض وأنسجة أسفنجيّة تحيط بالفتحة وجهاز عصبي.

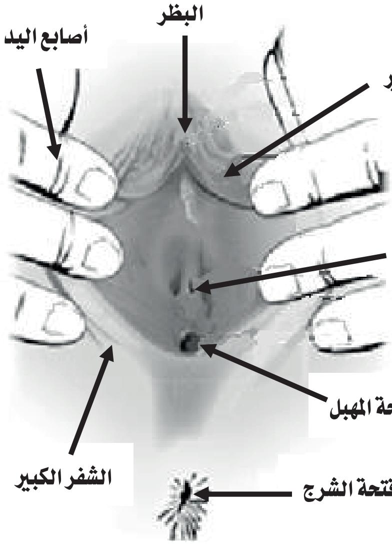
أمّا النسيج المحيط بفتحة المهبل فعبارة عن كتلتين من نسيج أسفنجي انتصابي على كلا جانبي الفتحة، ويتّصل هذا النسيج بقاعدة البظر (شكل:٣)، ويحدث له نوع من الانتفاش عند الإثارة الجنسية والمداعبة نتيجة ورود الدّم إليه، الأمر الذي يساعد على تضييق مدخل المهبل ليزداد الضغط اللّطيف على قضيب الزّوج فيشتد إحساسه باللذة، كما أنّ ضيق مدخل المهبل بسبب هذا الانتفاش يجعل هذه المنطقة وكأنّها تستمسك بالقضيب مما يزيد شعور المرأة أيضًا باللذة.

٧- غشاء البكارة:

يتكوّن غشاء البكارة في جسم الأنثى وهي لا تزال جنينًا في رحم أمّها، وينمو مع نمو الجسم كحال باقي الأعضاء كنسيج رقيق يحرس فتحة المهبل، ويقع داخليًّا على بعد ٢-٣ سنتيميترات من فوّهتها، محاطًا ومحافظًا عليه بالأشفار الكبيرة والصغيرة.

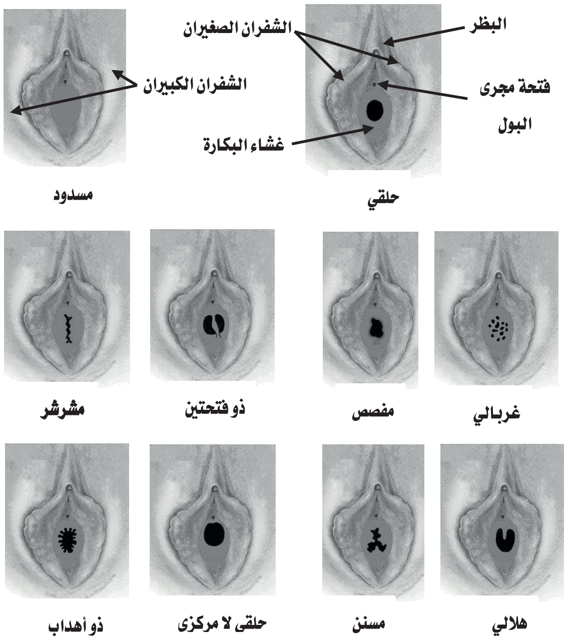
يتكوّن غشاء البكارة من طبقتين من الجلد الرقيق بينهما نسيج رخو، يتغذى ببعض الشعيرات الدّموية الرقيقة والألياف وبعض الأعصاب الرفيعة، ومزود بفتحة أو فتحات تسمح لدم الدورة الشّهرية والإفرازات بالنزوح الى الخارج.

ولفتحات غشاء البكارة أشكالٌ متعددة (شكل ٥)، منها الشكل الهلالي (وهو الاكثر شيوعًا) والدائري والبيضاوي والغربالي والمشرشر وثنائي الفتحة والمسنن، وغير ذلك.



شكل (٤): رسم يبين ظهور فتحة المهبل وفتحة مجرى البول بعد المباعدة بين الشفرين الصغيرين بالأصابع

في بعض الأحيان تولد الفتاة وغشاؤها مسدود تمامًا (شكل ٥)، الأمر الذي يمنع نزول دم الحيض حين بلوغها مسبّبًا آلامًا أسفل البطن نتيجة احتباس هذا الدم، فيلزم تدخلًا جراحيًّا بمعرفة طبيبة (أو طبيب) متخصّصة لإحداث ثقب صغير لتصريف دم الحيض المتراكم.



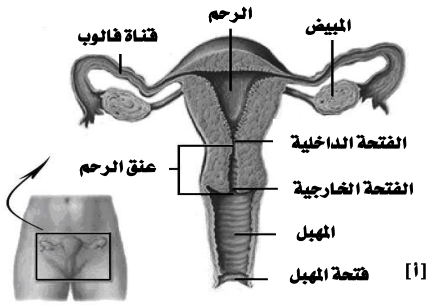
شكل (٥): أشهر أشكال غشاء البكارة

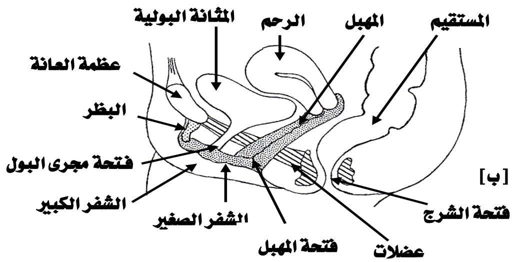
يختلف الغشاء في درجةِ مرونته وسمكه وحجم الفتحة أو الفتحات الموجودة به، فأحيانًا يكون الغشاء مطاطيًّا مرنًا يتمدّد عند الجماع ولا يتمزّق، أو قد يكون متليفًا سميكًا يصعب اختراقه خاصّة إذا كانت الفتاة البكر قد تقدّمت في العمر، ونادرًا ما يحتاج إلى جراحة لفضه.

يساهم غشاء البكارة في حجز البول والفضلات الخارجة من السبيلين من الولوج إلى مهبل المولودة فلا يتيح مجالًا خصبًا لنموّ الجراثيم والميكروبات في هذا المكان، وهو دليل مادي على عذرية الفتاة.

حبَا الله الفتاة من دون الفتى هذا الغشاء، فالله عزّ وجلّ لم يهب الفتى تركيبًا مماثلًا يؤدي ذات الوظيفة وهو تعالى قادر على ذلك لأنّ الله بحكمته أراد أنْ تكون الفتاة هي صمام أمان عفة المجتمع والضابطة لسلوك الرجال المانعة للفسق والفجور، وإنه كما هو معلوم انحراف امرأة واحدة جنسيًّا يسبب انحراف جحافل من الشباب، أمّا انحراف شاب واحد فأثره المفسد محدود على الفتيات.

(ب) الأعضاء التناسلية الداخلية للمرأة (شكل: ٦):





شكل (6): الجهاز التناسلي للمرأة أ) مقطع رأسي أمامي ب) مقطع رأسي جانبي

١- المهبل:

هو أنبوبة عضلية مجوّفة طولها من ١٠ إلى ١٦ سنتيمتر، تصل ما بين فتحة المهبل الخارجية إلى عنق الرحم.

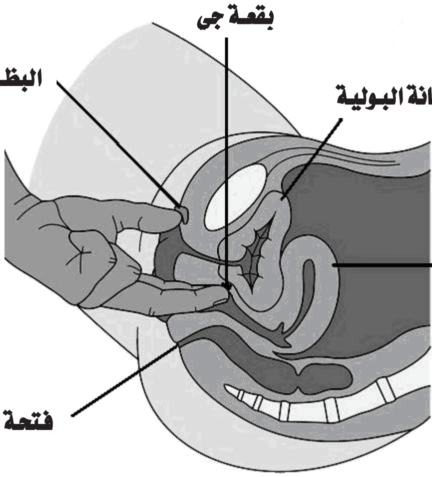
وجدار المهبل متعرّج ليتمتع بقابلية عالية للتمدد واستقبال القضيب والتأقلم عليه أيًّا كان حجمه وطوله عند ولوجه في المهبل أثناء الجماع، كما يتمدّد أيضًا أثناء الولادة ليفسح المجال لخروج الوليد أثناء عملية الوضع. وجدار المهبل الأمامي أقلّ طولًا من جداره الخلفي، كما أنّ قطر جزئه السّفلي أقل منه في جزئه العلوي

وجدار المهبل غنيّ بالأوعية الدموية التي ترتشح منها سوائل أثناء المداعبة والمعاشرة الجنسيّة ممّا يسهل عملية الإيلاج أثناء الجماع. يميل لون هذه السوائل للاصفرار البسيط ولها رائحة مميزة، وتنزل كقطرات ثمّ تزداد كميّتها مع طول المداعبة وعمق المعاشرة، ويشكل نزول هذه السّوائل نقطة أساسية في استجابة المرأة للمداعبة الجنسية. كما تفرز الخلايا المبطنة للمهبل سوائل حامضية تعمل على حماية المهبل من غزو البكتيريا.

وفتحة المهبل ومنطقته السفلية غنية بالأعصاب الحسية، التي تشعر المرأة بالإحساس والمتعة الجنسية وذروة لذة الارتواء.

بقعة جي G. Spot:

هي بقعة غنية بالأعصاب الجنسية العميقة، وتقع في الجدار العلوي بالثلث الأول من المهبل على بعد ٤ الى ٦ سم من فتحة المهبل (شكل: ٧).



شكل (7) موضع بقعة جي
وكيفية استثارته بيد الزوج

لا تتجاوز مساحة هذه البقعة مساحة قطعة عملة معدنية، وملمسها مجعد أشبه بتجاعيد سقف الفك العلوي، وهي تختلف من امرأة إلى أخرى. وهي حساسة للغاية للإثارة نتيجة احتكاك العضو الذّكري بها أثناء حركات الإيلاج المتتابعة، فإثارتها المتكررة كفيلة بتحقيق الذروة الجنسية لدى العديد من النساء.

تتمّ الاستثارة الجنسية عن طريق هذه المنطقة بإدخال الزوج أصبعيه السبابة والوسطى أو أحدهما برفق في فتحة المهبل، بحيث يكون باطن الكفّ للأعلى (شكل: ٧) وإحداث ضغط خفيف إلى متوسط القوّة

نوعًا ما، وتحريك طرف الإصبعين فوق النقطة حركة دائرية أو إلى أعلى وأسفل مع الحرص على ألّا يرفع طرف الإصبعين أو زحزحتهما عن موضع النقطة لأنّ هذا يقطع تيار الإثارة لدى المرأة.

إنّ الاحتكاك ب والضغط على هذه البقعة الحساسة يساعد في وصول المرأة إلى ذروة لذة الارتواء، بشرط أنْ تكون في حالة استثارة أصلًا، حيث تنتفخ هذه البقعة قليلًا، ويصير ملمسها أكثرَ خشونة، وتغدو أوضح تجعدًا عمّا حولها من سطح جدار المهبل الداخلي الأمامي.

٢- الرحم:

عضو عضلي على شكل ثمرة الكمثرى وبحجم قبضة اليد، في جزئه السفلي الضيق توجد فتحة تؤدي إلى المهبل (شكل: ٦).

يتكوّن الرحم من قاع الرحم وهو يعلو نقطتي الالتقاء مع قناتي فالوب، وبطانة الرحم التي يتمّ فيها انغراس البويضة المخصبة، ثمّ عنق الرحم وهو الجزء السفلي من الرحم عند اتصاله بالمهبل، وهو ذو فوهة ضيقة تتيح خروج دم الحيض بسهولة ولكنّها تتسع كثيرًا لتسمح بمرور الوليد أثناء عملية الوضع. وعنق الرحم منطقة غنية بالغدد التي تفرز سوائل عند الاستثارة الجنسية لتساعد في ترطيب المهبل خلال الجماع.

يتهيّأ الجدار الداخلي للرحم لاستقبال البويضة المخصبة كلّ شهر تقريبًا، فيتحوّل هذا الجدار إلى طبقة إسفنجية غنيّة بالشّعيرات

الدّموية ليوفر للبويضة المخصبة بيئة غذائية فريدة. أمّا إذا استقبل الرّحم بويضة غير مخصبة فستنسلخ بطانته وتنطلق إلى الخارج عبر فتحة المهبل مترافقة مع بعض الإفرازات والخلايا والدّم، فيما يسمّى بالحيض أو الطمث الذي يخرج أثناء العادة الشهرية أو الدورة الشهرية.

ولا توجد بالرحم أعصاب حسيّة؛ ولذلك لا علاقة له بالشعور بالمتعة الجنسية. إلّا أنّ هناك قلّة من النساء يشعرن بالمتعة في منطقة عنق الرحم حال ارتطام مقدّمة القضيب به أثناء عمليات الإيلاج المتكرر بالجماع.

٣- قناتا فالوب:

هما أنبوبتان رفيعتان، تمتدّ كلّ واحدة منهما من أحد جانبي الرحم حتى تحيط فوهتها التي على شكل أصابع بالمبيض دون أنْ تلامسه (شكل: ٦)، ويصل طول القناة إلى حوالي ٨ سنتيمتر. وفوّهة قناة فالوب مؤهّلة لالتقاط البويضة الناضجة التي خرجت لتوها من المبيض بواسطة أهدابها وسحبها ودفعها إلى داخل قناة فالوب التي تدفع أهدابها البويضة في اتجاه الرحم، وبذا وفّرت قناتا فالوب ممرًّا آمنًا للبويضة، كما أنهما المكان الذي في الغالب يلتقي فيه الحيوان المنوي مع البويضة فيتمّ تخصيبها.

٤- المبيضان:

عضوان بيضاويّا الشكل، يوجدان على جانبي الرحم (شكل: ٤)، يبلغ قطر كلّ منهما حوالي ٣ سنتيمتر، وينتجان الهرمونات الجنسية الأنثوية والبويضات.

تولد الأنثى وبمبيضيها كلّ البويضات (ما يقارب ٤٠٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠٠ بويضة) التي ستبدأ في النضوج الواحدة تلو الأخري ويتناوب المبيضان في انتاج البويضات الناضجة ليستقبل الرحم بويضة واحدة كلّ شهر تقريبًا من حين بلوغها وحتى انقطاع طمثها عندما يحل عليها سن اليأس.

الأماكن الأكثر حساسية للشّعور باللذة الجنسية عند المرأة:

تستثار المرأة بلمس أيّ مكان بجسمها. يحتلّ رأس البظر قمة الأعضاء التي تشعر باللذة الجنسية لغنائه بكريات الإحساس باللمس، ثمّ وبنسبة أقل جلد جسم البظر، ثمّ حول فتحة المهبل وداخلها لمسافة ١ سم أو أكثر، والسّطح الداخلي للأشفار الرقيقة، وفي بقعة جي، ثمّ قليل منها في الأشفار الغليظة، ثمّ وبدرجة أقلّ في أماكن أخرى بالجسم غير الأعضاء التناسلية مثل الأرادف وحول فتحة الشّرج والمنطقة الداخلية للفخذ قرب الأعضاء التناسلية وحلمتي الثّديين وأعلى الثّديين وبين الثّديين وأسفل الثّديين وجانبي الرّقبة وشحمة الأذن والشفاه واللسان وخلف الأذن وباطن الفخذين وأماكن بالبطن...، إلخ.

كما توجد كريات باسيني الحسّاسة للضغط والجذب في المرأة بصفة أساسية في جسم البظر، والأنسجة والعضلات المحيطة بفتحة المهبل، والأنسجة الموجودة فوق عظمة العانة، والثدي.

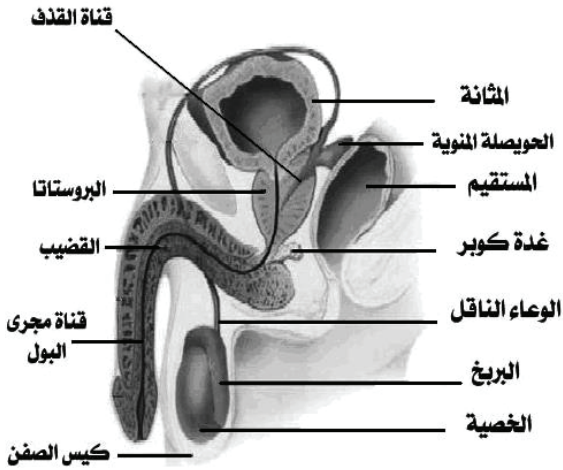
ويتوقّف اختلاف المواضع الأكثر إثارة لدى النساء من امرأة لأخرى حسب شخصيتها وميولها وصحّتها وتكوينها الفيزيائي والوراثي، ولذلك يختلف النساء في قوة استجابة كلّ موضع من هذه المواضع ودرجة أهميّته من امرأة إلى أخرى، وعلى العريس اكتشاف عروسه بنفسه.

إنّ معرفة الرجل لجسد زوجته وكيفية التعامل معها تسهل عليه عملية التحضير للممارسة الجنسيّة بشكل طبيعي متميز. وتبقي الزوجة في حالة انتشاء واسترخاء وإثارة لما سوف يقوم به الزوج.

ثانيًا: الجهاز التناسلي الذكري:

وعلى العكس من الجهاز التناسلي للمرأة فإنّ معظم أعضاء الجهاز التناسلي للرجل خارجية (شكل: ٨) ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٦).

ويتركّب الجهاز التناسلي في الرجل من التالي:



شكل (8) مقطع رأسي في الجهاز التناسلي للرجل

١- الخصيتان:

تتدلّى خارج جسم الذكر خصيتانمن بين فخذيه، واحدة جهة اليمين والأخرى جهة اليسار، ويضمّهما كيس جلدي يسمى بكيس الصفن. وفي كثير من الأحيان تكون الخصية اليسرى متدلية أكثر من الخصية اليمنى، كما أنّ حجم الخصيتين قد لا يكون متساويًا تمامًا، وهذا أمر شائع، لأنه وبشكل عام قد يوجد اختلاف طبيعي في حجم الأعضاء الزوجية في جسم الانسان، كاختلاف حجم الثّديين لدى النساء، مثلًا.

والخصية بيضاوية الشكل يصل قطرها إلى حوالي 5 سنتمترات وعرضها إلى حوالي 2سم ونصف، ولها وظيفتان أساسيتان، هما إنتاج الحيوانات المنوية وإفراز هرمونات الذكورة وأهمها هرمون التستوسترون.

وبقاء الخصيتين خارج الجسم عكس المبيضين عند الأنثى يوفّر لهما درجة الحرارة المناسبة لإنتاج الحيوانات المنوية وهي أقلّ من درجة حرارة الجسم الطبيعية. فأثناء الحر يتمدّد كيس الصّفن فتتدلى الخصيتان بعيدًا عن الجسم ممّا يلطف من درجة حرارتهما، أما أثناء البرد ينكمش كيس الصّفن فيدفع بالخصيتين نحو الجسم ملتمسًا بعض الدفء. وبتمدد وانكماش كيس الصّفن تحصل الخصيتان على درجة الحرارة المناسبة لإنتاج الحيوانات المنوية في جميع الأجواء.

٢- البربخ:

تنتقل الحيوانات المنويّة من الخصية إلى البربخ، وتمكث بداخله لمدة يومين إلى أربعة أيام ليتمّ خلالها نضجها من ناحية والتخلص من الحيوانات المنوية المشوهة من ناحية أخرى.

٣- الوعاء الناقل:

يفضي طرف كلّ بربخ إلى وعاء ناقل، وهو قناة دقيقة يصل طولها إلى حوالي ٤٦ سم تمتد عبر تجويف البطن، ويدور الوعاءان النّاقلان حول المثانة البولية وتصب فتحة كلّ واحد منهما داخل قناة القذف. تقضي الحيوانات المنوية بضعة أيام داخل الجزء الأوّل من الوعاء الناقل.

٤- الحويصلة المنوية:

للرّجل حويصلتان منويّتان حول قاعدة المثانة البولية واحدة على كلّ جانب، يصل طول الواحدة منهما حوالي ٥ سنتيمترات. يقوم الوعاء الناقل بإفراغ الحيوانات المنوية في الحويصلة المنوية التي تقوم بتخزينها، ثمّ بعد ذلك تفرغ مخزونها إلى قناة القذف.

تفرز الحويصلة المنوية مادة قاعدية صفراء لاصقة تشكل ٦٠٪ من السائل المنوي، وظيفتها إفراز سائل مغذي للحيوانات المنوية، بالإضافة إلى مواد كيميائية منها هرمون يسبب انقباضات بالرحم لمساعدة الحيوانات المنوية أثناء زحفها متجهة إلى قناة فالوب للوصول إلى البويضة.

٥- قناة القذف:

للرّجل قناتا قذف يصل طول كلّ واحدة منهما إلى حوالي ٢ سم ونصف. وتوجد قناة القذف عند منطقة الالتقاء بين الوعاء الناقل والحويصلة المنوية، وتستقبل هذه القناة الحيوانات المنوية من الوعاء الناقل، وكذا السوائل من الحويصلة المنوية ومن غدة البروستاتا، ويسمى هذا المزيج بالسائل المنوي.

٦- غدّة كوبر:

للرّجل غدّتا كوبر، الواحدة منهما بحجم حبة البازلاء، تقعان على جانبي البروستاتا الأماميين. وظيفتها الأساسية إفراز المذي وهو سائل قاعدي شفاف يخرج عند الإستثارة الجنسية بعد حدوث الانتصاب وقبل القذف. يساعد المذي على تطهير قناة البول وشطفها من بقايا البول والبكتيريا ممهدًا طريقًا آمنًا للسائل المنوي.

٧- غدّة البروستاتا:

تقع غدّة البروستاتا أسفل المثانة البولية وتحيط بالجزء العلوي الخلفي من مجرى البول وتصبّ افرازاتها فيه، ويبلغ طولها حوالي ٥ , ٢ سم وعرضها ٧ , ٤ سم وسمكها ٥ , ٢ سم.

إفرازات غدّة البروستاتا لزجة القوام بيضاء اللون، تغذي الحيوانات المنوية، وتشكل وسطًا لهذه الحيوانات كي تصل إلى البويضة، كما أنّها قاعدية للحفاظ على حياة الحيوان المنوي خلال وجوده داخل مهبل المرأة ذي البيئة الحامضية. يشكل إفراز غدة البروستاتا من ١٠٪ إلى ٣٠٪ من كمية السائل المنوي.

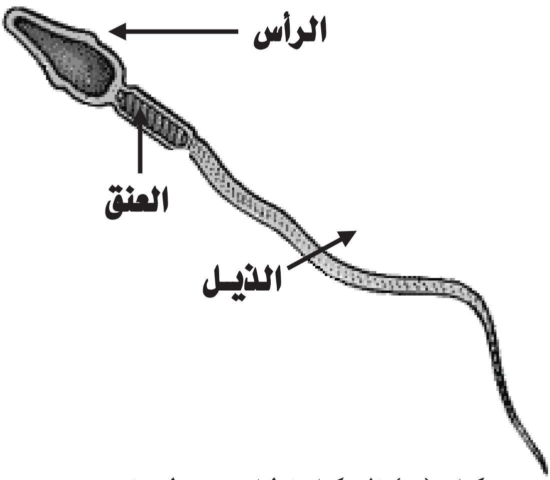
٨- السّائل المنوي:

سائل غليظ القوام يحتوي على الحيوانات المنوية، وسوائل غدة البروستاتا والحويصلات المنوية.

يتراوح لون السائل المنوي بين اللون الأبيض الشفاف والأصفر الغامق، مرورًا بالأصفر الفاتح. يتأثر لون السائل المنوي بعدة عوامل منها نوع الطعام أو تناول بعض الأدوية أو وجود التهاب، وأيضًا وتيرة القذف، التي كلّما ارتفعت كان لون السائل أفتح وأكثر شفافية.

٩- الحيوانات المنوية:

يتركّب الحيوان المنوي من رأس يحتوي على العوامل الوراثية (الجينات)، وعنق في الوسط يعطي الطّاقة اللازمة لحركة الحيوان المنوي، وذيل يستخدم كأداة لحركة الحيوان المنوي وانطلاقه داخل الجهاز التناسلي الأنثوي (شكل: ٩).



شكل (9) الشكل الخارجي لحيوان منوي

يبدأ الفتى بإنتاج الحيوانات المنوية حينما يبلغ جنسيًّا، عكس الفتاة التي تولد وبمبيضيها كلّ البويضات.

عند عملية الجماع يقذف الرجل حوالي من ٣٠٠ الى ٥٠٠ مليون حيوان منوي، معظمهم يموتون، والقليل منهم هو الذي ينجح في الدخول إلى الرحم، وأقلّ من هذا القليل هو الذي يلج إلى قناة فالوب، ليفوز واحد منهم فقط بالبويضة.

١٠- القضيب:

هو العضو البولي التناسلي الخارجي للرجل، ويمثل أداة الجماع، والذي يتمّ به- وعبره- قذف السّائل المنوي إلى داخل المهبل.

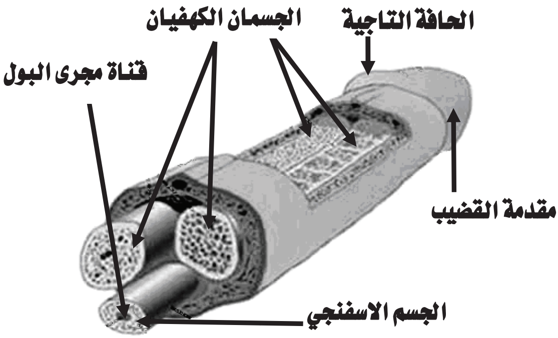
والقضيب (شكلي: ١٠-١١) مكوّن من نسيج عضلي، تمتدّ بوسطه وعلى سطحه السفلي قناة البول، ويمتدّ بطول القضيب وعلى جانبيه الجسمان الكهفيّان اللّذان بهما تجاويف لها بوابات صغيرة تفتح فيها الشرايين الصغيرة المتعرجة التي تقبل التمدّد في الطول عند الانتصاب. يحاط الجسمان الكهفيان بنسيج صام تجري فيه الشّرايين والأوردة، كما يحاط النسيج العضلي بألياف قويّة لتزيد من قوة انتصابه وصلابته، كما يغطي بطبقة جلد متجعدة تتميز بقدرتها على التمدد لتتناسب مع حجم وطول القضيب حال انتصابه.

يصل طول القضيب المرتخي غير المنتصب إلى حوالي من 5 إلى 10 سنتيمترات، بينما متوسط طول القضيب عند الانتصاب من 9 إلى 19 سنتيمتر تقريبًا.

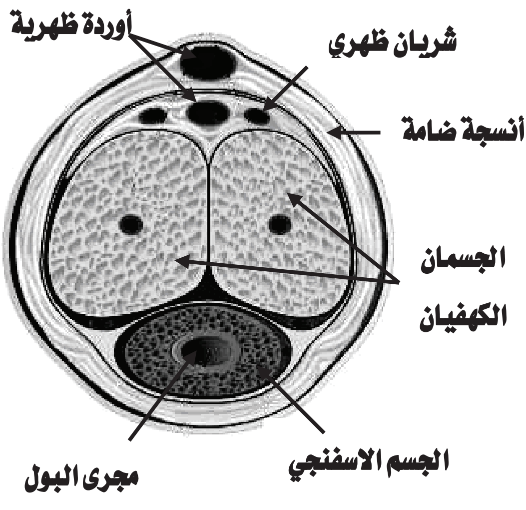
ويختلف شكل وحجم القضيب بين رجل وآخر، وتعود أسباب الاختلاف الى عوامل وراثية وعوامل بيئية.

يحدث الانتصاب عندما يتوارد الدم إلى القضيب ويملأ الجسمين الكهفيين والنسيج الإسفنجي، وتتصلّب الألياف العضلية، ويزداد طول القضيب وقطره، كما يصبح أكثر سخونة. أي أنّ الانتصاب يسبّبه

في الأساس امتلاء العضو الذكري بالدم، تمامًا كالبالون الذي يكتسب طولًا وصلابة بمجرد امتلائه فقط بالهواء.



شكل (10) الشكل الخارجي ومقطع ثلاثي الأبعاد للقضيب



شكل (11) قطاع عرضي في القضيب

خلال الانتصاب يتمّ الضغط على النّسيج الضّام وبذلك يمنع الدم من مغادرة الجسمين الكهفيين والنسيج الإسفنجي، ولذلك يظلّ الانتصاب صلبًا. وعند قضاء الشهوة والانتهاء من الشعور باللذة يعود الدّم الموجود في التّجاويف خلال شبكة من الأوردة الدموية إلى الجسم فيأخذ العضو الذكري في الارتخاء ليعود كما كان.

والقضيب المنتصب يحدث زاوية مع جذع الرجل تتراوح بين الحادة والقائمة.

إنّ طول العضو الذّكري أو حجمه أثناء الانتصاب ليسا هما العامل الأساسي في إنجاح العملية الجنسية وإشباعها لدى المرأة، وذلك لأنّ الإشباع أثناء الجماع بالنّسبة للمرأة يحدث نتيجة احتكاك العضو بالثلث الخارجي من المهبل الذي لا يتجاوز ٣-٤ سم، وأحيانًا ببقعة جي التي لا يتجاوز بعدها عن فوّهة المهبل ٦ سنتيمترات. ولكن على الطرف الآخر هناك قلة من النساء يشعرن بلذّة مؤثّرة من ارتطام مقدمة القضيب بالفتحة الخارجية لعنق الرحم أثناء الإيلاج المتكرر للقضيب.

وكثيرًا ما ينخدع الشباب بما يرونه بالمواقع الإباحية من رجال ذوي قضيب ضخم هائل الحجم، معتقدين أنّ هؤلاء هم الرجال حقًا الذين يصلحون لإقامة معاشرة جنسية رائعة، والحقيقة أنّ هؤلاء الرجال يمثلون فئة قليلة تم اختيارها لأداء هذه الأفلام نظرًا لطول القضيب الاستثنائي لديهم.

إنّ طول القضيب المنتصب وحجمه قد لا يهمّ قدر أهمية أنْ يكون الانتصاب قويًّا، بل إنّ طول القضيب الزّائد قد يتسبّب في إيلام المرأة

أثناء الجماع آلامًا قد تجعلها تعزف عن المعاشرة الجنسية.

وليس القضيب كلّه هو الذي يشعر الرجل باللذة الجنسية أثناء الجماع، ولكنها المنطقة التي تقع خلف رأس القضيب مباشرة من الجهة السفلية هي أكثر المناطق إحساسًا باللذة الجنسية عن طريق اللّمس والاحتكاك لكونها تمتلك وبغزارة كريات الإحساس باللمس، بينما تنتشر في جسم القضيب كريات باسيني التي تتأثر بالضغط.

ويتمّ تدفق الدماء بالعضو الذكري في العادة قبل الاستيقاظ من النوم صباحًا بما يعرف بالانتصاب الصباحي وهذا دليل على سلامة انتصاب القضيب وعند الاستثارة الجنسية التي تتسبّب في إفراز الهرمونات الجنسية فيتحفز الدم ليدخل القضيب فيحدث الانتصاب. كما ينتصب القضيب عند المراهقين والشباب في وقت شبه منتظم من اليوم، ويقل هذا النوع الأخير من الانتصاب كلّما ازداد التقدم في العمر.

وفي كلّ الأحـوال لا يجب قهر القضيب على الارتخاء بتوجيهه عنوة إلى الأسفل أو إلى أحد الجانبين أو سكب ماء بارد عليه أو أيّة طريقة أخرى حتى لا يتسبب هذا في إضعاف الانتصاب وسرعة الارتخاء مع تكرارهذه الأفعال.

خطوات تجهيز السائل المنوي حتى القذف:

تقوم الخصية بتكوين الحيوانات المنوية..

يقوم البربخ بإنضاج الحيوانات المنوية السليمة والتخلص من الشوهاء..

يأخذ الوعاء الناقل الحيوانات المنوية وينقلها إلى الحويصلة المنوية..

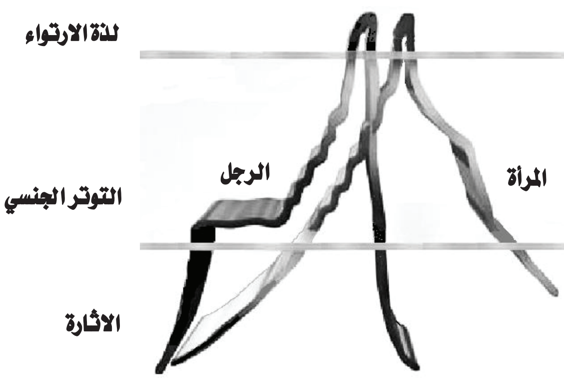
تنتج غدّة البروستاتا والحويصلات المنوية سوائل ستكون من مكونات السائل المنوي..

تختلط الحيوانات المنوية الآتية من الوعاء الناقل بسوائل غدة البروستاتا والحويصلات المنوية لتكون السائل المنوي في قناة القذف..

في الوقت الذي تبدأ فيه قناة القذف بالانقباض لدفع السائل المنوي عند الوصول إلى ذروة لذة الارتواء، تغلق المثانة بوّابتها إلى قناة البول لفسح الفرصة أمام السائل المنوي للخروج مقذوفًا على هيئة دفقات متتالية تختلف شدتها ووتيرتها تبعًا لقوة وعمق الشعور بلذة الارتواء.

آليّة حدوث اللذة الجنسية:

يحصل الرّجل والمرأة على اللذة الجنسية، كما هو موضح بمنحنى اللذة (شكل: ١٢)، عبر الخطوات التالية:



شكل (12) منحنى اللذة الجنسية عند الرجل والمرأة

١- مرحلة الإثارة والمداعبات:

وهي تهدف إلى تهيئة الجسم للمعاشرة الجنسية الكاملة، وهي قصيرة في مدّتها عند الرجل وبينما هي طويلة ومهمّة جدًّا عند المرأة.

جميع مداعبات الجسم المختلفة من احتضان وتقبيل ومصّ وغمز ولمس تنتهي في آخر الأمر إلى المستقبلات العصبية من كريات الإحساس باللمس وكريات باسيلي التي تنقل الإحساس بالمداعبة إلى المخ وتؤدّي إلى تصاعد الاستجابة، وتبعث على الإثارة الجنسية، كما تشتمل هذه المستقبلات على وسائل الإحساس الأخرى كالرؤية والسمع والشم مع التفاعل النفسي مع العملية الجنسية ومع الطرف الآخر.

ويكون تصاعد الإحساس قويًّا ومتتاليًا وعميقًا في هذه المرحلة، حيث تبدأ مظاهرها عند الرّجل بانتصاب العضو الذكري وإفراز المذي من غدّة كوبر وإنزاله كقطرات من مقدمة القضيب، إنكماش كيس الصفن حتى يصير أكثر سمكًا وغلظة فترتفع الخصيتان الى أعلى، وانتصاب حلمتي الثديين، وانقباض العضلات، وازدياد سرعة دقات القلب، وارتفاع ضغط الدم.

أمّا عند المرأة فتبدأ بنزول قطرات من رشح جدار المهبل، التي تتزايد كلما تصاعدت المداعبة، كما تبدأ الأعضاء التناسلية الخارجية في الانتفاش والتضخم نتيجة ورود الدم إليها فيتضخّم حجم البظر، ويتسع المهبل ويترطب ويستطيل ويغمق لونه، وتتسع وتنفتح قليلًا الشفرات الصّغيرة والكبيرة، ويكبر الثديان وتنتصب الحلمتان وتنقبض العضلات، وتزداد سرعة دقات القلب، ويرتفع ضغط الدم.

٢- مرحلة التّوتر الجنسي:

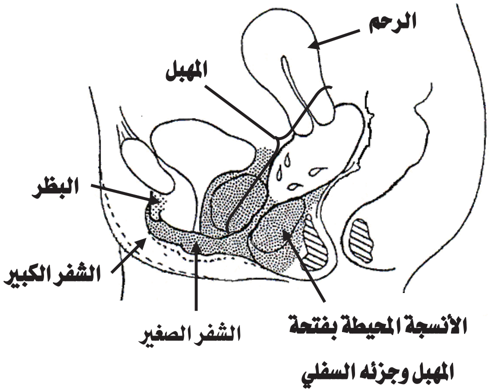
يتزايد أثناء هذه المرحلة في كلّ من الرجل والمرأة النبض وضغط الدم والتنفس زيادة مؤقتة تنتهي بانتهاء الشعور باللذة، كما يتزايد معدل إفراز العرق واللعاب والغدد الجنسية وإفرازات الجسم عمومًا، وتتصلب أيضًا عضلات الجسم خاصة عضلات الظهر والساقين والقدمين والأرادف والحوض وعضلات الوجه، وقد تصدر بعض الأصوات والتأوهات اللا إرادية.

بالنّسبة للمرأة (شكل: ١٣) ينتفش النسيج الإسفنجي الانتصابي المحيط بالجزء السفلى من المهبل وفتحة المهبل بعد احتقانها بالدماء، كما يضيق الجزء السفلى الخارجى من المهبل، ويتمدد ثلثاه العلويّان الداخليّان كالبالونة، ويتزايد نزول السّوائل التى ترشح من جدار المهبل ويزداد اللون احمرارًا.

يرتفع الرّحم من وضعه المعتاد داخل الحوض ليأخذ وضعًا علويًّا أماميًّا. بينما ينتفش البظر ويزداد حجمه وينجذب للداخل مع استدارة رأسه لأعلى.

تنتفش الأشفار الصغيرة وتكتسي باللون الوردى وتزداد درجة البلل والسخونة فيها وتصبح مثل الوسائد الناعمة الدافئة الساخنة، كما ينتفش أيضًا الجزء العلوي من الأشفار الكبيرة وتتباعد للخارج وتكتسب اللون الوردى.

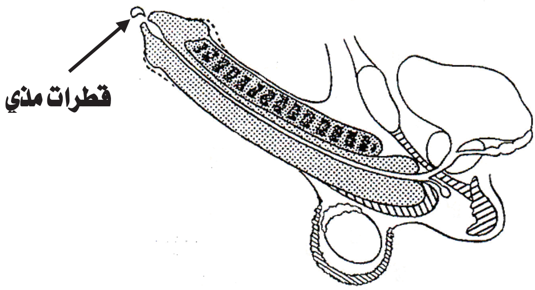
إنّ انتفاش النسيج الإسفنجي الانتصابي يضيق فتحة المهبل والأنسجة المحيطة بالجزء السفلي للمهبل (حوالي ٢-٣ سم من فتحة المهبل) ممّا يشكل مجرى ضيقًا يلعب دورًا في إحداث اللذة عند الإيلاج للمرأة والرجل. أمّا الجزء العلوي للمهبل فيتسع ليستوعب أي حجم للقضيب.



شكل (13) مقطع رأسي لأعضاء المرأة التناسلية في نهاية حالة التوتر الجنسي وقرب لذة الارتواء

وبالنسبة للرّجل (شكل: ١٤) يمتلئ الجسمان الكهفيان للقضيب وما فيه من عضلات بالدماء، ممّا يسبب إنتصابه بقوة، كما ينتفش الجسم الإسفنجي بتزايد الدماء فيه، وبداخله قناة مجرى البول وقد اتّسعت هى الأخرى.

تخرج قطرات من المذي الذي تفرزه غدة كوبر من القضيب. وتنتفش مقدمة القضيب وبخاصّة حافة الحشفة، وكذلك المنطقة التي تقع خلفها مباشرة. ينكمش كيس الصفن فترتفع الخصيتان حتى تقاربا قاعدة القضيب، ويتجمع السائل المنوي في قناة القذف.



شكل (14) مقطع طولي لأعضاء الرجل التناسلية

والوقت المناسب للإيلاج يكون بعد بدء هذه المرحلة أو عند منتصفها حينما تصل الإفرازات وانتفاش الأعضاء التناسلية في المرأة إلى الذروة.

يلج الرّجل قضيبه برفق حتى يتم إدخاله كاملًا بمهبل زوجته، ثمّ يبادر بالعبث في بظرها بأصابعه، فيبدو المشهد إيلاج القضيب في المهبل ومداعبة البظر في نفس الوقت مما يسارع من وتيرة الاستجابة الجنسية للمرأة.

وعند الإيلاج قد تنجذب الأشفار الصغيرة للداخل مع القضيب فتضغط على جسم البظر فتسبب المزيد من الشعور باللذة عند المرأة، كما يستحب لمواصلة الاستثارة أنْ يتمّ تحريك القضيب داخل المهبل حركة ترددية للأمام والخلف أو حركة جانبية أو شبه دائرية بعد الإيلاج بقليل، وأن تبدأ هذه الحركة بطريقة هادئة خفيفة ثمّ تتصاعد بقوة وعمق.

وتتشارك الزّوجة مع زوجها في هذه الحركة عن طريق تحريك منطقة الحوض ودفعه مع محاولة انقباض العضلات اللا إرادية بمدخل الحوض، إلى أنْ تحدث لذة الارتواء.

٣- مرحلة ذروة اللذة الجنسية أو لذة الارتواء Orgasm:

عندما تصل المرأة إلى لذة الارتواء (شكل: ١٥) تنقبض العضلات بمدخل الحوض السفلى التى تحيط بفتحة الشرج وتلك التي تمتدّ من عظمة العانة إلى عظمة العصعص، وأيضًا التى تحيط بفتحة المهبل والمتصلة بالبظر والجزء السفلي للمهبل إنقباضات لا إرادية متوالية، كما تحدث أيضًا انقباضات بالرحم. وتهدف هذه الانقباضات أساسًا إلى ارتشاف وامتصاص السائل المنوي المقذوف.

يظلّ الجزء العلوى الداخلي من المهبل منتفشًا كالبالونة لاستقبال السائل المنوي ويزداد اتساع قناة عنق الرّحم لتسهيل ولوج هذا السائل إلى الرحم.

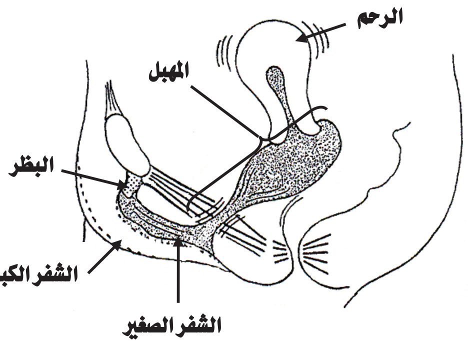
تتقلّص عضلات القدمين والأرادف، وتنتفض عضلات الجسم الأخرى بدرجات متفاوتة وتصل سرعة التنفس والنبض وضغط الدم الى الذروة.

وحينما يكون شعور المرأة بلذّة الارتواء قويًا يميل ظهرها للتقوس والتصلب فيندفع الحوض للأمام ولأعلى لتحقيق مزيد من اختراق القضيب للمهبل، ولمزيد من إحداث ضغط على منطقة العانة، الأمر الذي يعمّق الشعور باللذة لدى المرأة والرجل معًا، كما يزداد استمساكها بزوجها وقد تقبض بيديها عليه وتجذبه إليها بشدة.

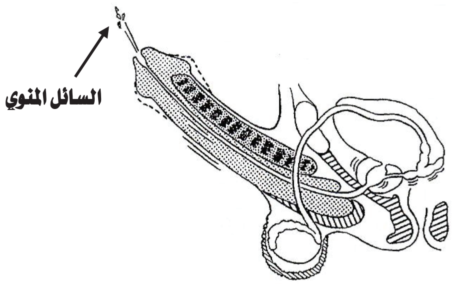
أمّا بالنسبة للرجل (شكل: ١٦) فتقوم البروستاتا والقناة المنوية والحويصلة المنوية بالانقباض ودفع السائل المنوي في قناة القذف. كما يزداد انتفاش الحافة السفلية لمقدمة القصيب والمنطقة التالية لها.

وعند الوصول إلى ذروة لذة الارتواء تنقبض عضلات مدخل الحوض السفلي والعضلات المحيطة بفتحة الشّرج والعضلات المحيطة بقاعدة القضيب انقباضات لا إرادية متوالية ويواكب ذلك نبضات بجسم القضيب الخارجي فيؤدّي إلى حركة ترددية يقذف أثناءها السائل المنوي باندفاع إلى داخل المهبل.

عند بلوغ ذروة لذة الارتواء،
انقباضاته تدفع وتضخ، وانقباضاتها ترتشف وتمتص.



شكل (15) مقطع رأسي في أعضاء المرأة التناسلية لحظة لذة الارتواء



شكل (16) قطاع طولي في أعضاء الرجل التناسلية حال لذة الارتواء

وللمرأة عدّة مواضع بجهازها التناسلي تشعر فيها بذروة اللذة الجنسية، وهي: البظر وفتحة المهبل وجزئه السّفلي وبقعة جي والأشفار الصغيرة وفوهة عنق الرحم. ويختلف عمق الشعور باللذّة الجنسية من امرأة لأخرى فمنهنّ مَن تشعر بذروة لذة أقوى عن طريق البظر بينما أخريات يشعرنَ بذروة أشد عن طريق المهبل.

أمّا الرجل فيكاد ينحصر إحساسه بها في الجزء السفلي تحت القمي للقضيب.

مناطق الإحساس بذروة لذة الارتواء للمرأة متعدّدة، أمّا عند الرجل فهي منطقة واحدة

٤- مرحلة الاسترخاء والفتور:

يشعر الإنسان بالرّاحة عقب حدوث لذة الارتواء، وفي خلال دقائق إلى نصف الساعة على الأكثر تعود الأعضاء إلى حجمها الطبيعي، وقد يشعر الإنسان بالعطش نتيجة لكمية السوائل التي أفرزتها الأعضاء التناسلية أو الغدد العرقية أو اللعابية، ويعود حجم الحلمتين الى المستوى الطّبيعي، وترتخي العضلات بسرعة، وتعود سرعة النبض والتنفس وضغط الدم الى المعدلات الطبيعية.

في المرأة فيرتخي البظر وجدار المهبل ويعودان الى حجمهما العادي، ويبقى عنق الرحم متسعًا لمدة ٢٠-٣٠ دقيقة.

أمّا في الرجل فيرتخي كيس الصّفن ويعود الى سمكه الطبيعي فتعود الخصيتان إلى وضعهما العادي، كما يرتخي القضيب بعد فترة من وقت تتناسب عكسيًّا مع عمر الرجل بسبب انصراف الدّماء من الجسم الإسفنجي والجسمين الكهفيّين عبر الأوردة.

وإذا لم تحدث لذّة الارتـواء بعمقها المنشود فسيبطأ حدوث الاسترخاء وستتأخر عودة الأعضاء إلى حالتها الطبيعية وستطول فترة احتقانها.

٥- فترة الكمون:

يحتاج الرجل إلى فترة من وقت حتى يتمكن من استعادة قدرته على المعاشرة الجنسية وحدوث لذة أخرى، ويختلف طول هذه الفترة من شخص إلى آخر، كما يزداد طولها مع التقدم في العمر.

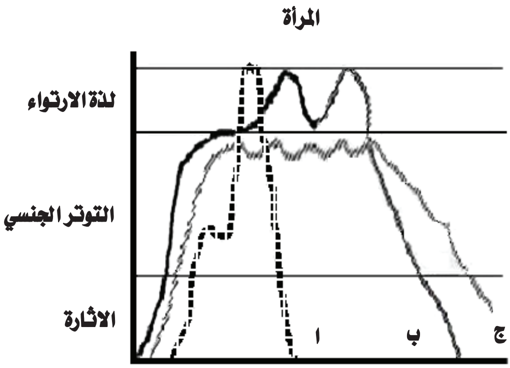
أمّا المرأة فقادرة على حدوث معاشرة أخرى وحدوث لذة ارتواء جديدة دون الحاجة لفترة كمون، فإذا ما استمرّ الجماع ومداعبة أعضائها التناسلية عقب حدوث لذة الارتواء الأولى فقد يؤدّي ذلك إلى حدوث لذّة ثانية، والتي في كثير من الأحيان تكون في الغالب أقوى من الأولى، بما يسمّى بتعدّد لذة الارتواء Multiplr orgasm وذلك يحدث في اللقاء الجنسي الناجح المشبع.

منحنيات اللذة الجنسية:

رغم أنّ الجماع عمل مشترك يقوم بين الزوجين الرجل والمرأة فلديهما منحنيان مختلفان يوضّحان قدر اختلافهما في الشعور باللذة الجنسية.

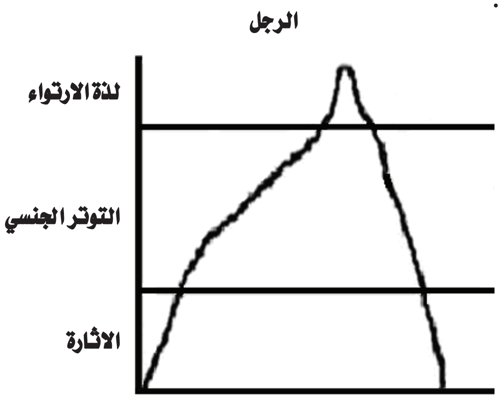
فللمرأة (شكل: ١٧) عدّة منحنيات تبيّن أنّ شعورها باللذة الجنسية يختلف تبعًا لعدة ظروف، فقد تشعر بذروة لذة ارتواء واحدة سريعة إلى حدّ ما، أو في الجماع الأكثر نجاحًا وإشباعًا قد تصل إلى عدد

من الذّرى (إثنان أو ثلاث) في نفس الجماع الواحد، أو قد يكون الجماع باهتًا فاشلًا غير مشبع.



شكل (17) منحنيات اللذة الجنسية الثلاث عن المرأة: لذة ارتواء واحدة سريعة

أمّا الرجل (شكل ١٨) فله في الغالب منحنى واحد، وذروة لذة ارتواء واحدة في كلّ الأحوال، ونادرًا للغاية أنْ يكون له في الجماع الواحد ذروتين.



شكل (18) منحنى اللذة الجنسية عن الرجل

التزامن الجنسي بين الزوجين:

يستطيع الرجل أنّ ينجز مراحل العملية الجنسية كلّها خلال دقائق قليلة جدًّا، أمّا المرأة فتحتاج إلى وقت أطول حتّى تصل إلى ذروتها الجنسية. ومن أجل ذلك قد لا تحقق اللقاءات الجنسية الأولى بين العروسين الوصول إلى ذروة لذة الارتواء المنشودة خاصّة بالنسبة إلى الزوجة.

يظهر عدم التّطابق الزمني في مراحل الجماع بشعور أحد الزوجين بذروة لذة الارتواء قبل الآخر، وفي الغالبية العظمى يصل الرّجل إلى ذروته الجنسية قبل وصول زوجته إليها (شكل:)، فتراه ينتهي من العملية الجنسية ويدخل إلى مرحلة الاسترخاء والفتور، بينما مازالت زوجته في الطّريق الصاعد إلى الشعور بذروة لذة ارتوائها.

لذلك كان من الواجب على الرّجل أنْ يتمهّل محاولًا تأخير المراحل الأولى للعملية الجنسية وذلك من خلال التّدريب على عدم رفع مستوى الإثارة لديه بتأخير الإيلاج وبعدم التركيز المبكر وتخفيف درجة التنبّه الذهني، حتى لا يترك الزّمام لإثارته حتى يصل لذروة لذته الجنسية بسرعة، ذلك بالمواكبة مع التفنّن في المداعبات وإطالة أوقاتها، وحينما يشعر الرجل أنّ زوجته تشاركه المرحلة وهو أمر من المُمكن أنْ يدركه الرجل مع تقدّم خبرته بالمعاشرة عليه بإيلاج عضوه الذّكري والتركيز في إتمام الجماع.

وليس للعروسين أنْ يعتقدا فشل الجماع لمجرّد أنّ الممارسة الجنسية غير متوافقة في الأيام أو الأسابيع أو الأشهر الأولى من الزواج، فالتوافق يحتاج إلى وقت وممارسة، وقد تلزمه في أحيان قليلة استشارة الخبراء حتى يتمّ على الوجه المُرضي.

وقد يلجأ البعض إلى استخدام العقاقير الطبّيّة التجارية المنشطة للجنس والتي تزخر بها إعلانات الفضائيات والمواقع الإلكترونية، أو الاستماع إلى نصيحة «مجرّب» والتي قد تؤدي إلى نتائج نفسيّة عكسية للطرف الآخر في كثير من الأحيان، وإن كانت هناك حالات قليلة تناسبها مثل هذه العقاقير، وعلى أيّ حال لا تستخدم أيّ العقاقير إلّا تحت إشراف أطباء متخصّصين.

أوقات الجماع المناسبة:

إنّ خير أوقات الجماع هي أوقات الحاجة إليه، فإذا اشتهى الرجل زوجته أو اشتهته هي ينبغي حينها أنْ يستجيب كلّ طرف منهما لحاجة الطرف الآخر، فللزوجة أنْ تنال حظها من زوجها متى شاءت، وللزوج مثل ذلك، قال تعالى: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) (البقرة: ٢٢٣).

مَن يبدأ في إظهار رغبته في الجماع؟

الجماع مسئولية الطّرفين، فهناك طرف يرغب جماعًا وآخر قد لا يفكر فيه الآن، ولكنه يستقبل هذه الرغبة بالتجاوب، وغالبا ما يكون الراغب هو المخطّط للمعاشرة الزوجية، فيبدأ بالتّعبير عن رغبته ببعض الكلمات المعبّرة أو ببعض التصرفات واللمسات والحركات والإيحاءات والإيماءات والتزيّن والتهيؤ التى يفهم منها الطرف الآخر رغبة الطرف الأول.

وممّا ينجح العلاقات الزوجية تناوب الزوجين الأدوار في هذا الموضوع، فمرة يكون الزوج هو الراغب ومرّة يكون هو المتجاوب،

وكذلك الزوجة أيضًا، فتبادل الأدوار بين الزوجين حسب رغبتهما وتعاونهما على الأخذ والعطاء يؤثر تأثيرًا إيجابيًّا في العلاقة الزوجية.

وإنّه من الأمور المثيرة للملل والضّجر شعور أحد الزوجين بأنه دائما هو الراغب أو أنه دائمًا هو المتجاوب، فيبدأ معدّل إيجابية المعاشرة الزوجية في الانخفاض تدريجيًّا حتى تصبح شيئًا مملًّا يبعث على الضّجر، وتنزوي مع الوقت قيمته في حياة الزوجين، وهذا أسوأ ما في الأمر.

ظروف الجماع المناسبة:

يرتبط الجماع النّاجح بتهيئة كلّ طرف للآخر، وأنْ يكونا مستعدّين جسميًّا ونفسيًّا لهذا اللقاء، وأنْ يتّسع لهما الوقت لراحتهما بعده.

كما أنّ تهيئة مكان الجماع بما هو أهله خطوة تضفي على اللقاء مذاقًا رائعًا.

إنّ استخدام الرّوائح الطيبة له دور كبير في إنجاح الجماع، حيث تساهم حاسة الشّم في إثارة الأحاسيس والمشاعر، وإضفاء السعادة على لقاء الزوجين.

واللقاء بين الزوجين يتطلَّب الهدوء والاسترخاء، حتى لا يجهد الجسم أو تتوتر الأعصاب فيحول ذلك دون الاستمتاع التام بالجماع.

أوضاع الجماع:

عند الجماع يتّخذ الزوجان أوضاعًا عدّة منها الاضطجاع والقعود والوقوف والانحناء والاستلقاء والانبطاح وغير ذلك، كما من الممكن

أنْ يتمّ بغرفة النوم أو بغيرها من الغرف، وعلى أيّ أثاث كسرير أو مقعد أو حتى على سجادة بالأرض.

وتلعب الرّشاقة والصحة العامة الجيدة واللياقة البدنية المناسبة دورًا في إمكانية القيام وتجريب أيّ وضع. وعلى العروسين أنّ يصارح كلّ منهما الآخر عن الوضع الذي يروقه ويريحه.

ولا بأس في أيّ أداء مادام الجماع يتمّ في قُبُل المرأة وفي غير الأوقات المحرمة من حيض ونفاس ونهار صيام الفرض، وبحيث تتوافر الخصوصية ويحدث الارتواء والإعفاف.

إنّ التغيير في هذه الأوضاع يعطي اللقاء بين الزوجين رونقًا مختلفًا متجدِّدًا، فالنفس البشرية تملَّ من كلّ معتاد متكرّر حتّى لو كان تلذذًا بمذاق جميل أو جماع مشبع.

وسائل الوصول إلى ذروة لذة الارتواء بغير الجماع:

ليس فقط التغيير في أوضاع الجماع هي المطلوبة حتى لا يشعر الزوجان بالملل والرتابة وإنّما أيضًا طرق الوصول إلى ذورة لذة الارتواء بغير الجماع الطبيعي قد تكون هي أيضًا مطلوبة، ولا بأس في ذلك إنْ كانت جائزة شرعًا.

ومن أمثلة ذلك أنْ تمارس الزوجة لزوجها العادة السرية بالطريقة التي تكفيه، والعكس أيضًا فمن الممكن أنْ يمارس لها العادة السرية بكلّ السبل التي تشبعها، باليد أو باستخدام أداة. وكذلك عالم الجنس

الفموي بكافّة اختياراته، شريطة أنْ يتمتع الزوجان بما يفعلانه أو على الأقل لا يتمتّع أحدهما بينما الآخر يشمئز ويتقزز.

إنّ الغرض من المعاشرة الجنسية هو الإعفاف في المقام الأول، سواء بالجماع او العادة السّرية أو الجنس الفموي أو..، أو..،

ولنا هنا وقفة نتدبّر فيها بعضًا من الروائع في خلق الله للجهاز التناسلي..

التّميز والتكيف:

كلّ أجهزة جسم الإنسان كالجهاز الهضمي والدوري والتنفسي والبولي والعصبي والمناعي و...، و...؛ تعمل متضافرة متناغمة متكاملة على إبقاء الإنسان حيًّا يُرزق، فإذا ما أصاب أحدها خلل في وظيفته انتهت حياة الإنسان، إلّا الجهاز التناسلي، فهو يعمل متضافرًا متناغمًا بطريقة تدريبية مع جهاز الطرف الآخر المختلف عنه والمكمل له ليستجلب بشرًا آخرين، وإذا أخل بوظيفته لن يقتل الإنسان بل سيحرمه من إنجاب إنسان.

يتفرّد الجهاز التناسلي بسمات لا توجد في أيّ جهاز آخر بجسم الإنسان، فله وظيفته التي لا تتمّ وتكتمل إلّا بالتعامل مع الجهاز المناظر له لدى الطرف الآخر، ولذا فهو جهاز تكيفي Adaptive له القدرة على التكيف على طريقة استخدامه ومع من يستخدم. فإدمان العادة السرية مثلًا يدرّب الجهاز التناسلي على طريقة العادة السرية لنيل اللذة الجنسية، والتي ينجم عن إدمانها سرعة القذف عند الشابّ وبطء الوصول إلى ذروة لذة الارتواء عند الفتاة.

إنّ هذه الممارسة الذاتية للجنس دربت الجهاز التناسلي على أسلوب معين للممارسة الجنسية وعلى توقيت محدد للوصول إلى الشعور بالذروة الجنسية، ولذلك قد يأخذ تدريب جهازي التناسل لدى العريس والعروس المدمنان للعادة السرية على الجماع وقتًا طويلًا وعددًا غير قليل من مرات الجماع حتى يتكيف الجهازان التناسليان ويتناغمان ويتوافقان وينسجمان معًا في جماع ناجح.

كلّ أجهزة جسم الإنسان ملك خاص له، إلّا الجهاز التناسلي، فهو يتشارك فيه صاحبه مع الطرف الزوجي الآخر. ولأنه جهاز يتشارك فيه اثنان كان لزامًا أنْ يكون جهازًا تكيفيًّا قادرًا على أنْ يتكيف مع الجهاز المناظر له عند الطرف الزوجي الآخر.

كلّ أجهزة الجسم تقوم بوظيفتها قبل أو بعد ميلاد الإنسان مباشرة، إلّا الجهاز التناسلي فإنه يبدأ في مباشرة وظيفته بعد البلوغ.

تراكيب من أجل الاثنين ومن أجل الآخر:

ولأنّ الجهاز التناسلي ليس ملكًا خاصًّا لصاحبه فقد جعل الله تعالى فيه تراكيب من أجل الطرف الآخر، لتريح الطرف الآخر، كما جعل بكلّ من الجهازين الذكري والأنثوي تراكيب تسهل الجماع وتسبّب الإمتاع وتعمقه لكلّ من الزوجين، ولله تعالى في خلقه آيات.

فمن التراكيب التي تريح الطرف الآخر التالي:

– مقدّمة العضو الذكري المسمّاة بالحشفة لا إحساس فيها بالنسبة للرجل ولكن استخدامها في ملاعبة البظر والاحتكاك به لإثارة المرأة أثناء المداعبة وقبل الإيلاج له أثر فائق القوة بسبب هذا النعومة في الملمس والإسفنجية في القوام. واستخدام الرجل لحشفة قضيبه في مداعبة البظر والاحتكاك به تثير زوجته بقوّة ولكن هذا الاستخدام لا يؤثر فيه ممّا يساعد على إطالة فترة المداعبة المثيرة المؤثرة في المرأة.

–سمك قاعدة القضيب المنتصب التي تحتك بفتحة المهبل والجزء السفلي منه أثناء الإيلاج الكامل للعضو الذكري تزيد من استمتاع المرأة ووصولها إلى ذروتها الجنسية بينما لا يهمّ الرجل سمك قاعدة قضيبه.

–مهبل الأنثى أنبوبي الشّكل ليحتضن القضيب أثناء الجماع بما يشعر الرجل بلذة عميقة، وبالمثل كان احتضان الجزء السفلي الحساس من المهبل للجزء السفلي غير الحساس لقضيب الزوج يتسبّب في إمتاع الزوجة كثيرًا.

ومن الأمورالمفيدة لكلا الطرفين ما يلي:

–الحشفة ملساء وناعمة للغاية وذات قوام إسفنجي. إنها بهذه التركيبة تتمكن من الدخول عبر فتحة المهبل والولوج إلى داخله بشيء من اللّطف أثناء عملية الإيلاج، وتكسب العضو الذكري المنتصب الصّلب مقدمة رفيقة ناعمة تهيئ إيلاج رفيق ناعم، الأمر الذي يلائم المرأة ويثيرها تمامًا كما يلائم الرجل أيضًا..

-إفرازات المرأة المهبلية أثناء الاستثارة الجنسية وما تسببه من تليين ونعومة أثناء إيلاج العضو الذكري داخل المهبل لها أثر رائع في شعور كلّ من المرأة والرجل بالمتعة الجنسية.

-قدرة المهبل على التمدّد ليتناسب مع طول القضيب حين انتصابه لأمر يلائم الرجل والمرأة على حد سواء.

-إنّ ورود الدّم أثناء الاستثارة الجنسية وما يسببه من انتفاش وانتصاب الأعضاء التناسلية لكلّ من الرجل والمرأة تزيد من تلاحم هذه الأعضاء، فتبدو وكأنها مستمسكة ببعضها لا تريد فراقًا ولا ابتعادًا.

إنّه التناغم الكامل والتكامل المتناغم لشهوة غلبت الإنسان وقهرته ليستمرّ النسل وإعمار الأرض وعبادة الله عزّ وجل.

أفضل أوقات الزفاف:

لتحديد ميعاد يوم الزفاف يجب استشارة العروس، لتفادى مواكبة يوم الزفاف أحد أيام حيضها أو الأيام القليلة التي من قبله، فقد لا يتمالك العريس نفسه ولا العروس فيتمّ الجماع في هذا الوقت المحرم شرعًا، فإقبالهما على الجماع وتكراره في أول أيام عرسهما أمر طبيعي، كما يحسن ألّا يكون الزفاف في شهر رمضان أو قبله بمدّة يسيرة حتى لا يقع العروسان في جماع محظور أثناء نهاره.

التزين ليلة الزفاف:

تتزيّن العروس ليلة زفافها، لتبدو في أبهي جمالها، مظهرة سعادتها، مرغبة عريسها فيها، ويجوز لها الذهاب إلى مصفِّف الشعر (الكوافير) ليلة زفافها وأن تستعين بامرأة في هذا المجال شريطة ألّا تزينها زينة محرمة مثل ترقيق الحاجبين، وألا يراها الأجانب وهي على هذه الصورة من الزينة.

وعلى العريس - أيضًا- أنْ يتزين لعروسه، مظهرًا سعادته ومرغبًا فيه عروسه، سواءً بسواء.

فستان الفرح:

فستان الفرح حلم كلّ فتاة منذ أنْ كانت طفلة صغيرة تمارس لعبه «عروسه وعريس»، وكم حادثت به نفسها وتأملت موديلاته بالمجلات النسائية والقنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية وهي مازالت بعد مراهقة صغيرة، وكم تاقت نفسها لارتدائه واشتاق خيالها بأشكاله، وأنها على استعداد للتضحية بالكثير من أجل ارتداء هذا الفستان. ولعل هذا يزيل التعجب الذي يعتري بعض العرسان من جراء اهتمام البنات بفستان الزفاف الباهظ الثمن اهتمامًا فائقًا رغم أنه لن يستعمل إلّا مرة واحدة في العادة.

ولفستان الفرح أنْ يستر ما أمكن جسد العروس حفظًا على حيائها، خاصه إذا ما كان الفرح مختلطًا، إما إذا جلست العروس بين

النساء وأمنت على نفسها من رؤية الرجال الأجانب لها فيجوز أنْ تُظهر بعضًا من زينتها أو بعضًا من جسدها.

وبعد انقضاء الزفاف تحتفظ العروس بفستان زفافها في دولاب الملابس للذكرى، أو لترتديه لزوجها من حين لآخر وخاصّة في المناسبات الجميلة إنعاشًا لذكريات ليلة الزفاف السعيدة، أو تؤجره أو تعيره لعروس بعدها، أو تتبرع به للجمعيات الخيرية المعنية بمساعدة الشباب والفتيات على الزواج.

إعلان الزفاف:

وحتى يعلم الناس بأمر هذا الزواج وما يترتب عليه من نسب للأطفال فيجب إعلامه والإعلان عنه، فقال صلى الله عليه وسلم: «أعلنوا النكاح« (رواه أحمد والحاكم). ويتمّ زيادة هذا الإعلان من خلال حفل زفاف إظهارًا للسعادة والفرح بالعرس.

ويجوز الغناء واللهو المباح في حفل الزفاف، بشرط ألّا يكون الغناء مثيرًا للغرائز والشهوات، وألا يختلط الرجال بالنساء، فتغنى المرأة للنساء، والرجل للرجال، وألا يرتكب ما حُرِّم كشرب الخمر أو ميوعة المغنى، فعن عامر بن سعد رضي الله عنه قال فيما رواه النسائي والحاكم: «دخلتُ على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصاري في عرس، وإذا جوارٍ يغنين، فقلتُ: أنتما صاحبا رسول الله ومن أهل بدر يُفعل هذا عندكما؟ فقالا: إنْ شئت فاسمع معنا، وان شئتَ فاذهب، قد رُخِّص لنا في اللهو عند العرس».

دعوة الأهل والأصدقاء والأقارب لحضور حفل الزفاف والوليمة:

يجب الحرص على دعوة الأهل والأصدقاء والأقارب لحضور حفل الزفاف. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بإجابة الدعوة إلى العُرْس، فيقول صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: «أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتُم لها».

وليمة العرس سنة مؤكدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستحب الوليمة قبل الزفاف أو بعده. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنْ يعد وليمة لإخوانه لما علم بزواجه، فقال صلى الله عليه وسلم له في الحديث الذي رواه مسلم: «أوْلِمْ ولو بشاة».

ويجب عدم إهمال دعوة الفقراء إلى الوليمه التي دعي إليها الأغنياء، فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من دعوة الأغنياء دون الفقراء، ففي صحيح البخاري عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «شرُّ الطعام طعام الوليمة، يُدْعَى لها الأغنياء، ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى اللَّه ورسوله صلى الله عليه وسلم».

تهنئة الزوجين والدعاء لهما:

حضّنا النبي صلى الله عليه وسلم على تهنئة العروسين والدعاء لهما، بعد عقد الزواج وعند الزفاف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا هنّأ انسان بالزواج قال في الحديث الذي رواه ابن ماجه: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير».

سيناريو ليلة الزفاف وآدابها:

انتهى حفل الزفاف، وانصرف المدعوون إلى بيوتهم مأجورين، ودخل العروسان عشهما الذهبي وتفرغا لشأنهما،

فمن السنة النبوية المطهرة أنْ يدعو العريس لعروسه بالخير والبركة، فقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود «إذا تزوّج أحدكم امرأة فليأخذ بناصيتها (أي يضع يده على مقدمة رأسها) ويسمِّ الله عز وجل، ولْيدع بالبركة، وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها، وخير ما جبلتَها (فطرتَها) عليه، وأعوذ بك من شرها، وشر ما جبلتها عليه».

ويستحب أنْ يبدأ الزوجان حياتهما الزوجية بركعتين، فقد أوصى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلًا تزوج بكرًا، فقال له: «إذا أتتْك فأمرها أنْ تصلى وراءك ركعتين، وقل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيَّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعتَ بخير، وفرق بيننا إذا فرقت بخير».

التسمية والدعاء قبل الجماع كما أرشدنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف الذي رواه السبعة إلّا النسائي حين قال: «لو أنّ أحدكم إذا أراد أنْ يأتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثمّ قدر أنْ يكون بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدًا».

ومن السنة أيضًا الحرص على عدم استقبال القبلة حال الجماع.

عملية فضّ غشاء البكارة:

إنّ الطريقة المثالية والعملية لفض غشاء البكارة هي طريقة الجماع الجنسي العادي بين الزّوجين بإيلاج العضو الذكري إلى المهبل، في ظلّ من التفاهم والتعاون بين العروسين.

حتّى تسهل عملية فض غشاء البكارة كان على العريس أدوار وعلى العروس أدوار أخرى.

هي عليها..

ارتـداء المناسب من الملابس والتحلّي بسكون البال وهدوء الأعصاب، ثمّ التعاون مع عريسها إلى أبعد حد..

... ثمّ،

اتّخاذ الوضع المناسب لفضّ الغشاء وذلك بالاستلقاء على ظهرها، والمباعدة بين فخذيها مع رفع ركبتيها وإبقاء باطن أقدامها على الفراش، بحيث يشكّل الفخذ مع السّاق زاوية حادة مقدارها أقلّ من ٩٠ درجة بقليل. وتكمن أهمية هذا الوضع الجنسي في أنه يجعل العضلة الجنسية التي تحيط بمهبل المرأة (مكان إدخال العضو الذكري) مسترخية تمامًا فيسهل إيلاج العضو الذكري بسلاسة وتتمّ عملية الفض دون أي ألم يذكر.

إنّ خوف العروس ليلة الدخلة أو نفورها من المعاشرة الجنسية يؤدي إلى انقباض هذه العضلة الجنسية بشكل شديد، وبالتّالي يضيق المهبل وفتحته بطريقة كبيرة مما يجعل عملية إيلاج العضو الذّكري عملية صعبة ومصحوبة بالألم إلى حدّ ما.

كما يمكن أنْ تستلقي العروس على ظهرها وتطوي فخذيها بعد أنْ تباعد بينهما إلى أنْ تقترب ركبتاها من كتفيها، فبذلك ينفرج الشفران الصغيران قليلًا مما يسهل عملية الإيلاج.

وهو عليه،

أنْ يكون لطيفًا وحريصًا جدًّا على عدم استعمال العنف، أو أيّة طريقة غير لائقة، أو اتخاذ وضع جنسي يتصف بالخشونة والقوة عند القيام بعملية فض الغشاء.

يجب أنْ يقوم العريس بمداعبة طويلة لعروسه في كلّ جزء حسّاس من جسدها حتى يشعر بأنّها قد ارتخت تمامًا، وبلمس فرجها بيده سيجد سوائل رشح المهبل ممّا يثبت استجابتها له.

ثمّ يأخذ بفخذيها ليباعدهما عن بعضهما برفق حتّى لا تؤلمها أصابعه، وعليها أنْ تستجيب له تمامًا ولا تقاومه أبدًا فتباعد بين فخذيها، فتصبح عفّة عروسه أمامه واضحة (شكل:)، وعليه أنْ يستبين موضع فتحة المهبل من ناحية القبل (أي من الأمام إلى الخلف) فإذا لم تتضح له فسيجدها بوضوح أكثر أعلى فتحة الشرج، مع ضرورة المباعدة بين الشفرين الصغيرين بواسطة أصابعه (شكل:)، فإذا استشكلت عليه فله أنْ يسأل عروسه عنها، وليس في ذلك انتقاص من رجولته أو فحولته.

وحتّى تستثار العروس بقوة فعليه أنّ يمكث بين فخذيها ويمسك بيده عضوه الذكري المنتصب متجنبًا لمس المنطقة التي تشعره باللذة الجنسية، ثمّ يستخدم مقدمة عضوه الذكري الناعمة الإسفنجية في تدليك بظر عروسه عدد من المرات، ثمّ ينزل مقدمة عضوه الذكري إلى أسفل قليلًا محتكًا بالبظر ثمّ بفتحة البول متخذًا مسارًا تجاه الخلف بين الشفرين الصغيرين، فيصل بسهولة إلى فتحة المهبل، فتنزلق مقدمة القضيب إلى داخله، ثمّ يدفع منطقة حوضه دفعًا رفيقًا صوب العروس بلين ورفق وثبات وثقة، فيدخل العضو الذكري إلى المهبل، فإذا ما تم الإيلاج تمزق غشاء البكارة في أغلب الأحيان ما لم يكن من النوع المطاطي، ثمّ يسحب العريس عضوه الذكري خارج المهبل قبل أنْ تأخذه شهوته فيجد نفسه مضطرًّا لإتمام المعاشرة الجنسية بتكرار حركات الجماع من إيلاج ونزع، فيقذف منيّه، الأمر الذي قد تتأذي منه عروسه كثيرًا لكونها قد تعاني على الأقل من بعض آلام فض غشاء البكارة.

وقد ينصح باستخدام بعض الكريمات المتوفرة في معظم الصيدليات أو حتى استعمال بعض فازلينات العناية ببشرة الأطفال، حيث توضع هذه الكريمات أو الفازلينات إما على العضو الذكري أو في فرج المرأة أو على كليهما، ممّا يسهل الإيلاج بشكل كبير ويخفف من عدم الارتياح بالنسبة للعريس. وكذلك قد ينصح باستخدام بعض المسكنات الشرجية قبل القيام بعملية الفض، فهي تزيل التشنّج وتهدّئ الأعصاب وتريح

العضلات، وتخفف من الأوجاع الوهمية العالقة في ذهن الفتاة.

إنّ العريس لن يشعر بوجود غشاء البكارة أثناء تمزّقه، فهو مجرد غشاء وليس حائط صدّ يرتطم بالعضو الذكري المنتصب أثناء ولوجه داخل المهبل، وإنّما سيعلم العريس بتمزق الغشاء حينما يسحب عضوه الذكري ويجده وقد علقت به آثارُ دماء أو يجد قطرات معدودة من دماء تظهر خارجة من فتحة المهبل.

غالبًا ما يتمزّق غشاء البكارة من أوّل جماع إلّا إنْ كان مرنًا، أمّا الغشاء شديد القساوة فقد يتطلب فضّه عدّة محاولات، ومع تكرار الجماع قد يحصل التمزق بأكثر من مكان بالغشاء. ومع مرور الوقت يلتأم جرح التمزّق ويتحوّل بواقي الغشاء الى زوائد لحمية.

يعتقد كثير من الشباب أنّ فضّ البكارة ينتج عنه دماء غزيرة، ومن ثمّ ينتظر العريس الدم أو يبحث عنه فلا يجد ما كان يتخيّله، فتثور شكوكه وربما ثائرته. إنّ غشاء البكارة رقيق، وإنّ عملية فضّه تؤدّي إلى تمزّقه جزئيًّا مع انفجار بعض من الشّعيرات الدموية الدقيقة الموجودة به، وبالتالي تكون كميّة الدماء المنتظرة ضئيلة جدًّا، بالإضافة إلى أنه يتمّ تخفيفها بالإفرازات الطبيعية للمهبل التي تسيل من المرأة أثناء آليّات الجماع، وبالتالي كان الناتج في أغلب الحالات هو قطرات من مزيج بين الدم والإفرازات ذات لون وردي خفيف.

والألم الذي يحدثه فضّ غشاء البكارة يكون عادة خفيفًا ويمكن تحمله، ولكن التهويل الإعلامي والموروث الاجتماعي والقصص الخيالية والتجارب السلبية الخاصة بعملية فض الغشاء وما يسببه من خوف العروس يجعلها شعوريًّا و لا شعوريًّا تحدث تقلصات وانقباضات إرادية في العضلات المحيطة بالمهبل وفتحته، والتي من شأنها تعسير إيلاج القضيب ممّا يؤدي الى حدوث آلام.

يختلف الشّعور بالألم بين فتاة وأخرى من حيث الشدة وسرعة التأثر، ويتوقف على حجم الغشاء وسمكه وصلابته وعدم مرونته، كما يتوقف على بعض الأخطاء التي يمكن تفاديها، مثل عصبية العريس أو خشونته أو جهله، وفزع العروس وخوفها أو اتخاذها الوضع الخطأ للاستلقاء على الفراش أو عدم الاسترخاء.

وفي النهاية لا يسبب فضّ غشاء البكارة ألمًا كبيرًا كما تتصور العروس، ولا يحتاج لمجهود شاقّ كما يتصور العريس، أنه أمر طبيعي مورس منذ خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام وسيستمرّ إلى قيام الساعة بمشيئة الله تعالى.

بعد فضّ البكارة ببضع ساعات أو ربما يوم أو أكثر تكون آثار الفض الجسدية والنفسية قد ولّت، حينئذ يمكن للعروسين أنْ يتمّ بينهما جماعٌ كامل.

من أسوأ العادات المقوتة التي درج عليها النّاس في بعض الأوساط هو فضّ غشاء البكارة باليد المغلّفة بقطعة من القماش، وهي عملية مؤلمة

وقاسية وقد تتّسم في بعض الأحيان بالخطورة لما لها من نتائج نفسيّة سلبية على العروس قد لا تفارق خيالها طوال عمرها، كما قد ينتج عنها نزيف نتيجة إمكانية حدوث قطع بفتحة المهبل أو بالمهبل نفسه.

حوارات حول الجماع:

يجب أنْ يشجّع العريس عروسه على الحوار حول الجماع، وذلك بأنْ يسألها عمّا يمتعها ويثيرها؟ وعمّا تريده أنْ يفعله من أجلها؟ وعمّا تشعر به قبل وأثناء وبعد الجماع؟ وما هي أكثر المواقف والحركات واللمسات التي تمتعها؟ وما هي مشاعرها؟ كما يجب أنْ ينظر إلى تعبيرات وجهها وينتبه لحركات جسدها ليعرف ما يدور داخلها وما يسعدها أو يؤلمها، ويسألها بعد الجماع عن وصولها لذروة لذّة الارتواء من عدمه.

إنّ العروس كأنثى حديثة عهد بالزواج قد تخجل من التعبير عن رغبتها في أداء معين يسعدها ويبهجها، أو في وضع جماع محدّد يريحها ويمتعها، أو تبدي معرفتها بصورة معينة من الممارسة أو الإثارة الجنسية خوفًا من أنْ يثير ذلك شكوك عريسها في مصادرها للمعرفة، أو يشك في أدائها لممارسة جنسية سابقة، أو يرتاب في سوء أخلاقها، فتفضل الصّمت وهي قد لا تحصل مع عريسها على متعتها النّفسية والجنسية، وقد تظل كذلك فترة من عمرها الزواجي قد تطول أو تقصر، وتخجل من أنْ تطلب من زوجها فعلَ ما يوصلها لذروة لذتها الجنسية كالانتظار قليلًا قبل أنْ ينزع قضيبه مباشرة بعد قذف المنيّ حتى تصل هي إليها، وإن تحدثت فستنطق بكلمات غير

مباشرة قد لا يفهم عريسها معناها بوضوح أو يلتبس عليه الفهم فيعتقد أنّها باردة جنسية أو غير ذلك من سوء الفهم.

ونتيجة لفشل الجماع في الوصول بالمرأة لذروة لذة الارتواء المرة تلو الأخرى فسيصيبها الألم والضيق والقلق النفسي، فتبدو عصبية وقلقة ومحبطة ومتوترة وذات مزاج مضطرب وغير مستقرّ، وتراها فاقدة القدرة على التكيف مع أحداث الحياة، ساخطة على كلّ شيء ومن كلّ شيء وعلى أي شيء على نحو مفاجئ وغير مفهوم، وفي بعض الأحيان تصاب بالانهيار أو تعاني من أعراض مرضية جسدية مثل الصّداع أو الآلام المتنقلة في أعضاء الجسم المختلفة بسبب توتر جهازها العصبي والتي يحتار الأطباء في تشخيصها، ثمّ يدب الفتور وعدم الاكتراث اللذان يؤديان إلى ما يبدو أنه برودٌ جنسيّ ممّا يترك أثرًا سيئًا للغاية على مسار العلاقة الزوجية ومستقبلها.

إنّ ذلك كله يعالج ابتداءً بالحوار الصّريح الواضح بين العروسين حول الجماع وكيفية أدائه بما يسبب الإمتاع لكليهما، وعلى كلّ واحد منهما تصديق الآخر والعمل بما يرضيه، فلا يصح أنْ تقول العروس لعريسها الذي قذف سريعًا ثمّ نزع قضيبه وتركها دون أنْ تكمل شعورها بذروة لذة الارتواء: «أنت مستعجل كده ليه؟» فهذا تساؤل استنكاري غير واضح المعنى، ولكن من الأوفق أنْ تقول بوضوح لا يقبل تأويلًا: «لقد انتهيت من قضاء احتياجك قبل أنْ أنتهي من قضاء احتياجي، فتمهّل قليلًا المرّة القادمة قبل أنْ تنزع»، أو قريبًا من ذلك.

إنّ بعض من ثقافة الشعوب أملت على الفتاة ألّا تتحدث عن الجنس حتى مع زوجها إلّا إذا حثّها زوجها على ذلك وهذا عيب كبير. وإنّني لأعجب من التي تتحرج من مناقشة أمر الجماع مع زوجها لتطويره وتحسينه ولا تتحرّج من ممارسة الجماع، فهل الحديث حول الجماع يسبب حرجًا بينما ممارسة الجماع عمليًّا لا حرج فيها؟!!

مشكلات في ليلة الزفاف:

قد يواجه العروسان في ليلة زفافهما بعض المشكلات التي تنشأ من عدم خبرتهما العملية بالمعاشرة الجنسية، أو وجود رهبة من الموقف الجديد الفريد الذي لم يجرباه من قبل، أو نتيجة إجهاد فوق العادة من جراء إنهاء ترتيبات الزفاف أو الخوف من فشل عملية فض غشاء البكارة نتيحة وجود خلفيات سلبية سابقة وتجارب للآخرين فاشلة أو غير ذلك.

وقد يعجز العروسان معًا عن فضِّ غشاء البكارة في الليلة الأولى، وهذا أمر متكرر الحدوث، فهناك حالات لا يتمّ فيها فضّ هذا الغشاء إلّا بعد ليلة أو ليلتين أو ربما أكثر، كما قد يكون غشاء البكارة من النوع المطاطي، الذي قد يحتاج إلى استشارة طبية لفضه جراحيًّا.

ويزداد الأمر سوءًا حينما يظلّ أمر معاناة العجز عن فض غشاء البكارة سرًّا بين الزوجين. فالمرأة الشرقية لا تجرؤ على السّؤال!!، اعتقادًا بأنه لا يصحّ لامرأة «محترمة» أنْ تطلب إيضاحًا أو تسأل عمّا يجب أنْ

يحدث، وإلّا فُهم على أنّ عندها رغبة جنسية!! وكأنه من المفترض أنْ تكون المرأة قد خُلقت دون هذه الرغبة الفطرية.

والزّوج - أيضًا- قد لا يجرؤ على طلب المساعدة من زوجته في فض بكارتها، أليس رجلًا؟، ويجب أنْ يعرف كلّ شيء!!، وأنْ يفعل وحده كلّ شيء!!، وأن يتحمل وحده كلّ شيء!!، فتراه يسأل أصدقاءه سرًّا، وتظهر الوصفات العجيبة والاقتراحات الغريبة والنصائح المشينة، حتى يصل الأمر للاستعانة بطارد العفاريت ومخرج الجانّ، لكي يُفكّ «المربوط»، وتحل المشكلة!!

لا شكّ أنّ خبرات الآخرين لا يهمل وزنها وقيمتها، ولكنها في هذا الشان قد لا يصح إلّا سؤال المتخصّصين، فالخبرات الشخصية في هذا المجال محدودة ضيقة لأنها قاصرة على التعامل مع شخص واحد وحالة واحدة، أمّا المتخصّص فيعلم على الأقلّ المئات من الحالات، وعنده الحلول الناجحة والمعالجات الناجعة بإذن الله.

أثر المخدرات والمسكرات والعقاقير والمنشطات التجارية على العملية الجنسية:

دائمًا ما يجد العريس من يجامله يوم زفافه فيعرض عليه تناول حبوب منشطة جنسيًّا، فيجلبها له سرًّا أو جهرًا حتى يقوم «بالواجب».

يعتقد البعض أنّ تناول بعض المخدرات مثل الحشيش والأفيون والهيروين واحتساء الخمور ومن على شاكلتها من المخدرات والعقاقير والحبوب والمشروبات المحرمة قبل ممارسة العملية الجنسية؛ يزيد من قوة

الأداء الجنسي، إنّ ذلك هو الوهم بعينه، فتناول تلك المواد للمرة الأولى قد يعطي إحساسًا بذلك ولكن تناولها باستمرار يتلف العملية الجنسية عن طريق تدمير خلايا المخ وإحداث اضطرابات في دائرة الهرمونات بالجسد، ممّا يكون له انعكاسات تفسد الحياة الجنسية خاصّة والحياة كلها بصفة عامة.

وإنّه من الأفضل والأروع أنْ يكون العريس طبيعيًا، فأمثال هذه الحبّوب والوصفات قد تسبب التعوّد عليها ويصعب بعد ذلك الاستغناء عنها. وإن هذه المنشطات ضررها أضخم من فائدتها طالما يتمتّع الإنسان بسلامته من الناحية العضوية، وإن كثيرًا من هذه الأقراص لا تسبب حدوث انتصاب لقضيب لا ينتصب، ولكنّها قد تعمل على تقوية الانتصاب حين وجوده، وإن تناولها بجرعات كبيره مرّة واحدة قد يؤدّي الى استمرار القضيب منتصبًا لفترة أطول من ٤ – ٦ ساعات، ومن ثمّ قد يحتاج العريس الى تدخّل جراحي قد يفقده القدرة على الانتصاب نهائيًا.

وإنّه كقاعدة صحية عامة، «لا يجب تناول أي عقاقير أو منشطات دون استشارة الأطباء المتخصصين».

السحر في ليلة الزفاف:

يسعى بعض الناس في بعض المجتمعات لإيذاء بعضهم بعضًا، فيستخدمون ساحرًا ليلحق الأذى بالعريس أو العروس أو كليهما في ليلة زفافهما، فيصاب العريس بالعجز عن فض غشاء بكارة عروسه، أو يضعف

انتصاب عضوه الذكري على غير العادة، أو تصاب العروس بالتغوير فتبدو وكأنها بلا فرج، أو قد لا تستطيع أنْ تباعد بين فخذيها، أو تصيبها عدم الرغبة في عريسها، أو قد تنفر منه وتفزع وقد تصرخ إذا اقترب منها.

عندئذ يجب الإكثار من ذكر اللّٰه على كلّ حال، واعتياد تلاوة القرآن الكريم، وقراءة أذكار الصّباح والمساء، والمحافظة على سائر العبادات، فإذا حدث وأصيبت العروس أو العريس بمثل هذا السحر، فلم يتمكّنا من فضّ غشاء البكارة أو إتمام الجماع، فعليهما أنْ يتصرفا بوحي من إيمانهما بهدوء وسكينة، فيسلكا سبلَ العلاج الصحيحة التي توافق الشرع ولا تخالفه، وأيسرها أنْ يتبّع الزوجان الخطوات التالية:

-يدهن كلّ من الزوجين فرجه بالمسك، ثم..
- يقرآن الأذكار التالية:

سورة الفاتحة، ثم..

آية الكرسي (الله لا إله إلّا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم)(ثلاث مرّات)، ثمّ..

خواتيم سورة البقرة (لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما

في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كلّ شيء قدير آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفسًا إلّا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا غنْ نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (ثلاث مرّات)، ثمّ..

سورة الزلزلة (إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأنّ ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم فمن يعملل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره) (ثلاث مرّات)، ثمّ..

سورة الإخلاص (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد) (ثلاث مرّات)، ثم..

المعوذتين (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد) (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) (ثلاث مرّات)، ثمّ..

- يصلّيان صلاة الحاجة، ثمّ..

– يقولان هذا الدّعاء: «اللهم جَنِّبْنا الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنا».
وعليهما أنْ يكرّرا هذه الطريقة حتّى يتمّ إنهاء فعل السحر وأثره، وعليهما أنْ يستعينا على ذلك بالصّبر والصلاة والذكر.

ولا مانع من الذهاب إلى مَن عرفوا بعلاج مثل هذا السِّحر من أهل الصلاح والتقوى من المسلمين، وليحذر العروسان من الذّهاب إلى ساحر لأجل ذلك، فقد نهى الشرع عن هذا، قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أحمد والحاكم: «من أتى عرَّافًا أو كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»، علاوة على أنّه باب واسع للاحتيال والنصب والابتزاز، وضحاياه كثيرون يتساقطون كلّ يوم بالمئات والآلاف.

شهر العسل:

إنها الأيام الأولى بعد الزفاف، والتي ينبغي التخطيط لقضائها تخطيطًا يجعلها تمتلئ بالسعادة والذكريات الجميلة، وأن يشعر أثناءها العروسان بروعة الحبّ والرومانسية، وأن ينعما معًا بالألفة والمودة والرحمة، وأن يستشعرا بنعمة اللَّه عليهما بالزواج، وأن تظلّلهما التقوى من أول أيام حياتهما الزوجية، وأن يستمتعا بما هو متاح، ويفعلا ما يناسبهما وما يتفق مع إمكانياتهما وظروفهما، كما يجب ألّا يترخّصا في حياتهما أثناء هذه الفترة، فلا يهملان العبادات، ولا يتنزهان في مكان محرَّم، ولا يتسليان بممنوع، ولا يخالفان تعاليم دينهما.

إنّها أيام رائعة، ومن الأهمية أنْ تكون كذلك لشحن الطاقة وتحفيز الهمه، فهي أيام لها ما بعدها من تحمل مسئولية ورعاية أسرة وتربية أطفال ومكابدة حياة زاخرة بالتضحيات والعقبات والمشكلات.

الخاتمة

كَمْ تدهورت وتضرّرت العلاقة بين الشّباب والفتيات عندما ظهرت أفكار وفلسفات تبرّر وتعلّل وتدعم أساليبَ إقامة هذه العلاقة بالطّرق المبتذلة المحرّمة.

... أفكارٌ وفلسفات شوْهاء لا أصل لها في الدّين، ولا تستوي بها الفطرة الإنسانية.

... أفكارٌ وفلسفات زيّنت العلاقات الخفيّة والأنانية والزواج العرفي والانحراف والانجراف.

... أفكارٌ وفلسفات أقيمت عليها بيوتٌ منهارة زفرت قبل أنْ تشهق وخربت قبل أنْ تعمر وهدمت قبل أنْ تبنى.

ثمّ، عرفنا كيف تكونُ العلاقة السويّة النظيفة الطّاهرة بين الشابّ والفتاة التي تقيم البيوت المستقرّة والعلاقات الزوجية الرائعة المستمرة.

وعلمنا كيف يبدأ الارتباط بين الشابّ والفتاة بدايةً كريمة عفيفة وثيقة لا عبث فيه ولا استهتار.

..ارتباطٌ يتناغم مع طبيعة الإنسان ويفي باحتياجاته من الحبّ والطمأنينة والوئام والأمان، ويحفظ للإنسان كرامته وعزته وحياءه.

وعرفنا كيف تتمّ الخطوبة على الوجه الذي يحقّق أهدافها النبيلة ومذاقها الخلاب عبر خطوات راشدة وئيدة حكيمة، يؤدّي الكبار

والصّغار فيها أدوارهم بلا لبس أو تداخل أو ترك أو تعدٍّ.

... وعلمنا كيف يتمّ الاتّفاق بين أهلي العروسين بما يحقّق التّيسير والتعاون في ظلال من الوضوح والثقة.

... وعرفنا كيف يكون العقدُ وإجراءاته الشّرعية والعرفية وحقوق المتعاقدين وواجباتهم.

.. ثمّ..

انتهينا بسيناريو ليلة الزفاف المرتقبة، وما ينبغي أنْ يلم به الشباب والفتيات من معلومات ووقائع وأدبيات وسنن،

، سيناريو ليلة زفاف خفيف لطيف نظيف عفيف، ليس كما صوره أعداء الإنسان بطرق تثير الغرائز وتلهب الشهوات، فأخرجوه من نظافته وعفته،

، سيناريو يترجم العلم النافع الذي تمضي به الحياة الزوجية رائقة رائعة، لتُشيد بيوتًا وتربي أجيالًا، تصنع الحضارة وتسترجع مجد الأمة،

وهذا شأنُ كلّ علم نافع..

... يُرْبي أينما يظهر، ويُثمر بعدما يُزهر.

المراجع

أسامة يحيى أبو سلامة. شريك حياتي، من فضلك، افهمني. دار الأندلس الجديدة. القاهرة. ٢٠٠٩ م.

أسامة يحيى أبو سلامة. شريك حياتي، هيا نتّفق. دار التوزيع والنشر. القاهرة. ٢٠١١ م

أسامة يحيى أبو سلامة. شريك حياتي، لننقذ زواجنا. دار التوزيع والنشر. القاهرة. ٢٠١٢ م.

أكرم رضا. على أعتاب الزواج. شركة مكتبة ألفا للتوزيع والنشر. الجيزة. مصر. ٢٠٠٥م.

حسّان المالح. مقالات بالشبكة العنكبوتية.

روحي عبدات. مقالات بالشبكة العنكبوتية.

سحر المصري. مقالات من الشبكة العنكبوتية.

سحر محمد. الخطوبة، مِن هنا تبدأ السّعادة الزوجية. دار وجوه للنشر والتوزيع. الرياض. ٢٠٠٨م.

سعد رياض. الشخصية أنواعها وأمراضها وفنّ التّعامل معها. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. ٢٠٠٥م.

عباس سبتي. مقالات من الشبكة العنكبوتية.

محمد إبراهيم الحفناوي. الموسوعة الفقهية الميسرة، الزواج. مكتبة الإيمان. المنصورة.

محمد فتحي. مباهج الزواج. مؤسسة الخانجي. القاهرة. ٢٠٠١م.

محمد رمضان. ختان الإناث دراسة علمية وشرعية. مكتبة الأسرة. القاهرة. ٢٠١٢م.

منتدى الجنسانية.

موقع أسرار.

ميساء قرعان. مقالات بالشبكة العنكبوتية.

فهرس المحتويات